



جامعة الدول العربية
إدارة السياسات السكانية والهجرة / القطاع الاجتماعى

قضايا الشباب العربي

القيم السائدة لدى الشباب: الخصائص والمحددات

الإصدار الثاني: لعام 2006

إدارة السياسات السكانية والهجرة / القطاع الاجتماعي - جامعة الدول العربية
22 شارع طه حسين الزمالك - جمهورية مصر العربية
هاتف : 2027354306 فاكس : 2027351422
email : youth@poplas.org www.poplas.org
: (0704) -02/(2006)/06

المساهمون في إعداد التقرير

- 1- أحمد عبد الناظر، مدير، مركز الصحة الإنجابية، الديوان الوطني للأسرة والعمران البشري
- 2- كمال نجيب، أستاذ بكلية التربية، جامعة الاسكندرية
- 3- عبد الباسط عبد المعطي، مستشار إدارة السياسات السكانية والهجرة
- 4- عبد الجليل زكريا، مسئول تكنولوجيا المعلومات، إدارة السياسات السكانية والهجرة
- 5- عبد العزيز فرح، مستشار / استراتيجيات السكان والتنمية، فريق الدعم الفني للبلدان العربية
- 6- محمد نجيب إبراهيم، أستاذ علم الاجتماع المساعد، كلية آداب، جامعة بنها
- 7- محمد محمود أمين، باحث ميداني
- 8- سيد أبو زيد، خبير إحصائي
- 9- محسن عابد، مشرف على العمل الميداني

فهرس المحتويات:

	المقدمة
1	ملخص تنفيذي: رؤية تركيبيية
7	الفصل الأول: قيم الشباب: في المفاهيم والمحددات المجتمعية
7	مقدمة
9	أولاً: القيم: المفاهيم والمحددات
10	ثانياً: الشباب العربي، المفهوم والخصائص
11	ثالثاً: إشكاليات قراءة قيم الشباب العربي
12	رابعاً: أهداف التقرير
12	خامساً: التساؤلات التي يطرحها التقرير
13	سادساً: منهجية إعداد التقرير ومصادر بياناته
15	الفصل الثاني: الشباب العربي وأزمة القيم في عصر العولمة
15	أولاً: عناصر مقارنة عامة لدراسة قيم الشباب
22	ثانياً: التوزيع المعياري، تقسيمات وتصنيفات أولية ممكنة للقيم
25	ثالثاً: السلم التقليدي للقيم والمعايير
25	رابعاً: السلم التحديتي للقيم والمعايير
26	خامساً: السلم الشبابي للقيم من منظور تمكيني (أو حقوق الإنسان شبابياً)
29	الفصل الثالث: القيم التعليمية للشباب
29	مقدمة
29	أولاً: تحولات القيم التعليمية للشباب في المجتمعات الصناعية
30	1- قيود السياسات الجديدة للعولمة وضغوطها على قيم واختيارات الشباب التعليمية
32	2- تحول الشباب نحو قيم وأولويات تعليمية وحياتية جديدة
36	ثانياً: القيم التعليمية للشباب العربي . تقييم واقع التعليم و بدائله
36	1- تحليل أهم التغيرات في قيم الشباب
39	2- تعددية أبعاد حياة الشباب العربي
49	الفصل الرابع: قيم الشباب العربي: المجالات والأولويات
49	دراسة ميدانية استطلاعية على عينتين من الشباب المصري والتونسي
49	مقدمة حول فكرة الدراسة وإجراءاتها المنهجية
49	1- فكرة الدراسة الميدانية
49	2- تساؤلات الدراسة الميدانية
49	3- عينتا الدراسة
50	4- أداة جمع البيانات
51	أولاً: تقييم واقع تعليم الشباب العربي
51	ثانياً: قيم العمل، طموحات محاصرة وبدائل محدودة
54	ثالثاً: القيم المحدة للزواج والعلاقات الأسرية
60	رابعاً: قيم المشاركة السياسية والاجتماعية
63	خامساً: القيم الدينية
65	سادساً: قيم الانتماء، الرصد والتقييم
66	سابعاً: قيم الهجرة، اختيار لمواجهة التحديات
67	ثامناً: قيم الاستقلالية
71	

خاتمة واستخلاصات
استمارة استبيان

مقدمة

يتصدى التقرير الراهن- وهو الإصدار الثاني في سلسلة إصدارات "قضايا الشباب العربي" التي تعد في إطار برنامج "المركز العربي للشباب" والذي ينفذ بالتعاون مع صندوق الأمم المتحدة للسكان - لأحد الموضوعات الأكثر تعبيراً عن حالة وأوضاع الشباب واتجاهاتهم، وهو موضوع القيم. ولا تمثل أهمية دراسة هذا البعد فقط في التمكن من استطلاع رأى للذين يفكرون وفقاً لتلك القيم في حاجاتهم وطموحاتهم وما يواجهونه من تحديات، وما يطرأ حوله من بدائل، وإنما كذلك لتيسر فهم علاقاتهم بالآخر داخل الأسرة وبمؤسسات التعليم والعمل والإعلام، ولفهم أفضل لتفضيلاتهم واتجاهاتهم لآراء قضايا رئيسية، مثل: المشاركة بما فيها المشاركة السياسية، وأنظمة التعليم، والعمل، والزواج، وقضايا النوع الاجتماعي.

إن توفير المعرفة بالقيم السائدة لدى الشباب من شأنه أن يمكن من تصحيح الرؤيا والأفكار المغلوطة حول الشباب، وأن يوفر المؤشرات والقراءات العلمية الكفيلة بإحداث مراجعة سليمة للمعارف والمقاربات والسياسات والبرامج والمشروعات الهادفة تمكين الشباب وتفعيل أدوارهم المجتمعية والتنموية.

وإذ لا يدعي التقرير الراهن الإجابة عن كافة التساؤلات ذات العلاقة بقيم الشباب العربي في هذه المرحلة، والتي تتصف خاصة بضعف البيان والمعلومة حول هذا الموضوع لكنه يعتبر مساهمة جادة لطرح الموضوع على أولويات أجندة البحث العلمي في البلاد العربية، مبيناً أهمية هذا الموضوع في أبعاده المفاهيمية والمنهجية، وفي العلاقات والتفاعلات الاجتماعية، ومن حيث التداعيات على أوضاع الشباب والسياسات ذات العلاقة، كما تساهم أعمال هذا التقرير في تقديم تشخيص أولى لجوانب مهمة في القيم السائدة لدى الشاب العربي، والوقوف على أبعادها وتمفصلاتها مع الأبعاد الأخرى للبناء المجتمعي في البلاد العربية وفي علاقاتها بالتحويلات الكلية على الصعيد العالمي.

وتحقيقاً لهذا الهدف، فقد تضمن التقرير مساهمات استهدفت تقديم مراجعة نقدية للمفهوم والمحددات النظرية والمنهجية وللبیان المتوافر ودلالاته ونواقصه، اعتماداً على ما توافر من معلومات وبيانات، توصل إليها الآخرون، وضماناً لتقديم إضافة فعلية للمعرفة المتداولة. ودعماً للمساهمات حول التعريف والإطار المفاهيمي، تضمن التقرير مساهمة ميدانية أجريت على دراستي حالة، الغرض منها أن تكون مساهمة استرشادية لمسوحات ميدانية، تعتبر المنطقة في أمس الحاجة إليها، لما تعانيه من نقص المعرفة حول قطاع الشباب باعتباره أبرز قطاع اجتماعي، وأهم ثروة ومورد تنموي في حاضر هذه المنطقة ومستقبلها.

أجريت الاستشارة الميدانية في كلتا دراستي الحالة ضمن مقاربة كلية، وبالتركيز على القضايا الشبابية الأكثر تحدياً. والجدير بالملاحظة هنا كون نتائجها في جلها أفرزت معارف واتجاهات لدى الشباب العربي، تعبر عن وعي متميز وواسع الانتشار باحتياجاتهم وأولوياتهم وبآليات مواجهتها، وعن ثقة عالية بقدراتهم، ومن ذلك:

- حرصهم وتأكيدهم على قيم الحرية والاستقلال والحاجة إلى المشاركة.
- وأنه مع تواجد القيم الدينية، متقاطعة مع غير قليل من جوانب الحياة اليومية للشباب، فإن قيمهم الدينية اتسمت بالاعتدال والوسطية والعقلانية.
- أن قيم الشباب تعبر عن التطلع إلى إقامة علاقات متوازنة في الفضاءات التي يعيشون فيها، في الأسرة والمؤسسة التعليمية ومؤسسات العمل والمشاركة ومنظمات المجتمع المدني. ويحرصون على أن تقوم على قيم الاحترام المتبادل والحوار، وليس مجرد الطاعة غير المبررة إلا لدواع عاطفية.
- وأنهم يحرصون على قيم في التعليم والعمل والزواج، تعزز الاعتماد على الذات والاستقلالية والتميز

والنجاح الاجتماعي

- إن جل قيم الشباب تتجه إلى الحداثة وما بعد الحداثة، وإن كانت الشباب أظهرن- في بعض المواقف- ميلاً أكبر إلى قيم الحداثة، وبالذات في اختيار شريك الحياة، وتمسك أغلبهن بحق اتخاذ القرار ومقومات الزواج الناجح.

تؤكد هذه المساهمة على تواضعها، عن كون التعرف على رأى الشباب من شأنه أن يحدث نقلة في رؤية الكبار من أولياء ومسئولين ومتنفيذين لهم، في أولويات السياسة المطلوبة المعنية بالشباب والتنمية ككل، وهو ما يجعلنا نتعشم أن يساهم التقرير في تفعيل الحوار حول قضايا الشباب وقيمهم، وكسب الدعم الواسع من قبل أصحاب الشأن ومتخذي القرار لسياسات فعالة تمكن الشباب وتعمق مشاركته.

ختاماً، أود أن أتقدم بالشكر لكل من يساهم في أعمال هذا التقرير من أعمال فكرية، ودراسات ميدانية، ومراجعة، وتدقيق، وطباعة، وإخراج، سواء من العاملين في إدارة السياسات السكانية والهجرة، ومن خارجها من خبراء وباحثين وفنيين متميزين. كما أخص بكل الشكر والتقدير الشباب الذين تعاونوا مع فريق العمل في الإعداد لجمع البيانات واستيفاء بيانات الاستبانة.

خالد الوحيشي

إدارة السياسات السكانية والهجرة

ملخص تنفيذي: رؤية تركيبية

التقرير الراهن هو ثاني الإصدارات حول قضايا الشباب العربي، وموضوعه "القيم السائدة لدى الشباب العربي: الخصائص والمحددات"، وهو ضمن نشاطات مشروع تمكين الشباب العربي وتفعيل مشاركته في الاستراتيجيات السكانية والتنمية، الذى تنجزه إدارة السياسات السكانية والهجرة، بالقطاع الاجتماعي بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالتعاون مع صندوق الأمم المتحدة للسكان. نقدم فيما يلي محتويات التقرير، استهلالاً بالتعريف بالإطار المفاهيمي الذى اعتمدت عليه أعمال التقرير، ثم نعرض بعجالة أهداف التقرير وتساؤلاته والمنهجية ومصادر البيانات، ثم الإشارة إلى أبرز مخرجات التقرير من مؤشرات ذات دلالة.

أولاً: المحددات المفاهيمية والنظرية للتقرير

- ينطلق التقرير الراهن من مسلمة أساسية ترى صعوبة الفصل- على مستوى الأفعال والممارسات- بين ما يتصل بقيم الشباب وما يرتبط بالمؤسسات والخبرات والعلاقات التي يعيشها ويخبرها الشباب العربي. فالقيم ليست مطلقات خارجة عن السياق المجتمعي، إنها مرجعيات يبرر الشباب وفقاً لها- أفراداً وجماعات- مواقفهم واختياراتهم وتفضيلاتهم، وما يرونه جوراً أو عدلاً، خطأً أو صواباً، وتتجلى هذه المرجعيات عبر ممارسات قابلة للرصد. وهى تتحدد بحصاد ظروف وجودهم الاجتماعي الذي جمع بين خصائص الشاب، كالتعليم، والعمل، والمستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة، والثقافة التي يعيشها (ريفية أو حضرية)، وتأثير المؤسسات التي يخبرها الشباب، بدءاً من الأسرة والمؤسسة التعليمية، مروراً بالإعلام والمؤسسات الأخرى التي يتواصل معها. وهذه المؤسسات ليست أوعية خاوية من المحتوى وقواعد السلوك، وإنما يتأثر محتواها بحصاد سياق مجتمعي، له تضاريسه التوزيعية للثروة والسلطة، وله تجليات تاريخية ومعاصرة

تسهم في تشكيل المرجعيات القيمية للشباب.

- مع أن الشباب فئة اجتماعية شأن غيرها من الفئات، تتأثر بالمتغيرات التي تحيط بمجتمعاتها، إلا أن لهم- إضافة إلى هذا وتفاعلاً معه - وضعاً نوعياً، فبعضه على الأقل يعيش من الآن قيم المستقبل، لأنه أكثر تطلعاً إلى التغيير، وأيضاً لأن غير قليل من أهدافه لم يتحقق بعد، ويتطلع إلى تحقيقها غداً أو بعد غد. وهو في هذا يختلف عن الأجيال الأكبر، التي حقق بعض منها ما كان يتطلع إليه من أهداف، أو سار به قطار العمر فجعله يترك بعض أهدافه على أرصفة بعض محطات ماضية. ومع التسليم بوجود مستوي من القيم المشتركة بين الشباب، فثمة تباينات قيمية بينهم، تحدد سقوف تفضيلاتهم واختياراتهم القيمية أو ترفعها، وهي سقوف تتحدد بأنماط توزيع الفرص الاجتماعية بين الشباب، من حيث الموقع الطبقي للأسرة، وطبيعة الفضاء النوعي للمجتمع المحلي الذي يعيش فيه: عاصمة حضرية، أو مدينة أصغر، أو منطقة عشوائية مهمشة، أو أرياف باختلاف تنوعها في البنيات الاجتماعية العربية. فلو أخذنا- علي سبيل المثال- تباين قيم الفتيان أو الفتيات العربيات، نجد أن الأنساق القيمية العامة تضغط على الفتيات على نحو أكثر كثافة وثقلاً من الفتيان. فالمجتمعات العربية وإن قبلت بتعليم الفتاة فلتربية الأمهات الصالحات غالباً، وإن قبلت بعمل بعض الفتيات والنساء للمشاركة في الأعباء الاقتصادية، يشترط بعض تلك المجتمعات عدم الاختلاط مع الذكور أثناء العمل، كشرط للموافقة على عملها، ولهذا تجد بعضهن يتجمع في مهن بعينها كالتعليم، كما لا تقبل فئات وشرائح من المجتمعات العربية ولا تحب بظهور المرأة في العمل العام، لأنه يؤثر في أدولها المنزلية، كثير من مفردات الثقافة الذكورية تفضى إلى تأكيد أنها غير مهيأة له.

القيم ليست مطلقات خارجة عن السياق المجتمعي. إنها مرجعيات يبرر الشباب وفقاً لها- أفراداً وجماعات- مواقفهم واختياراتهم وتفضيلاتهم. وما يرونه جوراً أو عدلاً، خطأً أو صواباً.

من خصائص القيم وجود
أبعاد صريحة واضحة وأخرى
ضمنية- مواربة- تحدها
قواعد ثقافية لتحديد ما يقال
ويصرح به وما لا يقال

- ولأن من خصائص القيم وجود أبعاد صريحة
واضحة وأخرى ضمنية- مواربة- تحدها قواعد
ثقافية لتحديد ما يقال ويصرح به وما لا يقال،
فإن المجتمعات العربية لا تبتعد عن هذا. ويتجسد
هذا في المساحة المحددة لما يقال وما لا يقال، والتي
تبدو أكثر ضيقاً وتحديداً بالنسبة للشابات أكثر من
الفتيان. ويمثل هذا إحدى إشكاليات دراسة القيم
والتي بحاجة إلى إبداعات منهجية للتواصل مع
المسكوت عنه والضمني من القيم.

- وثمة سؤال مركزي حول إشكاليات قراءة قيم
الشباب هو: من الجدير بهذه القراءة؟ وكيف يكون
موضوعياً في قراءته لها؟ بالطبع لم نتظر الإجابة
التقليدية التي تقول بأن الباحثين وحدهم هم
الأكثر قدرة على تلك القراءة، خاصة عندما
يعتمدون على مقاربات نظرية وأساليب منهجية
خضعت لمعايير علمية صارمة عند اختيارها.
ودواعي عدم انتظار تلك الإجابة كثيرة، منها:
هل توجد مقاربة في العلوم الاجتماعية- وفي
بعض العلوم الطبيعية- خالية تماماً من انحيازات
أيديولوجية؟ وهل توجد علوم اجتماعية- كما
ذهب مفكرون بارزون في تاريخ العلم الاجتماعي،
"ماكس فيبر وإميل دور كايم وغيرهما"- متحررة
من كل القيم والرؤى والأيديولوجية.....؟ إن ما
نعنيه هو قراءة قيم كل من الشباب والكبار لقيم
الشباب على مستوى التفضيلات والممارسات،
ولا نقصد بالكبار فقط أولياء الأمور في الأسرة،
وإنما كل الأولياء في مواقع السلطة واتخاذ القرار.
فهؤلاء الكبار يجلسون على مقاعد السلطة، وهم
المطالبون بالتخلي عن قسم من سلطاتهم وعدد
من مقاعدهم للشباب، حال نضج وعيهم بضرورة
مشاركة الشباب في اتخاذ القرار.

- اعتبر التقرير سياق العولمة- بإنجازاته ومخاطره
وتحدياته وفرصه- من الأبعاد والمحددات
الضرورية لفهم قيم الشباب العربي، ومن ثم
اعتبره مستوى أساسياً من مستويات تحليل
الفضاء الأشمل المؤثر في تفضيلات الشباب
وطموحاته القيمية، ذلك لأن الشباب العربي-
وفقاً لملاحظات إمريقية متعددة- هو الأكثر

الشباب العربي هو الأكثر
تعاملاً مع إنجازات العولمة
مقارنة بالانجيل الأكبر. كما أن
تداعيات العولمة- الاقتصادية
والسياسية والثقافية-
طرحت عليه أكثر من الأجيال
السابقة تحديات هامة. خاصة
في العمل والزواج والمشاركة
وقضايا الهوية الحضارية
والتطلع إلى الهجرة.

تعاملاً مع إنجازات العولمة مقارنة بالأجيال الأكبر،
كما أن تداعيات العولمة- الاقتصادية والسياسية
والثقافية- طرحت عليه أكثر من الأجيال
السابقة تحديات هامة، خاصة في العمل والزواج
والمشاركة وقضايا الهوية الحضارية والتطلع إلى
الهجرة. وفي هذا السياق، بينت فصول التقرير
أنه برغم أن العولمة واجهت الشباب بالبطالة
خاصة لدى الشباب العربي المتعلم في الحواضر
والمدن، فإنها فتحت أمام أعداد متزايدة منه
بعض أبواب فرص التعلم والعمل عن بعد، كما
أتاحت له- عبر شبكة المعلومات العالمية- أن
يصنع عوالم افتراضية مثالية، للتعبير عن همومه
واهتماماته والحوار مع غيره من الشباب، لمواجهة
المعوقات والمحرمات التي حالت بينه وبين البوح
بتفضيلاته وأهدافه القيمية مع أبويه أو مع
معلميه ورؤسائه في العمل، إن كان قد قدر له أن
يلتقط إحدى فرص العمل.

- مع الاهتمام بعملية العولمة ومصاحباتها
وتداعياتها وتحدياتها وفرصها في معظم
فصول العمل الراهن، فإن هذا لم يجعل التقرير
غافلاً عن تفاعلات التغيرات التي طرأت على
المجتمعات العربية مع مصاحبات العولمة، تلك
التغيرات التي تجسدت انعكاساتها في سياسات
التحرير الاقتصادي وإعادة التكيف والانضباط
على ساعة الرأسمالية الكوكبية. فقد برزت أنماط
استثمارية في التعليم والعلاج والتداوي. وسيبين
التقرير فيما سيلي أوجه الالتقاء بين الإنتاج
الاقتصادي من جانب وإنتاج القيم (اجتماعية
أم سياسية، أم جمالية) من جانب آخر، فهما
يشتركان في النسبية والفاعلية والتدبير الذاتي
والطاقة الإبداعية، وحتى في الإنتاج الرمزي،
أي القدرة على خلق القيم وعلى شحن الأشياء
الخرساء- السلع- بعلامات ودلالات وإعلانات
تجعلها قابلة للتداول بين الناس. ولقد تضافرت
عوامل سياسية وثقافية- عالمية وإقليمية- على
إحداث تغييرات في القيم الأكثر انتشاراً بين
الشباب.

ثانياً: أهداف التقرير وتساؤلاته

جدول رقم 1- بعض المؤشرات الدالة على القيم السائدة في العينة المصرية والتونسية

المظاهر القيمية	مصر %		تونس %	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث
تفضيل العمل الحكومي	31.9	49.3	44	60
العائد المادي من العمل هو الأهم	55.7	44.6	52	50
التفاهم كصفة أساسية في شريك الحياة	24.7	37.2	49	56
التدين صفة من صفات شريك الحياة	61.3	44.4	5	8
التفاهم والتسامح أساس لنجاح الزواج	42.1	46.5	31	38
الحب أساس لنجاح الزواج	26.8	21.4	88	36
قرار الزواج الفردي	66.4	40.9	61.6	72.3
الصعوبات الاقتصادية تؤخر الزواج	72.8	91.9	45	42

المصدر: من بيانات دراستي الحالة الميدانيتين 2006

سعى التقرير إلى إنجاز مجموعة من الأهداف العلمية والعملية- لفائدة تطوير سياسات تمكين الشباب لتفعيل مشاركته في الاستراتيجيات السكانية والتنمية- كان من أهمها: المساهمة في استطلاع وتحليل وتفسير خصائص القيم السائدة لدى الشباب العربي، وذلك لتوفير بيانات ومعلومات لإثراء قواعد البيانات ذات العلاقة.

ثالثاً: تساؤلات التقرير

في ضوء الأهداف التي سبق تحديدها، يمكن صياغة التساؤلات التالية لبلورة لتلك الأهداف:

الأول: ما أهم القيم السائدة لدى الشباب العربي؟

- ما أهداف القيم ووسائل تحقيقها؟

- ما الأولويات القيمية للشباب وفي تراتبيتها رأسياً وفي علاقتها ببعضها البعض أفقياً؟

الثاني: ما النمط السائد في قيم الشباب: التقليدي، أو الحداثي، أم ما بعد الحداثي، أم مزيج بين الأنماط الثلاثة؟

الثالث: منهجية إعداد التقرير ومصادر بياناته

بجانب تحليل بيانات الدراسات والبحوث السابقة ذات العلاقة بقيم الشباب، اعتمد التقرير على أوراق خلفية أعدها مجموعة من الخبراء المتميزين، بجانب إعداد دراسة ميدانية على عينتين من الشباب المصري والتونسي لعلاجة الثغرات في البيانات المتاحة وتحديث بعضها*.

رابعاً: أهم النتائج الميدانية

بعض المؤشرات الدالة على القيم السائدة لدى الشباب العربي

يبين الجدول رقم 1 أن هناك إجماعاً بشأن مضمون بعض القيم الشبابية، والتي وإن بدا تفاضلاً ظاهرياً بينها، فهي في عمقها تبدو أكثر تكاملاً وتداخلاً، باعتبار تكامل وتداخل الحقوق والأهداف والحاجات الشبابية. ففي

حين كان تركيز قرابة أكثر من نصف العينة الإجمالية- مصر وتونس- على العائد المادي من العمل، كان التركيز على التفاهم كشرط في شريك الحياة والتسامح كأحد الشروط المسبقة لنجاح الزواج واستمراره.

كما تؤشر البيانات- بوضوح- على تباين واضح في الأولويات القيمية بين عيني شباب مصر وتونس. ففي الوقت الذي ركز فيه الشباب المصري- تحت وطأة خصوصية الوعي الديني وقوة التيارات الدينية والتغيرات المتلاحقة في القيم والأخلاقيات- على التدين كصفة رئيسية في شريك الحياة، كان تركيز الشباب التونسي على الحب والتفاهم كمتطلب أول وأساس لنجاح الزواج.

وإذا أخذنا قيمة الطاعة كقيمة تقليدية أساسية في النسق القيمي العربي- على سبيل المثال- سنجد أنها كانت أكثر حضوراً في أسر المجتمع العربي وفي العلاقات بالمؤسسات الحكومية التي يمر بها الشباب عبر دورات حياتهم، كالمدسة والعمل، وحتى النظام السياسي. حقيقة استمرت الطاعة كقيمة، لأن مرتكزاتها السياسية والاقتصادية والثقافية لاتزال فاعلة في إعادة إنتاجها. غير أنه من منظور قيم مستقبلية سيحملها معه الشباب من الحاضر إلى المستقبل، تعد هذه القيمة من القيم المرشحة للاستعاضة بقيمة التفاهم والحوار والاحترام المتبادل على مستوى الأسرة ومع الأقران.

وإذا كانت الصورة المثالية للشباب- من منظور

تعد هذه القيمة من القيم المرشحة للاستعاضة بقيمة التفاهم والحوار والاحترام المتبادل على مستوى الأسرة ومع الأقران.

* هناك مزيد من التفصيلات النظرية والمنهجية حول هذه الدراسة في الفصل الرابع من التقرير الراهن

جدول رقم 2- بعض قيم العلاقات الأسرية

البلد		مصر%		تونس%	
المظاهر القيمية		إناث	ذكور	إناث	ذكور
الرضا عن العلاقة بالوالدين		62.3	87.6	-	-
الأب الناجح هو الأب المتفاهم		44.6	34.9	26	45
الأب الناجح هو الذي يشجع على الحوار		21.4	22.1	44	26
الأب الناجح هو الذي يحرص على مشاركة كل أفراد الأسرة في القرارات الأسرية.		18.3	15.3	13	11

المصدر: جدول تجميعي من بيانات الدراسة الميدانية للتقرير الراهن

يتطلع الشباب إلى نموذج قيمي مغاير، يتمركز حول حرية القرار وتحمل المسؤولية والاستقلالية النسبية وفق مراحل إعدادهم وتعليمهم وعملهم.

بعض القيم المحددة للعلاقات الأسرية

ولعدم قدرة الشباب- في مراحل التعليم تحديدا- على الاستقلال عن الأسرة، سنجد غير قليل منهم قد أقام مصالحة انتقائية بين القيمة الفردية والقيم الجماعية للأسرة، فهو يرغب في الاستقلال عنها، غير أنه لا يقدر عليه، وبعض الشباب العربي لم يدرّب على تحمل تبعاته إن لم تكن من الناحية المادية فمن الناحية النفسية. ويمكن أن نلاحظ قيماً أخرى لدى الشباب بدأت تأخذ معاني مغايرة، ففى الوقت الذي كانت فيه "القناعة والبركة" و"التوفيق" من قيم الآباء بدأت تنحسر لتأخذ مكانها قيمة الطموح في التعليم والعمل والمال والتفكير العقلاني الذي يقترّب بقيم الشباب في العيّنات المدروسة من قيم الحداثة وما بعد الحداثة.

بعض قيم الحداثة العقلانية والمادية

تعزز بيانات الجدول قيمة التعليم الذي يعد للعمل، وكذلك قيمة العمل ذي العائد المادي الأعلى، كما يبرز الجدول حالة الربط الراسخة بين النجاح

الكبار خاصة الأبوين- هي صورة الشابة أو الشاب المتفوق دراسياً والملتزم أخلاقياً والصحيح جسمياً، والتي غالباً ما يقترن بها قلة المجادلة والانصياع لتوجهات البالغين، فإن هذه الصورة قابلة للتعديل، إذا لم يكتف الكبار فقط بالتركيز على واجبات الشباب والتزاماتهم، وأقاموا جسراً لمصالحتها مع حقوقهم الأساسية. لقد بين التقرير- سواء في الجزأين المتعلقين بالقيم الأسرية أو قيم المشاركة- أن الشباب يتطلعون إلى نموذج قيمي مغاير، يتمركز حول حرية القرار وتحمل المسؤولية والاستقلالية النسبية وفق مراحل إعدادهم وتعليمهم وعملهم.

يتجه الشباب في عينتي الدراسة نحو قيم الاستقلال والتحرر والعقلانية، ويدركون أهمية المادة لإشباع الحاجات، والحب لدعم العلاقات الأسرية، ومن ثم فهم أكثر اتجاهاً نحو قيم الحداثة وما بعد الحداثة، مع قدر ملحوظ من التفاوت في بعض القيم بين شباب العينة المصرية مقارنة بالعينة التونسية.

ولعدم قدرة الشباب- في مراحل التعليم تحديدا- على الاستقلال عن الأسرة، سنجد غير قليل منهم قد أقام مصالحة انتقائية بين القيمة الفردية والقيم الجماعية للأسرة.

جدول رقم 3- بعض مظاهر القيم العقلانية

البلد		مصر%		تونس%	
المظاهر القيمية		إناث	ذكور	إناث	ذكور
التعليم الجيد هو الذي يعد للعمل		36.2	43.4	27	28
التعليم ينمي الشخصية		35.3	25.9	19.5	15.5
التعليم الجيد هو الذي يساعد على التفتح		4.6	3.4	11.5	13
التعليم الجيد هو الذي ينمي الاعتماد على الذات		51	10.6	30	13
الشباب الناجح هو المعتمد على ذاته		35.8	25.9	45	57
العمل المفضل هو العمل ذو العائد الأعلى		44.6	55.7	50	52

المصدر: جدول تجميعي من بيانات الدراسة الميدانية للتقرير الراهن

والاعتماد على الذات، وهي جميعاً تتمحور حول حاجات الشباب لتحقيق استقلاله. وبوسع المتأمل في ارتفاع نسب رفض الشباب للتعليم الحال في الحالتين المذكورتين- مصر وتونس- مقارنة بالشبان الذهاب إلى أن ثمة إدراكاً لدى الشباب بأن التعليم الحالي ليس مواتياً لهم، فهو حسب بعض تخصصاتهم- التربية والتمريض وكليات الإنسانيات- لا يتيح لهم فرصاً كالشباب، إن لم يكن يؤدي إلى إعادة إنتاج فجوة النوع بينهن وبين الشبان. ولأن الرفضات للتعليم الحالي كن أكبر من الراضين له، فقد أتت من أولي صفات التعليم الجيد، بأنه الذي يعد للعمل والذي ينمي شخصية المتعلم، وكانت نسبة من الذين طلبوا تخصصهم الحالي في العينة المصرية أعلى لدى الشابات 5.46% مقابل 54% لدى الشباب، كما كانت نسبة من صرحن بأن التعليم الجيد هو الذي يطور شخصية المتعلم 3.53% مقابل 9.52% فقط لدى الشبان، وكانت نسبة من رغبن في تغيير تخصصاتهم في العينة التونسية 8.73% مقابل 1.92% لدى الشبان، وكانت نسبة من أجابت بأن التعليم الجيد هو الذي ينمي الشخصية 5.51% من الشابات مقابل 5.91% لدى الشبان في نفس العينة.

والذي يلفت الانتباه وجود بعض التباين وأحياناً التعارض بين قيم الشبان والشابات، والتي تنبع- بالأساس- من المرتكزات الثقافية لفجوة النوع الاجتماعي. فمن خلال الدراسة الميدانية ظهر أن الشابات أكثر تفضيلاً للتعليم الذي ينمي الشخصية، كرد فعل على صورتهم النمطية التي جسدها المجتمع لهم، كما أنهن أكثر تفضيلاً للعمل الحكومي مقارنة بالذكور، وذلك لأن ظروف العمل في القطاع الخاص لاتضمن ديمومة العمل أو الاستقرار فيه، حيث يفضل بعض أصحاب هذا القطاع عمل الشاب على الشابة، تحسباً لإجازات الوضع والرضاعة وغيرها من الحقوق التي أقرتها القوانين، فضلاً عن طول فترات العمل في القطاع الخاص والتي تصل إلى 21 ساعة يومياً في بعض الأحوال، مما يعني استغلالهن وتأثيره المستقبلي على أوضاعهن الأسرية. وبدت فجوة النوع في قرار الزواج حاملة لمسيرة تلك الفجوة في مصر، حيث فضل القرار الفردي في

الزواج في العينة المصرية 6.34% و4.66% لدى الشابات والشباب، وأتى الوضع مختلفاً لدى الشابات التونسيات في هذا القرار 3.27% مقابل 6.16% لدى الشباب وهو ما يعني رسالة احتجاج أو رغبة في تأكيد الذات لدى الشابة التونسية.

- لعل من أهم نتائج التقرير والتي نراها أولية وبحاجة إلى تثبت علمي ما يسمي في أدبيات القيم بشبكة القيم وتدرجها، والتي تعبر عن نوعين من التوزيع هما: التوزيع الأفقي التواصلي للقيم، وهو الذي يمكن التعبير عنه كمياً، ويعبر الثاني عن تدرجها، ويمثل تعبيراً عن الأفضليات أو الأولويات القيمية، والتي يعبر عنها كيفياً. وفي هذا الإطار، بين التقرير اتساع التوزيع الأفقي نظراً لأن كثيراً من أهداف الشباب لم يتحقق بعد بحكم المرحلة العمرية- التكوينية- التي يمر بها، كالتعليم والعمل والزواج، والتي لاتزال أهدافاً بحاجة إلى تحقيق. غير أن الالفت للنظر هو أن التدرج العمودي لقيم الشباب كاد أن يتوزع في ثنائيات متتالية من الأكثر تفضيلاً ثم ما يليه، حيث أتت في أعلى تدرج قيم الشباب الحرية والاستقلالية، وهي أولوية واعية بوضعية الشباب الآنية حاضرًا، حيث لا يدخل الشباب مرحلة النضج إلا بتحرره واستقلالته عن يعتمد عليهم في مرحلة إعدادة وتكوينه، لينتقل إلي نحو مرحلة أخرى يستقل فيها بنفسه معتمداً على ذاته، وتكاد تحكم هاتان القيمتان المتداخلتان قيماً أخرى لدى الشباب. فالقيم المادية- التي لاتخلو من برجمانية- هي التي جعلت أقساماً من الشباب تختار تعليماً نوعياً، لعمل ذي دخل نوعي، خاصة في مجالات العمل التي أنتجت تداعيات العولة ومصاحباتها. وقد تبين من بعض تفضيلات الزواج لدى بعض الشابات العربيات أنه- في ضوء وعيهم- أحد مسالك الاستقلال عن هيمنة الأسرة وسلطتها الأبوية.

- ويحوز الشباب قيماً متنوعة تخص مشاركتهم في شؤونهم وشئون أسرهم ومجتمعاتهم، غير أن ثمة مجموعة من الصعوبات تواجه التواصل بين الشباب وأسرهم ومجتمعاتهم، فبعض

أن ثمة إدراكاً لدى الشابات بأن التعليم الحالي ليس مواتياً لهم، فهو حسب بعض تخصصاتهم- التربية والتمريض وكليات الإنسانيات- لا يتيح لهم فرصاً كالشباب، إن لم يكن يؤدي إلى إعادة إنتاج فجوة النوع بينهن وبين الشبان.

أتي في أعلى تدرج قيم الشباب، الحرية والاستقلالية، وهي أولوية واعية بوضعية الشباب الآنية حاضرًا، حيث لا يدخل الشباب مرحلة النضج إلا بتحرره واستقلالته عن يعتمد عليهم في مرحلة إعدادة وتكوينه

جدول رقم - 4 بعض مدركات الشباب حول المشاركة

البلد	مصر%		تونس%	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث
المشاركة في النشاطات الطلابية	48.9	55.8	47	36
أرفض أن أكون عضواً في مجلس إدارة جمعية أهلية	57.4	57.4	66	60
ليس لدي بطاقة إنتخابية	47.7	66.5	48	51
المشاركة في الانتخابات البرلمانية	18	51	26	22
الشباب لا يشاركون في السياسة	53.6	54		
الشباب لا يثق في المشاركة السياسية	50	44	29	26
عدم المشاركة للجهل بأساليب المشاركة	-	-	20	26

المصدر: جدول تجميعي من بيانات الدراسة الميدانية للتقرير الراهن

الشباب يتجنب المواجهة مع الآباء وينصرف إلى عالم الأصدقاء والمشاركة عبر شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، فقد ذكر بعض الشباب أنهم يلجئون إلى هذه الشبكة هروباً من مواجهة الأسرة، وبعضهم يقول للوالدين عكس ما يفعل لإرضائهم.

وفي مجال الأولويات والأفضليات ذات الصلة بالمشاركة، يفضل حل الشباب في حدود البيانات المتاحة- المشاركة في المنظمات غير الحكومية، خاصة

الجمعيات الأهلية، كأفضلية على المشاركة في العمل السياسي المنظم، حيث تتيح الجمعيات الأهلية فرصاً للاستقلالية في التعبير عن الرأي وتنمية القدرات والتقدير الذاتي، بالمقارنة بالعمل السياسي المنظم الذي لا يزال يحكمه الكبار حائزو السلطة والنفوذ. وتوضح معطيات الجدول أنه ثمة معلومات وتفضيلات سلوكية لدى الشباب يمكن التعامل معها، في مقدمتها حث الشباب على جدوى المشاركة، وتنمية قدراتهم ومهاراتهم بشأنها.

ثمة مجموعة من الصعوبات تواجه التواصل بين الشباب وأسرهم ومجتمعاتهم، فبعض الشباب يتجنب المواجهة مع الآباء وينصرف إلى عالم الأصدقاء والمشاركة عبر شبكة المعلومات الدولية

الجمعيات الأهلية، كأفضلية على المشاركة في العمل السياسي المنظم، حيث تتيح الجمعيات الأهلية فرصاً للاستقلالية في التعبير عن الرأي وتنمية القدرات والتقدير الذاتي، بالمقارنة بالعمل السياسي المنظم الذي لا يزال يحكمه الكبار حائزو السلطة والنفوذ. وتوضح معطيات الجدول أنه ثمة معلومات وتفضيلات سلوكية لدى الشباب يمكن التعامل معها، في مقدمتها حث الشباب على جدوى المشاركة، وتنمية قدراتهم ومهاراتهم بشأنها.

ثمة مجموعة من الصعوبات تواجه التواصل بين الشباب وأسرهم ومجتمعاتهم، فبعض الشباب يتجنب المواجهة مع الآباء وينصرف إلى عالم الأصدقاء والمشاركة عبر شبكة المعلومات الدولية

هذه بعض الاستخلاصات التي عني التقرير قصداً لفت نظر القارئ إليها. للحوار بشأنها، وطرح ما يراه من قضايا وأفكار حول قيم الشباب العربي. فمسعى التقرير هو الحوار العلمي المعرفي حول قضايا الشباب. خاصة وأن القيم مدخل مهم للتمهيد لفهم واقع الشباب العربي لحل مشكلاته ومواجهة تحدياته بهدف تمكينه.

قيم الشباب: في المفاهيم والمحددات المجتمعية*

مقدمة

القيم هي أحد أهم الموجهات لتفكير الإنسان وتقييمه لمفردات واقعه الفردي والجماعي والمجتمعي، وتمثله لمفردات هذا الواقع، وبالتالي هي تمثل أساساً انتقاء تفضيلاته للتصرفات وأنماط السلوك في مواقف الحياة اليومية، وقد يلتقي في هذا مع الآخرين (أفراداً وجماعات)، أو يبتعد عنهم قليلاً أو كثيراً.

ولهذا شكلت القيم- في نسقها الفردي والجماعي- اهتماماً دائماً لدى كبار الفلاسفة والمفكرين ورواد العلوم الاجتماعية، وأضحى شكل الاهتمام بها وبمضمونها وعلاقتها بمفردات البنية الاجتماعية للمجتمع الإنساني أو مستوياتها منفردة ومتفاعلة فارقاً بين أعمال المفكرين وبين النظريات الكبرى في العلوم الاجتماعية. فالنظريات المثالية الساعية إلى التكامل والتوازن الاجتماعي رأتها كما لو كانت معطي أساسياً من معطيات الحياة الإنسانية، وبالتالي كلما اتسعت دوائر الاشتراك فيها وانتشرت بين غالبية الأفراد والجماعات كان ذلك أساساً من أسس الاستقرار الاجتماعي والحفاظ على الأوضاع والعلاقات الاجتماعية القائمة. فالقيم في هذا الاتجاه من أهم محددات الوجود الاجتماعي للأفراد والجماعات والمكانات الاجتماعية. ويكون العكس صحيحاً تماماً، فعندما تتباين القيم على مستوى الأفراد والجماعات، وتتناقض أهدافها مع بعضها البعض، وتصبح الوسائل المحددة من قبل النظم والمؤسسات غير قادرة على تحقيق الأهداف التي حددها النسق القيمي العام للمجتمع، يصاب المجتمع بحالة من الأنومي Anomie، أو خلل القيم وفقدانها لأدوارها

التوجيهية كما بين روبرت ميرتون أحد أهم وأبرز منظري هذا الاتجاه¹. أما الاتجاه الواقعي النقدي في العلوم الاجتماعية، فهو وإن كان يسلم بأهمية القيم في توجيه تفضيلات الناس وانتقاء أفعالهم وتصرفاتهم، إلا أنها تتحد في هذا الإتجاه بوجودهم الاجتماعي من حيث مواقعهم من علاقات التملك- العمل، ومن حيث الفرص الاجتماعية التي تتيحها لهم أو تحجبها عنهم توزيعات الثروة والسلطة في المجتمع، ولهذا يري هذا الاتجاه أن التباين في القيم أمر ضروري نظراً لتباين مفردات الوجود الاجتماعي للناس، وأن تناقضها أيضاً يعد واقعياً وطبيعياً بسبب تناقض أهداف الناس نتيجة تناقض مصالحهم، وهذا التناقض هو الذي يدعم حركة القيم صوب التغيير الدائم والمستمر، وبصرف النظر عن شدته وسرعته وعمقه ونتائجه.

وهذا التحديد هو ما أتى به المفكر العربي الشهير عبدالرحمن بن خلدون، عندما أوضح- في مقدمته- كيف أن أخلاق الناس وقيمهم تختلف وتتباين بتباين فرصهم من المعاش- التملك/ العمل. وكما تعدد القيم من منظور الاتجاه النقدي أحد أهم مكونات الوعي الاجتماعي الذي يتحدد بالوجود الموضوعي للناس²، وليست العلاقة بين الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي، بما في ذلك القيم علاقة ميكانيكية تعكس ضرورات وطموحات الوجود في الوعي كما هو الحال عند النظر في المرأة، لأن ثمة متغيرات وعوامل تتدخل في هذه العلاقات فتجعل الوعي أكثر أو أقل تعبيراً عن هذا الوجود، ومن ثم نجد بعضاً من المستضعفين والعمال والشباب والنساء يتمسكون بقيم تتعارض جزئياً أو كلياً مع أهدافهم ومصالحهم، حيث تلعب الأسرة الأبوية والمؤسسة التعليمية

التباين في القيم أمر ضروري نظراً لتباين مفردات الوجود الاجتماعي للناس، وأن تناقضها أيضاً يعد واقعياً وطبيعياً بسبب تناقض أهداف الناس نتيجة تناقض مصالحهم، وهذا التناقض هو الذي يدعم حركة القيم صوب التغيير الدائم والمستمر، وبصرف النظر عن شدته وسرعته وعمقه ونتائجه.

ومن ثم نجد بعضاً من المستضعفين والعمال والشباب والنساء يتمسكون بقيم تتعارض جزئياً أو كلياً مع أهدافهم ومصالحهم، حيث تلعب الأسرة الأبوية والمؤسسة التعليمية والإعلام ومؤسسات الثقافة المهيمنة أدواراً في تنشئة المضارين من الأوضاع والعلاقات الاقتصادية وأوضاع السلطة، فتجعلهم يتمسكون ببعض القيم رغم تعارضها مع أهدافهم ومصالحهم وطموحاتهم

الدكتور/ عبد الباسط عبد المعطي، مستشار إدارة السياسات السكانية والهجرة، أستاذ علم الاجتماع جامعة عين شمس،

Email: abdelbasset@poplas.org

والإعلام ومؤسسات الثقافة المهيمنة أدواراً في تنشئة المضارين من الأوضاع والعلاقات الاقتصادية وأوضاع السلطة، فتجعلهم يتمسكون ببعض القيم رغم تعارضها مع أهدافهم ومصالحهم وطموحاتهم³.

وفي هذا السياق، يرضخ بعض الشباب لبعض أوامر ونواهي السلطة الأبوية وسلطة المعلم نتيجة لاحتياجهم إلى دعمها المادي والنفسي والعاطفي، ويحدث نفس الأمر عندما يرضخ بعض العمال لشروط أصحاب العمل حتى ولو كانت جائرة، لعدم وجود فرصة عمل بديلة، يرضخ بعض النساء لبعض القيم والتصورات السلبية حولهن، لأن الثقافة الذكورية السائدة شكلت قيمهم على قبول هيمنة الذكر، خاصة الشابات التي انحسرت أمامهن فرص التحرر النسبي من هيمنة الذكر، سواء بالتعليم والعمل أو تكريس الثقافة الداعمة لحقوق المرأة

يساعد فهم قيم الشباب على فهم تفضيلاتهم وطموحاتهم وأولوياتهم الراهنة والمستقبلية وتفهم أنماط سلوكهم حتي التي قد يصاحبها مخاطر عليهم، وبالتالي يعد هذا الفهم إحدى أهم ركائز تطوير السياسات المعنية بالشباب، أو إيجاد بدائل لها تكون مواتية لما يفكر فيه الشباب.

كإنسان ومواطن.

انطلق التقرير الراهن في تحديد مفهوم القيم ومحدداتها وتأثيراتها على تصورات وتفضيلات وأفعال الشباب وأنماط سلوكهم من قضايا الاتجاه النقدي⁴، التي تسلم بأهمية القيم وتأثيراتها في انتقاء الشباب لأفعالهم ووسائل تحقيق تلك الأهداف، وكما تسلم بأن قيم الشباب تتباين أفقياً حسب ظروف وجود كل مجموعة منهم، ذكوراً وإناثاً، وحسب فئات السن، وحسب المجتمعات المحلية التي يعيشون فيها، بدوية أو ريفية أو حضرية، رغم وجود قدر من الاشتراك بينها فإنها تتباين- أيضاً- وفقاً لمدي دعم حقوق الشباب وتحققها، فالحقوق والقيم وجهان لعملية متفاعلة، هي الإعداد وتوسيع الخيارات المجتمعية. وأن قيم الشباب تتباين رأسياً حسب مواقفهم الطبقيّة التي تتيح فرصاً متباينة في

تتباين قيم الشباب وتتناقض عن قيم الأجيال السابقة عليهم. فقيم الكبار- آباء ومعلمين ورؤساء في العمل، وفي الأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني- تشكلت جلها في سياق مجتمعي وعالمي يعيئه جيل الشباب، فضلاً عن أن الكبار في إجمالهم قد حققوا جل أهدافهم، أو تنازلوا عن بعضها في محطات أعمارهم السابقة.

التنشئة والتعلم والتداوي وفي العمل وفي المشاركة، وفي الاستفادة- حجماً وكثافة- من المنجزات العلمية والتكنولوجية، بما في ذلك التعامل مع الحاسوب وشبكات المعلومات. كما تتوزع قيم الشباب بين قيم تعليمية، وقيم أسرية، وقيم للعمل والمشاركة السياسية...إلخ. ففي مرحلة التعليم تكون الأولويات والتفضيلات التعليمية في أعلى سلمية أو تدرج قيم الشباب، دون إغفال القيم الأخرى: العمل، الزواج، المشاركة...إلخ. وإذا كان الشاب قد أنهى تعليمه ولم يلتحق بعد بالعمل الذي يفضله ويراه لائقاً ومتوائماً مع طموحاته وحراكه المهني، يكون هذا العمل أولوية تشغل قمة سلمية قيمه أو تدرجها. وبهذا، كلما حقق الشاب أولوية حسب مراحل نموه واعتماده على ذاته، وتحقيقه لاستقلاله النسبي، أتى ما يليها متحركاً نحو قمة الهرم القيمي، ولا ينفى هذا أن بعضاً من الشباب يجمع في المرحلة الواحدة بين أكثر من أولوية عندما تقتضي ظروفه الأسرية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية هذا، فبعض الشباب يجمع بين التعليم والعمل- على سبيل المثال- في زمن اجتماعي واحد.

ويسلم الإتجاه النقدي بأن قيم الشباب تتباين وتتناقض عن قيم الأجيال السابقة عليهم، فقيم الكبار- آباء ومعلمين ورؤساء في العمل، وفي الأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني- تشكلت جلها في سياق مجتمعي وعالمي مغاير عن السياق الذي يعيئه جيل الشباب، فضلاً عن أن الكبار في إجمالهم قد حققوا جل أهدافهم، أو تنازلوا عن بعضها في محطات أعمارهم السابقة، هم بإيجاز يفكرون ويختارون- إلا المتفتح منهم المستوعب للتغيرات المحيطة بالشباب- وفق قيم زمانهم، وهو غير أزمان الشباب الذي هو بحكم مرحلة الإعداد- التعليم مثلاً- يرحل جل أهدافه تحت ضغط الواقع الاجتماعي والاقتصادي الذي ينتج- مثلاً- البطالة، وأيضا تأخر سن الزواج.

لأن قيم الشباب ذات علاقة مباشرة بالأهداف التي يرتضونها أو يرفضونها وفقاً لقدرتها على تحقيق طموحاتهم وغاياتهم، وذات علاقة مباشرة بالوسائل التي يقبلونها أو يرفضونها، وفقاً لقدرتها على تحقيق أهدافهم، فإن الإتجاه النقدي يرى أنه كلما اتسعت مساحة رفض الشباب للأهداف والوسائل

المحددة مجتمعياً دُلَّ هذا على خلل في تلك الأوضاع وعلى تقصيرها في التفاعل الإيجابي مع حاجات الشباب وحقوقهم وطموحاتهم.

إن القيم السائدة بين الشباب العربي في التقائهم وتباعدها بين المشترك والمتباين فيها، يساعدنا في فهم مستقبل نسق القيم العام وأنساقه الفرعية في المجتمع العربي، فالشباب غداً وبعد الغد هم العامل والطبيب والعلم والقاضي ورجل الشرطة والقوات المسلحة والمدير والوزير إلخ، وسيكرسون قيماً ستحدد- متفاعلة مع العوامل الأخرى الخارجية والداخلية الاقتصادية والسياسية والثقافية- النسق المستقبلي العام للقيم العربية.

القيم ليست تفضيلات مجردة أو مطلقة، فهي مشروطة بالظروف النوعية للشباب، كالسن والنوع والتعليم والعمل والتملك والثقافة، وبظروف موضوعية مجتمعية تحدد الظروف النوعية للشباب، ومساحة البدائل المتاحة أمامهم للتفضيل والاختيار

أولاً: القيم: المفاهيم والمحددات

تبنى التقرير الراهن مفهومين أساسيين بالإضافة إلي مفاهيم أخرى سيرد تحديدها في مواقع تالية من التقرير، هذان المفهومان هما: القيم، والشباب.

قيم الشباب⁵ هي موازين ومقاييس يتمثلها الشباب عبر ظروف حياتهم النوعية وظروف مجتمعاتهم، ويحددون وفقاً لها أهدافهم ووسائل تحقيقها في مواقف الحياة اليومية التي يدخلون فيها، ويكون عليهم الانتقاء من بين بدائلها المتاحة:

إن عمليات التفضيل والانتقاء من بين الوسائل الأهداف ليست حرة، وإنما مشروطة بمجموعتين متفاعلتين جدلياً من الشروط: تنتج أولهما الثانية، تتمثل الأولى في الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي يحددها التكوين الاجتماعي الذي يحدد بدوره أنماط توزيع الثروة الوطنية: الأصول الرأسمالية وطرائق استغلالها وتوظيفها، وتوزيع عوائدها وفوائدها، ومدى الالتزام المجتمعي

الذي يحدده النظام السياسي لدعم حقوق الشباب- كمواطنين- وحقوق الفئات والشرائح والطبقات الاجتماعية عامة، خاصة الحقوق السياسية وفي مقدمتها حقوق المواطنة وحقوق الممارسة الديمقراطية. فكما كان الاقتصاد ريعياً، أنتج سلطة فردية أبوية على المستوي العام وعلى مستوي الأسر ومنظمات المجتمع المدني والمؤسسات الحكومية، وكما تنوع الاقتصاد كان أكثر قبولاً للتنوع السياسي، وكان أكثر استعداداً لتفعيل حقوق الإنسان وممارسة أركان الحكم الرشيد، كالاكتكام لحكم القانون، وتداول السلطة، والمشاركة الاجتماعية والسياسية، والحكم المحلي الجيد، والمسئولية والمحاسبية أو المساءلة والشفافية. ويترتب على هذا تنوع البدائل أمام تفضيلات الشباب، بعكس النظام الأبوي الذي تكاد تنحسر فيه البدائل، ومن ثم تكون الاختيارات المتاحة أمام الشباب محدودة، وربما مغلقة، فيصغي للأوامر والنواهي، ويضطر بعض الشباب للخروج على بعضها أحياناً.

ومن بين أهم عوامل هذه المجموعة طبيعة الثقافة السائدة، فإذا كانت مفردات تلك الثقافة تقوم على الانفعال أكثر من الفعل العقلاني العلمي وعلى إعادة إنتاج التمايزات حسب النوع وحسب العمر- أكبر منك بيوم يعرف أكثر منك بعام- وحسب المواقع الطبقية، فإن مثل هذه التمايزات وغيرها تجعل أقساماً من الشباب- على الأقل- وفق عمق تمثلهم لهذه التبريرات، يصنعون أهدافاً ووسائل تعيد إنتاج مضامين مثل هذه التمايزات، فبعض الشباب المتعلم يرضي لنفسه- كما في الاختيار للزواج والسفر والحركة خارج الوحدة المعيشية- على سبيل المثال- ما لا يرضاه لأخته المتعلمة، وهذا النمط من الثقافة هو الذي يجعل بعض الشباب يخرج عليه لأنه يكبل تفضيلاتهم.

أما المجموعة الثانية من العوامل والتي تنتجها الأولي، فهي الأكثر تشكيلاً وعلى نحو مباشر لخصائص الشباب العربي حسب العمر والنوع ذكوراً وإناثاً، متعلمين وأمييين، عاملين ومتعطلين، أصحاء أو معاقين من بعض الأمراض، مشاركين في أمور مجتمعاتهم أو غير مشاركين، وهي ترتبط بالفرص

فكلما كان الاقتصاد ريعياً. أنتج سلطة فردية أبوية على المستوي العام وعلى مستوي الأسر ومنظمات المجتمع المدني والمؤسسات الحكومية. وكلما تنوع الاقتصاد كان أكثر قبولاً للتنوع السياسي

واستقلاله عن الأسرة التي ولد ونشأ فيها، فقد رأي التقرير مفهوم الشباب إجرائياً على النحو التالي:

- الشباب فئة ديموغرافية ليست متجانسة، تعيش تفاوتات داخلية حسب الفئات العمرية الداخلية 15-20، 20-25، 25-29، وحسب النوع الاجتماعي: ذكوراً وإناثاً، وحسب أحواله التعليمية التي تتراوح بين الأمية والتعليم الجامعي ومابعده، وحسب حالته العملية، وحسب سكنه: في البوادي، أو في الأرياف، أو في الحواضر.

- من المهم الإشارة في هذا السياق- في ضوء الوثائق والتقارير والدراسات المنشورة والتي قيد النشر والتي أعدها مشروع تمكين الشباب العربي بجامعة الدول العربية- إلى أن الخصائص العامة للشباب العربي تشير إلي بعض التحولات بالغة الأهمية والدلالة⁶:

• طراً تطور ملموس في الفرص الكمية لتعليم الشباب العربي، حيث ارتفعت نسب الاستيعاب في جميع مراحل التعليم، فوصلت النسبة إلى أكثر من 90% في بلدان المشرق والمغرب العربيين، وإلى 80.2% في بلدان الخليج، وإلى 80.5% في البلدان العربية الأقل نمواً⁷، وفقاً لبيانات عام 2005. وبهذا، فالشباب أفضل فرصاً في تعليمه مقارنة بالأجيال السابقة، سواء بانخفاض معدلات الأمية بين الذكور والإناث، أو بسنوات التمدرس وتزايد أعداد الجامعات العربية وأعداد المتخرجين منها.

• رغم هذه التطورات، فإن حوالي ثلث الأطفال ظلوا خارج المدارس الابتدائية وفق بيانات عام 2003، وأن هناك حوالي 13 مليون شاب أمي، وأن الأمية بين الإناث أعلى من مثيلاتها بين الذكور، حيث وصل المعدل لدي الشابات في بلدان المشرق العربي إلى حوالي 0.91، وفي بلدان المغرب العربي 0.87، وفي بلدان الخليج 0.48، وفي البلدان العربية الأقل نمواً 0.873. وعلى الرغم من أن الإقليم العربي يمتلك ثروات طبيعية متنوعة ويحوز بعضها فوائض

المتاحة للشباب. فبعض المجتمعات العربية أتاحت للشابات العربيات فرصاً للتعليم في كافة المراحل والمستويات، وأحياناً تتيح لهن فرصاً للتعلم خارج بلدانهم، غير أنها تضع حدوداً تحاصر مشاركتهن الاقتصادية والسياسية، فتجعل بدائلها محدودة وأحياناً معدومة. فالمشاركة الاقتصادية للمرأة العربية إجمالاً لا تتجاوز 30%، ومشاركتها السياسية والإدارية، لاتزال وإلى الآن ذات طابع رمزي في المجالس النيابية (8.7% حسب بيانات عام 2007). ورغم تأكيد العديد من الدساتير العربية على حقوق المواطنة والمشاركة، فإن مشاركة الشباب في المجالس النيابية التشريعية تكاد تكون معدومة، باستثناء محدود هنا أو هناك في عدد من البلدان العربية لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة، كما لاتزال هناك تحيزات على أساس العمر بين الكبار والشباب والأطفال نتيجة للسلطة العمودية داخل الأسرة.

لأن قيم الشباب تحدد اختياراتهم وتفضيلاتهم الفكرية والسلوكية، فهي تدرس عبر مسارين: مسار مرغوب فيه يتطلع فيه الشباب لتكون قيمهم محققة لحلمهم المنشود وهو نموذج افتراضي، وآخر تعكسه تصرفاتهم وأنماط سلوكهم وتفضيلاتها التي تعرض عليهم من خلال مواقف تصوغها المنهجيات والأدوات البحثية، للتعبير عن النموذج القيمي المعاش.

ثانياً: الشباب العربي: المفهوم والخصائص

الشباب العربي فئة عمرية 15-29 عاماً، تم رفع سقفها مقارنة بالتحديد الدولي 15-24 عاماً. ليسمح هذا الارتفاع بالمقارنات الدولية من ناحية، ويستوعب الظروف النوعية للشباب العربي، وعلى رأسها تزايد معدلات البطالة بين الشباب، وارتفاع العمر عند الزواج الأول من ناحية أخرى. ولأن التقرير الحالي يري أن الشباب ليس مجرد فئة عمرية وإنما مفهوم اجتماعي ثقافي وحالة مجتمعية تربط الشباب بأدواره المتوقعة مجتمعياً، والتي تتمحور حول اعتماده على ذاته

مشاركة الشباب في المجالس النيابية التشريعية تكاد تكون معدومة. باستثناء محدود هنا أو هناك في عدد من البلدان العربية لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة. كما لاتزال هناك تحيزات على أساس العمر بين الكبار والشباب والأطفال نتيجة للسلطة العمودية داخل الأسرة.

وعلى الرغم من أن الإقليم العربي يمتلك ثروات طبيعية متنوعة ويحوز بعضها فوائض اقتصادية كبيرة. فالبطالة بين الشباب العربي هي الأعلى بين كل أقاليم العالم 25.6%.

اقتصادية كبيرة، فالبطالة بين الشباب العربي هي الأعلى بين كل أقاليم العالم 25.6%، وفقاً لبيانات منظمة العمل الدولية سنة 2003. كما اتجه متوسط الأعمار عند الزواج الأول إلى الارتفاع بين الذكور والإناث في كل حواضر البلدان العربية لدواع اقتصادية واجتماعية وثقافية- عادات وتقاليد الزواج- متفاعلة.

ثالثاً: إشكاليات قراءة قيم الشباب العربي

لأن مشروع تمكين الشباب العربي- الذي تقوم على تنفيذه إدارة السياسات السكانية والهجرة بالقطاع الاجتماعي، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية- يعتمد مقاربة تشاركية في عمل الشباب، وذلك لأن الشباب لن يعمل بمفرده، سواء فيما يتعلق بتمكينه أو فيما يرتبط بمشروعات وبرامج استدامة التنمية العربية، فالشباب بحاجة إلى الآخر أياً كانت مساحة الحرية والمبادرة المتاحة له، ونخص من الآخر: الفئات الاجتماعية والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية ورموز بنية القوة الاقتصادية والسياسية على مستوى المجتمع المحدد والباحثين، ولهذا يصير من الأهمية بمكان الوقوف على قراءة تلك الأطراف لقيم الشباب بجانب قراءة الشباب نفسه لقيمه.

وأياً كان حصاد قراءة قيم الشباب- سواء من منظور الشباب أو الأجيال الأكبر- فإن أي تباين أو حتى تناقض بينها يجب أن يتم تأويله في سياق وعي كل طرف بالشباب وإمكاناته وقدراته، وفي علاقة وعيه بحصاد ظروفه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية وخبراته التي تراكمت عبر تجاربه وممارساته المهنية واليومية والحياتية. فباستخدام التأويل المتأمل يمكن أن نرى في هذا التناقض قدراً من الالتقاء الذي يمثل حيزاً مهماً للحركة المعنية بحوار سياسات الشباب، وأسس انتقاء الأكثر منها استجابة لواقع الشباب وطموحاته المستقبلية، وفي نفس الوقت الأكثر واقعية وقابلية للتحقق والتنفيذ. هذا بجانب أن كشف أي تباعد أو تناقض بين القراءات المشار إليها سيساهم بدوره في فهم استراتيجيات الصراع الواضحة والضمنية بين الأطراف المعنية بتمكين الشباب وتهيئته لقراءة خصائص قيم الشباب قراءة مغايرة.

1. قراءة الكبار لقيم الشباب⁸ :

من خلال البيانات المتاحة أمكن استخلاص بعض الدلالات المهمة :

- هجاء قيم الشباب والسعي إلى رفضها، وربما التهكم عليها باعتبارها خروجاً على ما ألفه وتبناه الكبار في فترة شبابهم.

- إلتقاء بعض قيم الشباب، وإعادة صياغته، لإثبات أن بها تغيراً يمثل تهديداً لاستقرار المجتمع وثقافته ومستقبله، ومن أمثلة هذا قيمة الحرية الشخصية موازية للإباحية والقرار الفردي، كنوع من الأنانية وأحياناً التفكير العلمي كابتعاد عن القيم الدينية السائدة في المجتمع العربي المحدد أو المعين.

- الانتقال من هجاء قيم الشباب إلى هجاء الأغلب من تصرفات الشباب وأفعاله وتدعيم صورته سلبية حوله، تراه مندفعاً يقع ببسر في الغواية، لأنه يعيش بغرائزه أكثر مما يعيش بوعي عقلائي واقعي. , الأدبيات العالمية وبعض "تيمات الثقافة الشعبية" بمقولات جاهزة بأن الشباب غير واقعي، ومنتج للمشكلات، ومعرض للمخاطر، وغير متحمل للمسئولية. وتدعم الثقافة الشعبية هذه الصورة الشائعة حول الشباب، بالقول- مثلاً- "أكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة"، و "الكبير كبير"، "واللى مايسمع كلام كبيره يا كتر تعائيره".

- الانتقال من هجاء قيم الشباب إلى هجاء وإدانة تصرفاته، بهدف بلورة وعي مجتمعي مضاد لحقوق الشباب يؤدي إلى الحيلولة بين الشباب وبين مفردات تمكينه، ليظل الشباب في موقع التابع المفعول به، ويسهم في هذا بعض البحوث والدراسات التي يتبلور هدفها في أنها تقوم بدراسة قضايا الشباب وأوضاعهم، لكي تضبط فكر وسلوك الشباب، وتحكم إدارة تكييفه الاجتماعي، على مصالح المهيمنين داخل بنية القوة والنفوذ. حقيقة كما قيل لو أن البدييات الهندسية

يحفل بعض الأدبيات العالمية وبعض "تيمات الثقافة الشعبية" بمقولات جاهزة بأن الشباب غير واقعي، ومنتج للمشكلات، ومعرض للمخاطر، وغير متحمل للمسئولية.

اصطدمت بمصالح البشر لاختلافوا بشأنها حتماً.

2. قراءة الشباب لقيمه⁹:

نظراً لوجود تباينات طبقية وحسب النوع الاجتماعي، وحسب المرجعية/ الأيديولوجية الأكثر تأثيراً في كل جماعة أو فئة عرقية من الشباب، فإنه يمكن أن نجد قراءات متباينة لقيم الشباب بين الشباب أنفسهم:

- ثمة قراءة طبقية، يحكم وفقاً لها الشباب في كل طبقة على قيم الشباب من الطبقات الأخرى.

- ثمة شباب من الشرائح للطبقة الوسطى والطبقات العليا- يرون أن شباب الطبقات الأخرى يتبنون قيماً عاطفية غير عقلانية، لا تتحسب المستقبل، وأنها أحياناً تجعل فترة الشباب تهرب وتضيع منهم، فهم لا يتمتعون بها. وبعضهم يطلق على زملائه من طبقات أخرى بالجامعات أوصافاً سلبية، فهم الذين يحفظون المقررات الدراسية ويرهقون أنفسهم ويهتمون بالدراسة، فلا يستمتعون بحياتهم الجامعية، لأنهم لا يشاركون في النشاطات الطلابية، ويصل التقييم إلى اعتبار بعضهم "بيئة"، أي من بيئة أدنى مقارنة بهم.

- يصف بعض الشباب من الشرائح الدنيا من الطبقة الوسطى، ومن الطبقة العاملة- غيرهم من الشباب بالاستهتار وعدم تحمل المسؤولية، والتمركز حول الغرائز واستهلاك الوقت والسلع والرموز.

- وثمة قراءة من الشباب لقيم الآخر الشاب، تتأثر بالمرجعيات الثقافية: شباب أكثر اندماجاً في العولة، يتبنون قيمها وأفكارها، ويخرجون على غير قليل من المألوف قيمياً، ويتفاعلون تلقائياً مع نتائجها التكنولوجية، ويتبنون مضردات خطاب لفظي وقيمي مغاير لغيرهم من الشباب. ينظرون إلى المتدينين حسب وعيهم الديني على أنهم دراويش ولا يفهمون في الدنيا شيئاً، وغير متابعين للتغيرات العالمية والمحلية التي على الشباب أن يتبنوها أكثر من غيرهم أما المتدينون فهم ينظرون للشباب المندمج في العولة باعتبارهم مقلدين، غير واعين، مهملين لدينهم وحضارتهم، فهم متغربون ومغربون.

نظراً لوجود تباينات طبقية وحسب النوع الاجتماعي، وحسب المرجعية/ الأيديولوجية الأكثر تأثيراً في كل جماعة أو فئة عرقية من الشباب، فإنه يمكن أن نجد قراءات متباينة لقيم الشباب بين الشباب أنفسهم

سعى التقرير إلى إنجاز مجموعة من الأهداف العلمية والعملية. لفائدة تطوير سياسات تمكين الشباب وتفعيل مشاركته في الاستراتيجيات السكانية والتنمية

ولقد سعى التقرير إلى تجنب أن يكون من جديد مجرد وجهة نظر يقدمها الكبار حول قيم الشباب، فأراد أن يفسح- إلى جانب الدراسات العلمية- مجالاً يعبر فيه الشباب عن أنفسهم.

رابعاً: أهداف التقرير

سعى التقرير إلى إنجاز مجموعة من الأهداف العلمية والعملية- لفائدة تطوير سياسات تمكين الشباب وتفعيل مشاركته في الاستراتيجيات السكانية والتنمية- نوجزها على النحو التالي :

الأول: استطلاع وتحليل وتفسير خصائص القيم السائدة لدى الشباب العربي، سواء على مستوى فئته العامة، أو على مستوى التباينات الداخلية بين صفوف الشباب: حسب فئات السن والنوع والوضع الاجتماعي الاقتصادي للأسرة، والمجتمع المحلي الذي يعيش فيه الشباب.

الثاني: توفير بيانات علمية تسهم في دعم وتطوير قاعدة بيانات الشباب العربي من خلال مؤشرات يمكن صياغتها في ضوء النتائج التي يصل إليها التقرير، وكذلك توظيف التقرير في الحوار بين الشباب من ناحية، وبينه وبين الأطراف المعنية بتمكينه- حكومية أم مدنية، وطنية أم إقليمية أم دولية- من ناحية أخرى، فضلاً عن توظيف القرائن المترتبة على نتائج التقرير ومعلوماته في تطوير السياسات المعنية بالشباب، واقترح البرامج والمشروعات ذات الأولوية، والتي تتفاعل إيجابياً مع تطلعات الشباب وطموحاته، في ضوء قائمة أولوياته القيمية.

خامساً: التساؤلات التي يطرحها التقرير

في ضوء الأهداف التي سبق تحديدها، يمكن صياغة التساؤلات التالية بلورة لتلك الأهداف :

الأول: ما أهم القيم السائدة لدى الشباب العربي ؟

- ما أهداف القيم ووسائل تحقيقها ؟

- ما الأولويات القيمية للشباب وفي تراتبيتها رأسياً

وفى علاقاتها ببعضها البعض أفقياً ؟

الثاني: ما النمط السائد في قيم الشباب: التقليدي،
الحداثي، ما بعد الحداثي، أم مزيج من بين الثلاث ؟
سادساً: منهجية إعداد التقرير ومصادر بياناته:

تتألف منهجية إعداد التقرير من مجموعة
من الإجراءات التي سعت إلى التكامل النسبي لتوفير
البيانات الضرورية للإجابة على تساؤلات البحث.

مصادر جمع البيانات وتحليلها

تتعدد مصادر بيانات التقرير، حيث تستند إلى :

الأول: إعداد أوراق مرجعية حول قضايا هامة،
كالعولة وقيم الشباب، والقيم التعليمية

السائدة لدى الشباب العربي، وقيم المشاركة،
وغيرها.

الثاني: إعادة تحليل نتائج المسوح والدراسات
السابقة حول الشباب عامة، وحول قيمهم
على نحو أكثر تحديداً من خلال التحليل
الثانوي للبيانات التي توصلت إليها تلك
المسوح والدراسات.

الثالث: إجراء دراسة ميدانية على عينة من الشباب
من بلدان عربية مختلفة. سيتم إفراد فصل
خاص بها في التقرير الراهن.

تتألف منهجية إعداد التقرير
من مجموعة من الإجراءات
التي سعت إلى التكامل
النسبي لتوفير البيانات
الضرورية للإجابة على
تساؤلات البحث.

المصادر العلمية للفصل الأول

- 1- R.K.Merton, Social Theory and Social Structure, Englwood, N.Y 1971
- 2- عبد الباسط عبد المعطي ، " اتجاهات نظرية في علم الاجتماع " ، سلسلة عالم المعرفة ، رقم 41 ، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، أغسطس 1981 .
- 3- انظر : 65 – 59 ، R.Geuss, The Idea of Critical Theory, Cambridge university press, London, 1981
- أيضاً : Ben Agger, The Dialectic of De-Industrialization : an Essay on advanced capitalism, in " Critical Theory and public life, (ed) by J.Forester, MITT press, London, 1988, pp.3-21
- 4- اعتمدنا في صياغة هذا الجزء على كل من
إنعام عبد الجواد ، قيم الإنتاج والاستهلاك في القرية المصرية ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة 1998 .
- W.Grand, The concept of value " in International Encyclopadia of social science, ed. By E.Shills London, free press, 1988 .
- 5- محمد بيومي ، علم اجتماع القيم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1991 .
- 6- انظر في هذا الإطار كلا من
الإطار الاستراتيجي لتطوير سياسات تمكين الشباب العربي ، إدارة السياسات السكانية والهجرة ، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، المسودة الأولى 2005
- كمال نجيب ، تطوير منظومة التربية العربية من أجل تمكين الشباب ، إدارة السياسات السكانية والهجرة ، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، القاهرة ، 2005 .
- 7- LAS, UN , The Millennium Developmental Goals in the Arab Region , 2007 : A youth Lens , P.3
بحسب المعدل على أساس أعداد الإناث اللاتي يعرفن القراءة والكتابة لكل مائة شاب .
- 7- سمير نعيم ، "التغيرات البنيوية في المجتمع المصري وانعكاساتها على أنساق القيم في النصف الثاني من القرن العشرين" ، المؤتمر السنوي الخامس للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، التغير الاجتماعي في المجتمع خلال خمسين عاماً ، المجلد الأول ، القاهرة ، 2005 .
- 8- أنظر: اليونسيف ، الشباب الأردني : حياتهم ورؤاهم ، مصدر مذكور ، وراجع أيضاً
- 9- الشيخ منصور عبيد ، الشباب وتقبل الآخر من خلال الحوار ، مهرجان القراءة للجميع ، القاهرة ، صيف 2006 .

الشباب العربي وأزمة القيم في عصر العولمة*

وإنما المقصود- على وجه الدقة والحرص- أن نعين ونحدد الكيفية التي تمكننا من تطبيق منظومة المعايير الأكسيولوجية- نظرية القيم- على الشباب العربي من حيث هم فئة سكانية غير متجانسة اجتماعياً، بل وغير متجانسة ثقافياً من بعض الجهات ومن بعض زوايا النظر. الأمر لا يخلو من صعوبة، والحال أن الشباب شبيه بمجزرة متشظية

وكأنها مستقلة عن بعضها البعض. والهدف من التمييز والتبويب هو المزيد من توضيح تلك المداخل والمسالك والاتجاهات البحثية بما يستجيب للمطلوب: معالجة مسألة العولمة وقيم الشباب على جهة المفاكرة حولها، وليس على جهة البلورة النهائية لها أو البت في مشكلاتها العويصة. أما الصياغة الأخيرة لمشروع إدارة السياسات السكانية والهجرة في مجال "قيم الشباب"، فالأرجح أن يحصل بفضل تصافر وتكامل المساهمات البحثية الممكنة في هذا المجال، بعد إحصاء وتمحيص ونظر. ومن المحصلات المرتقبة لمشروع طموح من هذا النوع أن يقيم شبكة وهرما لقيم الشباب العربي: الشبكة لبيان التوزيع الأفقي، وهو التنظيم البنوي والكمي لنسق القيم، والهرم لبيان التوزيع العمودي، وهو التنظيم التفاضلي والكمي. والداعي إلى هذه الرؤية إنما الحركة المزوجة التي هي من جوهر القيم: الانتظام أفقياً (الشبكة التواصلية)، وعمودياً (التراتب السلطوي)، وهما بعدان متلازمان في بناء القيم. وحتى نذلل بعض العوائق المصطلحية، نشير- منذ البداية- إلى أننا نميز بين المعيار والقيمة على الرغم من قرابتهما القوية. والرأي- كما ذهب أدبيات العلوم الاجتماعية- أن المعيار أعم من القيمة، وهو يتضمن معنى البرانية والحيادية والموضوعية (كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلاً)، أي أنه جملة المقاييس والموازن والقواعد والقوانين والأعراف والسنن التي يفرضها المجتمع على أعضائه أفراداً وجماعات. وأما القيمة فلا تخلو من شحنة جوانية واختيارية وذاتية، فقيمة الشئ هي أيضاً مزاياه وخصاله، أي ما تحبذه النفس، وترى فيه صدقاً أو خيراً أو جمالاً. قد تكتسي المعايير طابعا جماعيا إكراهيا، فتتعارض مع القيم الفردية التي تشترط حرية الاختيار. وهكذا، فإن

أولاً: عناصر مقارنة عامة لدراسة قيم الشباب

ليس المراد هنا بلورة إجابة ضافية وشفافية عما يمكن نعتة بـ"أزمة القيم في العالم المعاصر" منظوراً إليها من موقع الشباب العربي وتطلعاته، فهذه مهمة بحاجة إلى جهود بحثية مكثفة، وإنما المقصود- على وجه الدقة والحرص- أن نعين ونحدد الكيفية التي تمكننا من تطبيق منظومة المعايير الأكسيولوجية- نظرية القيم- على الشباب العربي من حيث هم فئة سكانية غير متجانسة اجتماعياً، بل وغير متجانسة ثقافياً من بعض الجهات ومن بعض زوايا النظر. الأمر لا يخلو من صعوبة، والحال أن الشباب شبيه بـ"مجزرة متشظية"¹.

ولكون مبحث "العولمة وقيم الشباب" كمسألة معرفية ما يزال في بداياته في الدراسات العربية المطبقة، لزم على مقاربتنا أن تنحو منحى منهجياً: رسم المداخل المفاهيمية والمستويات والمنظورات والمقاربات البحثية لتنظيم رؤية ممكنة لأثر العولمة على الشباب من الناحية المعيارية. هذا ما يقتضي منا أن نعكف- كخطوة أولى- على تحديد شروط واتجاهات البحث الأولية الممكنة في هذا المجال، وهي شروط واتجاهات لا بد من إرسائها على قاعدة صلبة للانطلاق منها، وتطويرها من قبل فرق الباحثين والخبراء والمسؤولين والمربين والناشطين، وذلك على الصعيد النظري والميداني، بهدف الوصول إلى نسق من المعارف المتكاملة في حقل السلوكيات الشبابية العربية. من هنا تكتسب المقاربة المنهجية تسويغها وأهميتها.

وإذا كان الأمر كذلك، وجب أن تصاغ الأفكار- هنا- في شكل محاور ونقاط قد تبدو للوهلة الأولى

أعد الفصل: الدكتور/ عبد العزيز لبيب، استاذ، جامعة المنار، تونس

Email: labib.aziz@gmail.com

على ثلاث ركائز أصلية مختلفة، وهي الوقائع، والقيم، والمعايير. وعادة ما تكون المعايير والوقائع متضادة، كالتضاد بين الشرائع وبين السلوكيات اليومية. وقد تتعارض القيم الفردية أو القطاعية مع المعايير العامة أو الأنماط السائدة، كالتعارض بين المحاكاة (معياري سائد) والإبداع (قيمة ذاتية). ولئن وضعنا القيم وسيطاً بين الوقائع والمعايير، فلأن المعايير المتعالية تصبح قابلة أكثر للتطبيق في الواقع عندما تلقى في الذات قيماً مساعدة: من ذلك أن القوانين الصارمة تنصاع لها إرادة الناس إذا وجدت لديهم قيماً مواتية، ككفران الذات والمسؤولية، والواجب، والشعور المدني، وهي قيم تتطلب بدورها أن تكون تلك القوانين من وضع الإرادة العامة وليست مفروضة على الناس فرضاً.

وثالثها، إن كل طرف من الأطراف الثلاثة- الوقائع والقيم والمعايير- قابل لأن يولد الطرف المقابل، فمن الوقائع ما يخلص إلى عرف جار أو معيار أو قيمة بالترتيب والعادة، والعكس صحيح أيضاً. غير أن هذا التشارط بين الوقائع والقيم والمعايير لا يجب أن يؤدي إلى الخلط بينها، أو المماهة بين كل مقوم من مقومات النظام الأكسيولوجي الثلاثة، بل يجب أن تبقى الوقائع وقائع "طبيعية"، والقيم قيماً "ذاتية"، إذ لا معنى للقيم إذا لم تكن تحدياً وتجاوزاً للعوائق "الطبيعية" التي تقيدها أمامنا الوقائع العنيدة.

ورابعها: إن بعض القيم كونية ومطلقة من حيث المبدأ، بصرف النظر عن محتوياتها النسبية والمتغيرة. فالناس متفقون على قيم الصدق والعدل والجمال، ومختلفون من حيث العلامات والمحتويات الدالة عليها، فما قد يعتبر خيراً هنا قد يعتبر شراً هناك، وما قد يعتبر جميلاً هنا قد يعتبر قبيحاً هناك. ولكن قيم الصدق والعدل والجمال ثابتة.

وخامسها: إن القيم منسوبة دوماً للذات. وهكذا،

للقيم ترتيباً سلمياً وتفاضلياً. وما دامت الحرية شرطاً للاختيار بين القيم، فإنها تعطي قمة الهرم المعياري. وما صار منها في قمة الهرم المعياري صار مقدساً: كل السلالم المعيارية تتدرج إلى أن تبلغ المقدس الذي يعتبر ثابتاً مقارنة بالمحتوى المتغير بحسب السياق: من ثقافة إلى أخرى، ومن جماعة إلى أخرى، بل ومن فرد إلى آخر. غير أن التناسب يحبس القيم في الذاتية، فيتركها عرضة للانفعالات والرغبات وبالتالي للفوضى. يرى هيرماس أن التداوت (العلاقة بين الذات وأقرانها من الذوات الأخرى)، وهو العلاقة الملازمة للتواصل وللمناقشة بين الناس العاقلين، يشكل بعداً موضوعياً، وبالتالي حلاً للخروج من مأزق الذاتية المعيارية. وهكذا، فإن من طبيعة القيم أن تتجه نحو الفعل، وتنجذب نحو حقل الممارسة والتحقق ما لم يمنعه مانع ويعيقها عائق. من هنا تتأتى أهميتها في التغيير الاجتماعي. وهكذا، ننتهي إلى بعض التمييزات الأولية المعروفة، والتي يحسن التذكير بها:

أولها: ضرورة التمييز بين أحكام الوجود وأحكام القيمة، فأما أحكام الوجود فهي تقريرية تصف الواقع، كقولي: "النيل نهر ينبع جنوباً من سفوح جبال موفنبيرو بشرق إفريقيا ويصب شمالاً في المتوسط"، و"دورة القمر حول نفسه تساوي دورته حول الأرض". وأما أحكام القيمة، فهي تقديرية لانفعالها بعلاقة الذات بالموضوع، كقولي: "النيل نهر سخّي"، "للقمر ضياء رائع". ولكون القيم من هذا الضرب الذاتي، فلقد صنفها البعض خارج المنهج العلمي الذي يقصره على الوقائع الموضوعية وحدها. وهذا الرأي محل جدال بين النظريات الأكسيولوجية والسيوسولوجية². ومهما يكن من أمر، فالموكد عندنا وجود فرق بين العلوم الدقيقة والقيم، فتلك العلوم تقوم على التواطؤ، أي على أحادية المعنى، ولا تحتل الالتباس، أما القيم فتقوم على اشتباه المعنى وتحتل الالتباس والتأويل، ولذلك لا يمكن للقيم أن تكون صحيحة ودقيقة.

وثانيها، إن المبحث الأكسيولوجي- مبحث القيم- يقوم

وهكذا. فإن من طبيعة القيم أن تتجه نحو الفعل، وتنجذب نحو حقل الممارسة والتحقق ما لم يمنعه مانع ويعيقها عائق. من هنا تتأتى أهميتها في التغيير الاجتماعي. وهكذا، ننتهي إلى بعض التمييزات الأولية المعروفة، والتي يحسن التذكير بها

يجب أن تبقى الوقائع وقائع "طبيعية". والقيم قيماً "ذاتية". إذ لا معنى للقيم إذا لم تكن تحدياً وتجاوزاً للعوائق "الطبيعية" التي تقيدها أمامنا الوقائع العنيدة

فمهما كانت المواقف من القيم، ذاتية أو موضوعية، أو اختلفت التصورات، بين مثالية ومادية، ومهما تنوعت المنظورات التي تحكمها وتنظمها، إجرائية أو غائية، تشترط جميعها وجود ذات، إن انعدمت فقدت القيم معناها ومسوغاتها.

وليس من الغلاة في شيء القول إن مسألة القيم صارت في عصرنا هذا مسألة مركزية في مجال السلوك الجماعي والتغيير الاجتماعي والتنمية المستدامة المتواصلة. ومن دلائل ذلك المكانة التي صارت تحتلها في الدراسات المستقبلية وفي استراتيجيات النمو بالبلدان المتقدمة والصناعية. لقد صار من الممكن أن نتحدث- دون مجازفة- عن طفرة معيارية طالت ضروب الخطاب المختلفة: من الخطاب الاجتماعي والاقتصادي إلى الخطاب السياسي، من الخطاب الفلسفي إلى الخطاب الديني، من تئمين "الذوق" إلى تئمين "النجاعة"، من القيم "البروتستانتية" للسوق الرأسمالية الأولى إلى قيم الإغراء والإشهار- الإعلان- للسوق المعولة. فهل من تفسير لهذه "الوجهة" المعرفية والتربوية والسياسية التي حازت عليها القيم في عصر العولة؟ هنالك عدة عوامل تساهم في انتشار الاعتبارات المعيارية، ومن المفيد أن نستعيدها هنا، وأن نجمل القول فيها كما يلي :

- عامل الأزمة الأيديولوجية: وهو ما ينعى- منذ سبعينيات القرن الماضي- بأزمة الأنساق الأيديولوجية الكبرى، وما صاحبها من انهيارات لمثل أخلاقية، ولرموز فكرية وسياسية، ولضروب من الممارسات الاجتماعية التحررية. وإنه لمن المفارقة أن يُستعاض عن أزمة الأيديولوجيات- نظريات التقدم، وفلسفات التاريخ، والماركسية، والليبرالية الكلاسيكية..إلخ- بالنظريات المعيارية، وهو ما يعني أن يحل الفكر "الأكسيولوجي" المهووس بأحكام القيمة محل الفكر "النضالي" المشغول بالممارسة السياسية والاجتماعية. إن ما تدعيه القيم لنفسها هو نقاوتها وبراءتها، فتكون- من هذه الجهة وبهذا المعنى- شبيهة بالمواقف الأيديولوجية مع خلّوها من "دنسها" ومن أفكارها المسبقة والمترتبة. ومفاد القول إن أزمة الأيديولوجيا في العقود الأخيرة جاءت

مصحوبة بعودة قوية إلى منظومات القيم: القيم الدينية في المقام الأول، والآداب والفنون التقليدية، والهويات السياسية...إلخ. وهكذا، فإن القيم تؤدي- في حقيقة الأمر- عين الوظيفة التي كانت تؤديها الأيديولوجيا، ألا وهي تحديد وتثبيت جملة من المرجعيات الأساسية التي يكثر الحديث عن فقدانها في وقتنا الراهن . على هذا النحو تكتسي القيم طابع العنفوان والسموّ الذي يستميل الأجيال الحاضرة من الشباب، وذلك لما تبديه القيم من فعالية أخلاقية ومن حيادية سياسية في آن واحد. ولئن قلنا عين الوظيفة فلا يعني ذلك المماهة بين القيم وبين الأيديولوجيا: إذ تظل الأيديولوجيا تبريرية، في حين عادة ما تكون القيم تجاوزية. الأخذ في الاعتبار مع صعوبة أو عدم واقعية الفصل بينها تماماً.

- العامل الخُلقي والمعروف أيضا- بالعامل الإثني الخُلقي، ودليله تنامي وانتشار المعايير الأخلاقية، خصوصاً بين صفوف الشباب في جميع أقطار العالم. لا شك في أن العولة قد كشفت- أكثر من أي وقت مضى- عن المخاطر الكبرى التي تهدد العالم أجمع على صعيد التلوث البيئي، والآفات الصحية، ومشكلات الاستنساخ والتصرفات الجينية، والكوارث الإنسانية التي ما تزال تسببها المجاعات والحروب والتصفيات العرقية. ولا شك أيضا في أن من محاسن العولة توحيد النوع البشري لدرء هذه المخاطر ولو على مستوى الخطاب المعلن. ولا شك- أخيراً- في أن الطبيعة الكونية لهذه المخاطر تنأى بها بعيدا عن التأويل السياسي، وتصوغها في شكل قضايا أخلاقية متصلة بالقيم وبالضمير الإنساني. غير أن اللافت للنظر هو أن النزعة الأخلاقية السائدة في الحكم على الشئون العامة تتم على حساب الرؤية السياسية. وهو ما يتطلب منا، نحن العرب مسئولين ومفكرين ومربين، مزيد العناية بهذه القضية الشائكة. فالواضح اليوم هو تقلص البعد السياسي لنشاط الإنسان المدني، والتراجع الهائل في كل أنحاء العالم لمفاهيم المواطنة والمشاركة والسياسية والنقابية. هذا ما يجعل كتابا يحمل

إن مسألة القيم صارت في عصرنا هذا مسألة مركزية في مجال السلوك الجماعي والتغيير الاجتماعي والتنمية المستدامة المتواصلة

. فالواضح اليوم هو تقلص البعد السياسي لنشاط الإنسان المدني. والتراجع الهائل في كل أنحاء العالم لمفاهيم المواطنة والمشاركة والفضاء العمومي والتنظيمات السياسية والنقابية.

إن العولمة تقطع الفرد عن انتمائه المدني المتصل والمجاور (المجتمع الأهلي، الدولة الوطنية). وتقذف به في عالم فسيح لم تعد أشكال المشاركة التقليدية موثمة معه، ولا صالحة لحل قضاياها

عنوان "السياسة عند الغسق"³ كتابا مشروعوا وذا نباهة فائقة: ما شيدته الحداثة خلال عدة قرون نراه اليوم يجري إلى أفوله، ألا وهو المشاركة السياسية من حيث كانت في السابق ترجمانا عن مدنية الإنسان، بل وترجمانا عن إنسانيته وعن حرته أيضا، صارت اليوم مجرد أداة للتطويع والتدجين. وهكذا، فإن الانحسار السياسي يوافقته مدّ خلقي، تماما مثلما أن أزمة المدينة (السياسة) الرومانية قديما قد صاحبها مدّ إثيقي عرف أوجه مع الأخلاق والقيم الرواقية. وإذا ما كانت السياسة عموما تسييرا للشأن العمومي، أي تنظيما للحياة الجماعية، فإن الأخلاق هي تسيير للشأن الشخصي، أي تنظيم للحياة الفردية. ليس- إذن- من باب المصادفة أن نرى اليوم تنامياً متلازماً للنزعة الفردية وللنزعة الأخلاقية. وحاجة الفرد للقيم الأخلاقية مأتاها الحيرة، و"وخز الضمير"، وفقدان السند لدى المؤسسة السياسية والمدنية، أو لدى الجماعة الأهلية الأقرب للفرد. وها هنا نبلغ بيت القصيد: إن العولمة اليوم- تماما مثل ربيبته الرومانية القديمة- تقطع الفرد عن انتمائه المدني المتصل والمجاور (المجتمع الأهلي، الدولة الوطنية)، وتقذف به في عالم فسيح لم تعد أشكال المشاركة التقليدية موثمة معه، ولا صالحة لحل قضاياها. إن الثورة التكنولوجية- بسبب طابعها الأداتي والتجريدي- لا تحل المشكلات القيمية والوجودية التي يعيشها الشباب بشكل خاص، بل على العكس من ذلك نلاحظ تنامياً للمشكلات النفسية ولصور الاغتراب- ظاهرة الانتحار أو القتل الجماعي بين صفوف المراهقين والشباب في البلدان المتقدمة، وفي أمريكا بالذات كلما تزايدت القدرات التقنية والاتصالية. إن التقنية بقدر ما يمكنها أن تكون أداة وصل بين الناس يمكنها أن تكون أداة فصل بينهم، وذلك بحسب السياق وبحسب معايير التوزيع والإنصاف. أمام الحيرة الكبيرة والمتزايدة بين صفوف الشباب نتيجة فقدان المرجعيات والمرتكزات التقليدية: البنية الأسرية الواسعة، المجتمع الأهلي، الجمعية، الحزب، الدولة الوطنية. وأمام صعود السلطان الجديد للقوى العالمية وشعور الفرد بتهاافت وسائل المقاومة المعهودة، يلجأ الأفراد

إلى الطاقة "الجوانية" أو الطاقة الذاتية، وفي مقدمتها القيم الأخلاقية.

العامل الاستطقي- الجمالي: وهو عامل لا يستهان به في كل مقاربة لقيم الشباب، وذلك لعدة اعتبارات على النحو التالي:

• الاعتبار الأول: الكوكبية: إن العولمة ذاتها لا تخلو من مغزى جمالي حتى من خلال تسميتها الإنجليزية (globalization): الاستدارة الكوكبية بما هي الصورة المثلى لاكتمال العالم الذي سيكون- في ظل العولمة الليبرالية كما يذهب منظروها- أفضل العوالم الممكنة، على نحو ما يحدثنا فوكوياما في "نهاية التاريخ". أضف إلى ذلك أن الاتصال معطى اصطناعي artificial، أي فني، أي أنه في نهاية المطاف arte، وهو معنى "الصناعة" عند العرب القدامى.

• الاعتبار الثاني: الكونية/ الافتراضية: إن العولمة تتزامن وتتلازم مع تقنيات الصورة المستحدثة، ونعني بها الصورة "الافتراضية" أو "الصورة الكونية". وهكذا، فإن العولمة من حيث هي "صورة العالم" الواحد في علاقته بذاته تتماهي في بعدها القيمي مع "عالم الصورة". إن الافتراضي أو المتصور يصبح أكثر واقعية وحقيقية من الواقع ذاته. صار المتخيل اليوم جزءا من المعيش الإنساني أكثر بكثير مما كان عليه حتى في عهود سابقة، بما فيها عهود الأساطير الشفاهية الأولية. لم يكن الفن في المجتمعات ما قبل الحديثة مستقلا عن عملية الإنتاج. الحداثة هي التي فصلت الأثر الفني عن الإنتاج. وعلى العكس من ذلك، نرى اليوم كيف أن العولمة مصحوبة بقيم "ما بعد" الحداثة آخذة في الارتداد نحو "ما قبل" الحداثة: عاد البعد الجمالي مجددا جزءا من عملية الإنتاج والاتصال والاستهلاك. هذا ما يفسر شغف الشباب بعلوم الخيال وبالعالم الكمون والإيهام (simulation) وبدنيا العجائب. زد على ذلك أن الصورة- بما هي علامة كونية دالة تتجاوز حدود اللغة المنطوقة- أمست وسيلة الاتصال المبتكرة والأنجح. إن سلطان القيم

الجمالية صار قويا بين الناس عموما، وبين الشباب خصوصا، مما حدا بالطلاب في مجال العلوم الإنسانية إلى احتقار الدراسات الحضارية والإنسانية الكلاسيكية والإقبال على الجماليات والفنون إقبالا منقطع النظير. وهذه النزعة الصاعدة لا يمكن تفسيرها بالجوانب النفعية والمهنية فقط، وإنما بنمط الثقافة السائد، وبسلم القيم كما تُركبها وتعرضها وسائل الاتصال الجماهيري.

- جمالية الإغراء: صارت القيم الاقتصادية، وهي بالتعريف قيم نفعية، أكثر انفتاحا على القيم الذوقية، وذلك من خلال الإعلانات على وجه الخصوص. ما من أحد ينكر المكانة الهائلة التي صارت للصورة الإعلانية في حياة الإنسان العصري. لقد أحدثت الإعلانات والإشهارات وجميع فنون الإغراء تغييرا عميقا لقواعد التبادل والاتصال، بل وولجت إلى دائرة الحياة الخاصة أيضا. الإعلان هو الذي أضفى طابعا متعويا، وربما جماليا، فاستمالت هذه السوق نحوها جيوشا من المستهلكين الشبان لا عد لهم ولا حصر على صعيد العمورة بأكملها. ومن المؤكد أن الإشهار هو الآن بصدد نحت شخصية شبابية نمطية على مستوى عالمي، ذلك أن الشباب يُستخدم استخداما مزدوجا: من حيث هو "مشارك" و"فاعل" في العمليات الإشهارية، أي كقيمة شبابية مُثمنة، ومن حيث هو "متقبل" و"منفعل"، أي كجمهور مستهلك لا غير. لا بد أن نشير - هنا - إلى الأزمة المعتمة في مثل هذا الوضع: النظرة إلى الشباب - من ناحية أولى - كرمز للعنفوان ولتجدد الحياة، أي كقيمة وكغاية في حد ذاته، والنظرة إليه كمستهلك - من ناحية ثانية - أي كمجرد وسيلة تستخدم بشكل مؤقت. إن الشباب بقدر ما يغريه بعد الاستمتاع أو ما يمكن تسميته بـ"النشاط اللعبي الجمالي" *Judisme esthétique*، يصطدم بهذا الطابع العابر والمؤقت للقيم الاستهلاكية دون أن يستطيع الفكك منها. وهكذا، فإن قيم العنفوان والحياة والتجديد والإبداع التي يرمز إليها الشباب في جميع الثقافات تتجاور مع الطابع غير المرغوب فيه لثقافة الاستهلاك التي تعمل العولة على

تعميمها في جميع أصقاع الدنيا، فيكتشف الشباب أن للحياة طابعها غير المجدي أيضا، فيلجئون إلى الحلول اليائسة أحيانا.

- اللعبة الشبابية: ما كان يميز القيم التقليدية في وقت سابق إنما تصويرها للشيوخ كقدوة للأجيال الصاعدة، كرمز لعدة خصال وفضائل: الخبرة، والحكمة، والحيطة، والمسئولية، والتعالي، والوفار. في مثل تلك الثقافة، لم يكن الجسد قيمة محورية. كانت آنذاك القيمة الأسرية التي تحكم علاقة الأجيال ببعضها البعض هي الاحترام. ولكن اليوم وقد ولى ذلك العهد الذي كان فيه التقدم في العمر غاية تقصدها الأجيال اليافعة، فقد تراجع مبدأ الاحترام الذي كانت تدل عليه عبارة مثل قولنا "الشيخ الجليل" ليحل محله مبدأ اللذة والسعادة الحسية *hedonism*، وهو مبدأ يعلي من شأن الجسد، ويقول بالقوة والقوة والاقتدار. وهكذا، فقد أضحى الشباب في حد ذاته - قيمة كونية، خاصة في ثقافات البلدان المصنعة التي تعتبر "رفاه الحياة" قيمة القيم لديها (*bien-être*, *well-being*). ولقد آل الأمر بهذه الثقافات إلى ما يشبه التنكر للموت: إنها تحلم بأن تعيش شبانا أبديا، من استعراض للجسد والانشغال به، إلى تمديد الحياة، إلى مقاومة التجاعيد، وسائر صنوف التجميل والتقنيع، إلى الرحلة إلى العالم الآخر بدون شعور بالألم ولا بالموت. إنها "عبادة الشباب" باعتباره معيارا للقوة الفيزيائية والاندفاع الروحي والاتساق الجمالي. أضف إلى ذلك أن تشبيب العالم لا يتنافى مع مقتضيات السوق المعولة، بل على العكس من ذلك، باتت النزعة الشبابية مطية سائغة ووسيلة مسخرة للمزيد من الاستهلاك. فهل كفّ جيل اليوم من الشباب عن أن يكون رمزا لقيم الاحتجاج والتمرد والثورة والبروق عن الامتثالية (*conformism*)؟ بم نفسر الفارق الهائل بين جيل الشباب في الستينيات من القرن الماضي الذي كان مارقا عن التقاليد وعن قيم السلطة الأسرية، والدينية، والمدرسية، والسياسية، وجيل اليوم الذي يبدو بعضه جيلا محافظا؟

ومن المؤكد أن الإشهار هو الآن بصدد نحت شخصية شبابية نمطية على مستوى عالمي، ذلك أن الشباب يُستخدم استخداما مزدوجا: من حيث هو "مشارك" و"فاعل" في العمليات الإشهارية، أي كقيمة شبابية مُثمنة، ومن حيث هو "متقبل" و"منفعل". أي كجمهور مستهلك لا غير

بم نفسر الفارق الهائل بين جيل الشباب في الستينيات من القرن الماضي الذي كان مارقا عن التقاليد وعن قيم السلطة الأسرية، والدينية، والمدرسية، والسياسية، وجيل اليوم الذي يبدو بعضه جيلا محافظا؟

التمكين والاستقلال الذاتي (الحكم الذاتي= الناموس auto-nomos) يشتركان في الكثير من الدلالات السياسية والأخلاقية. فلا فرق بينهما سوى أن التمكين يضيف من ناحية أولى- معنى القوة بعد أن كان مفقوداً أو مستتراً في الاستقلالية. ويضيف من ناحية ثانية- معنى النخبة، إذ لا يخلو التمكين- في كل الحالات- من رؤية تنافسية واصطفائية. تظل مطمحا لغالبية الناس، أي مطمحا ديمقراطياً.

- العامل الاقتصادي: قد يقال إن الحياة المادية وما تستلزمه من تسليم بمبدأ "المنفعة" و"المبادلة" و"المنافسة" و"الأناية" هي المقابل المباشر للحياة الروحية التي هي منبع القيم. لكن ما من عارف يستطيع أن ينكر مساهمة الاقتصاد السياسي في الحقل الأكسيولوجي، ونعني الكشف عن المنابع الذاتية والتجريبية للعمل والإنتاج. هنالك تناسب شديد ودامغ بين دائرة الاقتصاد ودائرة القيم من جهة اشتراكهما في الذاتية، وفي النسبية، وفي الفاعلية، وفي التدبير الذاتي، وفي الطاقة الإبداعية، وفي الإنتاج الرمزي والمعيارى (المغايرة)، أي القدرة على خلق القيم وعلى "شحن" الأشياء الخرساء بعلامات وبدلالات قابلة للتداول بين الناس. ليس من باب المصادفة إذن- أن يرتبط مفهوم القيمة بالاقتصاد السياسي وبموطنه الإنجليزي. ولنذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ونتساءل: أليست الطبيعة الاقتصادية للمجتمعات الأوروبية هي التي مكنتها من الاستقلالية (autonomie) كقيمة تعتبر من أشرف مكتسبات الحضارة، سياسياً وأخلاقياً، سواء للأفراد (استقلالية الضمير والفكر)، أو للجماعات والكيانات السياسية (استقلالية الإرادة العامة)، والحال أن الاستقلالية قيمة مشتركة بين النشاط الإنتاجي والنشاط المعيارى. وبالمقابل نرى مجتمعات أخرى- من بينها مجتمعاتنا العربية- ما تزال ترزح تحت وطأة الاتباعية (hétéronomie)؟ أليس التسوية الاقتصادي للوجود الاجتماعي في البلدان الغربية هو الذي رد المسألة الدينية إلى "حدود العقل"، فأثبتت للمجتمعات وللدساتير الوضعية استقلاليتها المدنية بشكل حاسم، بقدر ما غذى الشعور الديني الرقيق في ضمائر الناس؟

ومؤدى هذه المعاينة للعلاقة بين القيمة والمنفعة ما يلي :

- إن تمكين الشباب- كما بينت إحدى دراسات مشروع تمكين الشباب⁴- هو أحدث عبارة لصياغة الاستقلالية الكلاسيكية في قالب جديد. ويمكن القول بأن التمكين والاستقلال الذاتي (الحكم الذاتي= الناموس الذاتي= auto-nomos)

يشتركان في الكثير من الدلالات السياسية والأخلاقية، فلا فرق بينهما سوى أن التمكين يضيف- من ناحية أولى- معنى القوة بعد أن كان مفقوداً أو مستتراً في الاستقلالية، ويضيف- من ناحية ثانية- معنى النخبة، إذ لا يخلو التمكين- في كل الحالات- من رؤية تنافسية واصطفائية، في حين أن الاستقلالية تظل مطمحا لغالبية الناس، أي مطمحا ديمقراطياً.

- إن القدرة الذاتية على خلق القيم هي التمكين، الذي يمكن اعتباره- من هذه الزاوية وعلى هذا الصعيد محرك القيم. ومن المفارقة- كما تذهب إلى ذلك الأدبيات الاجتماعية والنوعية الرائجة اليوم- أن الفئة المهياة والمؤهلة أكثر لتجسيم هذا المبدأ التنموي، وهي التي تمثل "الفرصة الديموغرافية" التنموية، ونعني بها فئة الشباب، هي الأكثر حرماناً من وسائل تحقيقه اقتصادياً (عدم التحكم في آليات الإنتاج)، وسياسياً (ضعف المشاركة السياسية وعزوف البعض عنها)، واجتماعياً (البطالة، والأوبئة، والمخدرات، والصراعات) لا حل لهذه العضلات- كما ترى تلك الأدبيات- إلا بإطلاق حرية المبدأ الديناميكي الذي تمثله بالخصوص الطاقة الفردية لدى الشباب.

المطلوب إذن تهيئة الأرضية لاستحثاث الشباب لا بلغة الوعظ والإرشاد ولا بطرق سياسية تسلطية، وإنما بواسطة المصلحة كانت مادية (الكسب والتحكم في الأشياء) أم معنوية (الاعتزاز بالنفس).

- ولا عجب في الأمر، فإن التمكين يتضمن مفارقة مفادها أن الاجتماعي يتقوم بالفردى. ومن بين الإشكاليات التي يجب طرحها وتطويرها، وكما ورد في الصفحات السابقة حول العولة، أبعادها الأساسية: الأول سياسى (الليبرالية بفضائها العمومى الكوسموبولوتيكي)، والثانى اقتصادى (الاحتكارية التجارية والمالية وإعادة تقسيم العمل)، الثالث معيارى ثقافى (تحررية ثقافية وفنية، وتبادلية رمزية، وتداولية اتصالية

(واعلامية). فهل التمكين، من حيث هو قيمة استقلالية انتعشت في ظل العولة، قادر على الحد من مساوئها الاقتصادية، وعلى تغليب كفة الفضاء السياسي العمومي وعلى تطعيم الليبرالية بالمشاركة وبالديمقراطية؟ إن البديل العياري أو القيمي هو البديل الشبابي لكونه الطريق الوحيد الذي يسمح للشباب، في البلدان النامية بالخصوص- بأن يلف من حول الميدان الاقتصادي ويتجنبه لكون المعركة فيه محسومة قبل بدايتها. ولنا حتى في الحالات القصوى، وهي الحالات الخطيرة- كالإرهاب مثلا- برهان على ما نقول: أهمية الرأسمال الرمزي بالنسبة للشباب. حيث لا سبيل لقطع دابر هذا الضرب المتطرف من "المشاركة" الرمزية والنخبوية- الإرهاب- إلا بالمشاركة الجماعية والديمقراطية في الفضاء العمومي المحلي والعالمي. وهكذا، فإن الطابع الاستراتيجي الجديد الذي اكتسبته الفئة الشبابية يؤشر إلى تحول عميق في القيم وفي المستقبل الاقتصادي للشباب: العمل بمقتضى الكفاءات والمواهب مكان العمل بمقتضى الامتيازات، وهذه القدرات من الواجب أن تتطلع نحو "حدها الأقصى" الذي لم يعد حداً نهائياً: مفهوم التمكين يتأسس على معنى المضاعفة والتقوية، أي القدرة على تقوية القدرة بطريقة لانهائية.

- العامل السياسي: المواطنة والمشاركة: يجمع الباحثون- علماء اجتماع وفلاسفة وعلماء سياسة- على أن عصرنا هو عصر الامتالية المعممة، بمعنى أن المقاييس والمعايير السائدة فيه هي مقاييس ومعايير التنميط والتسطيح، لا على مستوى تسويق الذوق المشترك، وتبضيع الرأي العام، وتوجيه السلوك الجماعي، ومراقبة الضمير الخاص والوعي الحميم وحسب، وإنما أيضاً على مستوى الفكر العالي الذي صارت تتسرب إلى ثناياه الأحادية وتسيطر على بعض منتجاته. لقد صارت الاتباعية أم القيم في "عصر الإمبراطورية"، عصر العولة وثقافة الاستهلاك. الامتالية هي- إذن- خلاف الإبداعية (أو الابتداعية كما سماها سلامة موسى وسمير أمين). من هذه الجهة تكون الامتالية بمثابة الرديف الثقافي والمعياري

"للشعبوية" السياسية political populism التي تحركها أيادي السوق والإعلام الخفية، فصارت تملأ شوارع العالم، وأغلبية مكوناتها من الشباب. لقد ولّى عصر التنظيمات الكلاسيكية، دون أن ندري ما إذا كان ذلك لأمد قصير أو لأمد بعيد، وربما إلى الأبد. فما يقال عن انحلال الدولة القومية، كنزعة عالمية عامة، يصاحبه- بالضرورة- انحلال أشكال السيادة وأشكال التعبير السياسي وأشكال المقاومة السياسية التي صاحبت، في السابق، تكوّن تلك الدولة وتطورها واشتدادها. لقد انحسر الآن نفوذ الأحزاب والنقابات وغيرها من الأطر والهيئات والكيانات العضوية التقليدية، التي كانت تعبئ الجماهير وتنظمها وتسوسها. لذلك، فإن أزمة مشاركة الشباب وهي أزمة حقيقية بلا شك- هي جزء من أزمة أعم وأخطر، وسيكون لها- لا محالة- أثر على المستقبل السياسي للتنظيمات المدنية، ألا وهي أزمة المواطنة. لا يعني ذلك أن العالم أمام طريق مسدودة، بل ربما تشير الأزمة إلى تحولات وبدائيات جديدة في المواطنة والمشاركة والتوزيع العالمي للفضاء العمومي والتواصل، وخاصة في العلاقة بين السياسي والمجمعي.

هذه الفكرة بحاجة إلى التفكيك والتوضيح

- من المفاهيم الرئيسية التي غذت الفكر السياسي الحديث: وطن وشعب وطبقة وأمة، وكانت تحيل إلى ضرب من التجانس أو حتى الوحدة، جغرافية كانت أم حقوقية أم اقتصادية أم سياسية. ولكن ما يلاحظ في أيامنا هذه - كما يذهب إليه المفكران السياسيان، الإيطالي أنطونيو نيغري، والأمريكي مايكل هاردرت - هو انحلال هذه التجمعات العضوية أو شبه العضوية، وظهور كيان واسع ومتحرك وغير متجانس يطلقان عليه اسم "الجمهور"⁵ (Multitude)، ويعنيان به الكثرة الاجتماعية والتعدد الاجتماعي، وهو قريب عددياً من "الغوغاء" أو "العامّة" في العربية القديمة، من دون أن يكون له المعنى التحقيري الذي لهذين اللفظين الأخيرين. لذلك نفضل استخدام "جمهور" لأنه يجمع بين معنى الكثرة ولا يؤدي معنى الاستنقاص. ويقصد نيغري

لا سبيل لقطع دابر هذا الضرب المتطرف من المشاركة- الرمزية والنخبوية- الإرهاب- إلا بالمشاركة الجماعية والديمقراطية في الفضاء العمومي المحلي والعالمي.

فما يقال عن انحلال الدولة القومية، كنزعة عالمية عامة، يصاحبه- بالضرورة- انحلال أشكال السيادة وأشكال التعبير السياسي وأشكال المقاومة السياسية التي صاحبت، في السابق، تكوّن تلك الدولة وتطورها واشتدادها

إن الشباب العربي، من حيث هو "الجمهور" الفعلي لسكان البلاد العربية- وكل الأحداث الكبرى في السنين الأخيرة دالة على ذلك- ليس جيل المستقبل بمقتضى رغبة أو ميل أو تفضيل، وإنما بمقتضى الوضع الوجودي الذي يعيشه

وهاردت بالجمهور الحشود من الأفراد من شتى صنوف الفئات الاجتماعية المحرومة والمستغلة والتي لا يجمع بينها سوى فقرها الذي تحوله إلى فضيلة وإلى عنفوان، أي إلى سلاح سياسي يتيح لها إعادة تشكيل الفضاء العمومي والديمقراطية على مستوى عالمي. إذا سلمنا بتحليل هذين المفكرين أمكننا القول بأن الشباب (وبخاصة في البلدان النامية والبلاد العربية والإسلامية) يمثل بحكم وزنه الديموغرافي الهائل القلب النابض للجمهور (الانتفاضة وأطفال الحجارة وبعض التحركات في فرنسا وألمانيا تحاجج لصالح أطروحة نيفري/ هاردت). وسؤالنا هو كيف تتحول "غوغاء" مدننا العربية وشبابها إلى جمهور بعيدا عن السذاجة والعفوية والانفعالية من ناحية، وعن العنف والتطرف من ناحية أخرى؟

معلوم أن من مبتكرات الحدادة السياسية تمييز دائرة السياسة عن دائرة الأخلاق والدين أولا، ثم تمييزها عن دائرة المجتمع المدني ثانيا. هذا التمييز هو الذي أتاح للسياسة أن تبرز كدائرة مستقلة يمكن لأي شخص كان أن يتعامل معها إذا ما استجاب لمقتضياتها. أما في أيامنا هذه، فإن تفكك الكيانات والمراكز السياسية التقليدية وظهور "الجمهور" صارا ينشئان علاقة ترابط بين السياسي و"الاجتماعي" بالمعنى الواسع للكلمة. والمقصود بالاجتماعي ليس مرتبة اقتصادية محددة أو انتماء لطبقة معينة، وإنما صفة مشتركة ورابطة مدنية سارية بين مجموعات وحشود تشترك في جملة من الحاجات الاجتماعية وفي الشعور بالظلم أو بالاستغلال أو بالحرمان، فتنتعت بالفقيرة. في مثل هذا التعريف الإنساني الاتساعي تعثر النظريات الشبابية على الحلقة المفقودة لاستكمال تأسيسها، وعلى جواب عن تساؤلاتها المعرفية، من قبيل: "ما الذي يسوغ الحديث عن قضايا مشتركة للشباب ورغم أنهم غير متجانسين سوسيولوجيا؟" "بم نفس الحركات الاحتجاجية المشتركة للشباب رغم تبايناتهم الطبقيّة؟" يتبين أن "الاجتماعي"- على نحو ما عرفناه- هو الذي يخترق التباينات الهرمية والبنى العمودية، ويعيد تحديد الشباب أفقيا بحسب مقياس الحرمان

ليس لمشروع تمكين الشباب العربي- إذن- من جدية عملية ومن تماسك حقوقي ومن صرامة نظرية إلا من خلال هذا المنظور الذي تمثل دراستنا في مجال الشباب مساهمة في بلورته وتثبيته

الاقتصادي أو السياسي أو الرمزي. وهكذا، لم يعد السياسي مستقلا عن الاجتماعي، بل إن الاجتماعي هو صانع السياسة. من هنا يمكن أن يفسر الانحلال الظاهري للسياسة وفقدانها التدريجي للحرفية. لقد صار من الممكن لنا الآن أن نقرر- بثبات- أن الشباب العربي، من حيث هو شريحة أفقية "عابرة للتكوين الاجتماعي"، لا يمثل "نافذة ديموغرافية" وحسب، وإنما يمثل رمزا اجتماعيا كذلك. "الشبابي" و"الاجتماعي"، من حيث كونهما يشتركان في صفة اللاتجانس، يعطي كلاهما للآخر ما يحتاجه من أسس ومسوغات نظرية وعملية.

ولكن لنذهب إلى ما هو أبعد: ولنبدأ بالتمييز بين "السلطة" power وبين "الاقتدار" potency، puissance. السلطة هي الأمر الواقع، والأمر الواقع هو السلطة. في حين أن الاقتدار هو القوة الافتراضية الكامنة واللامتناهية، أي الحرية، نقيض الأمر الواقع. الاقتدار إذن هو الكمون. وهكذا لنا الوقائع من جهة ولنا القيم من جهة ثانية. إن الشباب العربي، من حيث هو "الجمهور" الفعلي لسكان البلاد العربية- وكل الأحداث الكبرى في السنين الأخيرة دالة على ذلك- ليس جيل المستقبل بمقتضى رغبة أو ميل أو تفضيل، وإنما بمقتضى الوضع الوجودي الذي يعيشه: الطابع "الجمهوري" للشباب يؤكد- بشكل ساطع- أن هذه الفئة هي قوة الكمون والاقتدار، أي أنها- هي بالذات- محمل القيم التي تتجاوز دوما الأمر الواقع. ليس لمشروع تمكين الشباب العربي- إذن- من جدية عملية ومن تماسك حقوقي ومن صرامة نظرية إلا من خلال هذا المنظور الذي تمثل دراستنا في مجال الشباب مساهمة في بلورته وتثبيته.

ثانيا: في التوزيع المعياري: تقسيمات وتصنيفات أولية ممكنة للقيم

ما دام "الإنسان هو مقياس كل شيء"، كما قال برد تاجوراس الفيلسوف السفطائي، فإن المعايير والقيم تحتل منزلة محورية في الحقل الأنثروبولوجي الشاسع. يتبع ذلك أنها تخترق أفقيا وعموديا جميع مستويات الحياة الإنسانية ومنظوراتها، فردية كانت أو جماعية. لذلك فإن معالجة القيم مسألة دقيقة

تزداد صعوبة لاندراجها في مجال المعارف ذات الدلالات المتبسة *equivocal*، على نحو ما ذكرنا في مقدمة هذا البحث. ولحصر الأخطاء والمزالق والتقليل منها وجب تحديد مستويات الخطاب المعياري ومنظوراته. قد يبدو ما سنسوقه هنا تجريديا، والأمر مفهوم ما دمنا عاكفين في هذه الورقة على الجانب المنهجي، مرجئين الجانب المضموني لبحث مستقل:

مستويات القيم⁶

التمييز بين المستويات لازم، لأن ما يكون موجبا في مستوى (أ) قد يكون سلبا في مستوى آخر (ب)، ومثال ذلك أن الوفاء بالعهود قيمة سامية في المستوى الأخلاقي، ولكنه يصبح قيمة واهية في المستوى السياسي. ونحن عندما نسعى إلى تقويم أو تصنيف موضوع تقني (كآلة الغسيل مثلا) نسترشد بمقاييس النجاعة والمردودية والمنفعة وقدرتها الآلية على التكرار والمحاكاة وإعادة الإنتاج، وعندما نريد تقويم أو تصنيف مقطع موسيقي نسترشد بمقاييس الأصالة والتفرد (نقيض الآلية والمحاكاة والتكرار). وهكذا، ليس من الممكن تحويل القيم جزافا من مستوى إلى آخر، ومن بين هذه المستويات:

- المستوى المعرفي النظري، تتمثل القيمة في الصدق، وقاعدتها البرهان والتطابق بين التمثلات الذهنية والموضوعات الخارجية .
- المستوى الأخلاقي، تتمثل القيمة في الخير، وقاعدتها الواجب والشعور بالاحترام إزاء القانون الأخلاقي.
- المستوى الديني، تتمثل القيمة في المقدس، وقاعدتها الاعتقاد.
- المستوى السياسي، تتمثل القيمة في السلطان والمجد، وقاعدتها التكيف مع موازين القوى.
- المستوى الاستطقي أو الجمالي، تتمثل القيمة في الجميل، وقاعدتها الشعور الذاتي باللذة وبالرضا والارتياح.
- المستوى الحقوقي (التشريعي أو القانوني)، تتمثل القيمة في العدل، وقاعدتها وضع الأمور في نصابها، وإخضاع الحالة الخاصة للقانون العام، أي الكيل

بمكيال واحد.

- المستوى الاقتصادي، وتتمثل القيمة في المنفعة، وقاعدتها تنمية الخيرات والتبادل بمقتضى المصلحة.

وخلاصة الأمر- هنا، أنه ليس من الصائب أن نحكم في المعرفة النظرية بمقاييس الأخلاق أو أن نحكم في الأخلاق بمقاييس المعرفة النظرية، فالصيغة $E=mc^2$ نقول عنها إنها إما صادقة أو كاذبة وليست جميلة أو قبيحة، صالحة أو طالحة، وبالمقابل نقول عن "التضامن الاجتماعي" إما أنه "خير واجب"، أو "شر مكروه"، وليس "صادقا" أو "كاذبا".

- نماذج تفسيرية ومنظورات معيارية

وهي كثيرة كثرة المذاهب والمدارس والمعتقدات والثقافات والفلسفات. والمهم في معالجة القيم اتباع منهج متكامل العناصر حتى تبطل الحاجة إلى المزج بين عناصر تنتمي لأنساق معيارية مختلفة وربما متناقضة. فليس أكثر إضرارا بالبحث الأكسيولوجي من الانتقائية لتعارضها مع نظرية القيم التي تطمح إلى توحيد المعايير والمكاييل. ونجمل استعراض النماذج والمنظورات على النحو التالي:

- النموذج السوسيولوجي، ومن واضعيه الأوائل دوركهايم، ويبحث في العلاقة بين القيمة والمؤسسة، منطلقا من التعارض بين القيم الجماعية والرغبات الفردية، لذلك يرى هذا النموذج أن من الأصلح الحديث عن المعايير بدل القيم التي يحسن تخصيصها على الأفراد. وتكمن أهمية هذا النموذج في كونه كشف عن "السلطان الأخلاقي" الذي للمعايير على اختيارات الناس وأفعالهم بعيدا عن النفعية التي قالت بها المدارس الاقتصادية الانجليزية بالخصوص. بم نفس انصياع الأفراد للمجتمع وطاعتهم لقوانينه حتى عندما تتناقض مع مصالحهم؟ يقينا أن المنفعة لن تدلنا على شيء ذي أهمية. لكن سرعان ما تظهر حدود هذا النموذج لأنه يطمس مسألة الذات التي بدونها لا معنى للقيم.

- النموذج السيكلوجي، ويمكن قسمته إلى علم

المهم في معالجة القيم اتباع منهج متكامل العناصر حتى تبطل الحاجة إلى المزج بين عناصر تنتمي لأنساق معيارية مختلفة وربما متناقضة. فليس أكثر إضرارا بالبحث الأكسيولوجي من الانتقائية لتعارضها مع نظرية القيم التي تطمح إلى توحيد المعايير والمكاييل.

نفس عام، وعلم نفس تحليلي. فأما الأول (علم النفس)، فيرد أصل القيم إلى الأهواء وإلى الانفعالات، وبمقتضاه تكون الرغبة مولدة للقيم، والقانون الخارجي والتربية يصقلان الرغبة ويوجهانها. أما أحكام القيمة، فتكتسي طابعاً موضوعياً موهوماً، لأن الصفات المحمولة على الأشياء ليست في حقيقة الأمر سوى إسقاطات الحياة النفسية على الأشياء الخارجية. وأما الثاني (علم النفس التحليلي، المدرسة الفرويدية)، فبمقتضاه لا تكون القيم وليدة "انفعال" أو "رد فعل" أو مجرد نتاج للرغبة البسيطة، إنما عملية معقدة تؤول إلى التسامي، والبعض يسميه التصعيد، و الذي من وظائفه المعيارية- في المجال الفني- تحويل الغرائز الدفينة إلى روائع. وبحسب هذه المدرسة، فإن الإنسان منتج كبير للقيم بمقتضى ميكانيزمات اللاوعي. ومفارقة هذا التحليل أنه قتل الذاتية، وابتكر أرقى أشكالها المعيارية، ونعني به التسامي.

- النموذج الفلسفي، وله اتجاهان رئيسيان: العقلانية، والتجريبية. فأما العقلانية، فترى أن القيم من وضع العقل التشريعي، وبالتالي فوجودها سابق على أي تجربة. ولذلك فإن معايير الخير والعدل والحق كونية، وتسري على جميع الأفراد وعلى جميع الثقافات في جميع الأمكنة والأزمنة. ولو كانت المعايير من وضع التجربة لكانت نسبية، وكان من الممتنع قيام مناقشة معيارية بين الناس، وكان من الممتنع- أيضاً- على الواحد منا أن يقنع الآخر بصلاحيته معيارية وقيمه. وأما التجريبية- الإمريكية- فترى أن القيم محصلة من محصلات تجاربنا اليومية، ولا أساس لها في أي قانون عقلي، ذلك أن العقل هو مجرد ميزان يعصم الذهن عن الزلل، ومجرد آلة حسابية تقدر لنا الوسائل، وليس لوضع الأهداف والغايات. وإذا لم يكن من طبيعة العقل أن يحدد الأهداف والغايات لا يمكنه إنتاج القيم. وهكذا، تكون القيم- إذن- مرتبطة بالشعور وبالضمير وبالحنس الباطن، أي بالذاتية.

- المنظور الغائي، ويتناول القيم من حيث غاياتها ومقاصدها: لا تكمن قيمة أعمالنا في النتائج

المتحققة فعلاً وإنما في النوايا المقودة. وواضح أن هذا المنظور يناقياً تماماً المنظور النفعي والبراغماتي. ويمكن نعت هذا المنظور بالمثالي.

- المنظور النفعي، ويرى أننا نقدر الأشياء والأعمال بحسب ما تجلبه لنا من خيرات وما تدفع عنا من مضار. ينتشر هذا المنظور في مجال الاقتصاد السياسي بالخصوص، وهو إنجليزي المنشأ، ويعتبر في أصل نقد القيم الدينية في مجال المعاملات المدنية.

- المنظور الإجرائي، وهو منظور على غاية من الأهمية في الثقافة السياسية والحقوقية بالبلدان الغربية. ليست العبرة في مجال القيم (كالعادلة مثلًا) بالغايات وبالنتائج وحسب، وإنما بالطرق والمسالك والوسائل المؤدية إليها. لا بد من احترام الإجراءات الشكلية. وهكذا، فإن طريقة الاقتراع أهم من نتائجها: القيمة تكمن إذن في الوسيلة. قد يختلف الناس في الغايات، ولكن عليهم أن يتواضعوا على الوسائل وعلى الإجراءات. طبعا هذا المنظور منتشر بين رجال القانون، وهو والحق يقال ضعيف، في ثقافتنا العربية المعاصرة، على الرغم من هيمنة الطابع الفقهي (وهو إجرائي، وشكلاني في جوهره) في ثقافتنا التقليدية. وأما ونحن نرى الشباب على المستوى العالمي عموماً، وفي البلاد العربية خصوصاً، ميالاً إلى الأفعال البطولية، توافاً إلى الغايات النبيلة، مضحياً في سبيلها بالبعد الإجرائي، بل ومستخفاً بما يمت للشكل بصله، فحري بنا- مرابين ومسؤولين وخبراء- أن نقرب له هذا المنظور، لأن العدل في الميزان بصرف النظر عما في الميزان. ولا سبيل إلى ذلك إلا بفتح الحوار وإفساح المجال للنقاش مهما كانت اتجاهاته متعاكسة. إن الفكر الإجرائي يتبلور في خضم النقاش، أي بالدربة وطول النفس، ولا ينبثق فجأة نتيجة قرار.

- الموقف الكوني، وهو ذو نزعة عقلانية، ويعتبر من إرث التنوير، سواء التنوير العربي (ابن رشد)، أو التنوير الغربي (فولتير)، وكان مؤثراً لأمد طويل، لكنه صار اليوم يلقي الكثير من الانتقادات، فأل إلى الانحسار نسبياً. ورأيه أن أهم العالم تشارك في عين المعايير الطبيعية، المساواة، والحرية، والملكية الشخصية. وما نراه من اختلاف

ليست العبرة في مجال القيم (كالعادلة مثلًا) بالغايات وبالنتائج وحسب، وإنما بالطرق والمسالك والوسائل المؤدية إليها. لا بد من احترام الإجراءات الشكلية. وهكذا، فإن طريقة الاقتراع أهم من نتائجها: القيمة تكمن إذن في الوسيلة. قد يختلف الناس في الغايات، ولكن عليهم أن يتواضعوا على الوسائل وعلى الإجراءات.

وتضاد بين القيم إنما لحياد المؤسسة السياسية والعقائدية عن الناموس الطبيعي، وتأسيسها لقيم وضعية وتاريخية غير عادلة. ومهما بدت اليوم من حدود لهذا الموقف، فإنه كان في أصل واحد من أعظم التحولات الحقوقية والسياسية والفلسفية والأخلاقية في تاريخ الإنسانية: نظرية حقوق الإنسان. صحيح أن الموقف الكوني ينطلق من إنسان لا وجود له (الإنسان الطبيعي، الإنسان الافتراضي)، ولكن لهذا السبب بالذات كان محقا تماما، ذلك أن حقوق الإنسان لا تتعين بانتماء عرقي، أو بتحديد طبقي، أو بلون، أو بدين، أو بطقس، أو بجغرافيا، أو بتاريخ أو بتقليد معين. إن هذا الموقف متماسك على المستوى النظري، لكنه مصدر إشكالات على المستوى العملي والتطبيقي، لأنه صار يستخدم أداة للابتزاز، وللمقايضة بين الاستقلال والديمقراطية، بل للتدخل بالعنف في شؤون بلدان ذات سيادة. ومع ذلك، فإن هذا التناقض لا يجب أن يصرف النخب العربية وشبانها عن قيم حقوق الإنسان الكونية، والحال أن واحدا من أعلام النهضة الأوروبية ومؤسسيها قبل خمسة قرون هو القائل: "لقد قرأت في كتب العرب أن لا شيء أشرف قيمة من الإنسان".

- الموقف القائم على الهوية، أو الاختلافي، وهو نقيض الموقف السابق، ويعتبر من مبتكرات عصرنا الراهن، بل يقال إنه من مبتكرات قيم ما بعد الحداثة. : القيم بالنسبة لهذا الموقف حيوية وأصلية: حيوية، لأن حياة الأمم والجماعات تتوقف عليها، وأصلية إذ يعتبر أن القيم في أصل تكوين الأمم والكيانات السياسية، وهي بالتالي عريقة. ولما كانت القيم أصلية، صار من المحال رد الثقافات المتطورة إلى بعضها بعض. لا يقول هذا الموقف بالتنوع والتعدد والاختلاف فقط، وإنما يدفع الاختلاف بين الثقافات بعيدا إلى حد الانغلاق على الهويات، وهو انغلاق "حلزوني" يعبر عن حالة الهاشمة أكثر من حالة القوة. وقد يعبر عن نفسه بأسلوب القيم الرومنطيقية في السياسة والذوق، وينتشر بين صفوف الشباب، ونلاحظه كثيرا لدى طلاب الجامعات العربية ممزوجا بضرب من السذاجة، خاصة لدى ذوي

الأصول الريفية. ولم تخل القومية العربية من هذه الرومنطيقية. أما الاتجاهات الدينية في العالم قاطبة، فلم تكتف بتأويل الهوية تأويلا مغاليا، بل زادت على ذلك فانطلقت إلى ممارسات متشددة.

- ترتيب عام للقيم ومسالك أولية للبحث: يكاد المرء يقول مع نيتشه في هذا المضمار بالذات: " ليس هناك وقائع، وإنما هناك تأويلات لا غير"، أي أن عالم الناس لا وجود فيه إلا للتحكيم والتقويم والمعايرة. ولهذا السبب نرى أن عالم القيم عالم فسيح متحرك ومنزاح ومنحاز في نفس الوقت. وإذا ما استثنينا عددا قليلا من القيم الأساسية، وهي في الحقيقة "ما بعد قيم" أو "ميتاقيم"، كالخير والعدل والجمال والصدق، ألفينا أن أيا من القيم الأخرى يمكنه أن يكون مركزا لمنظومة معيارية. هناك إذن عدد لا متناه من المراكز على قدر ما هناك من تركيبات وتفكيكات ممكنة للقيم. يتبع ذلك أن ما نقترحه فيما يلي ليس تصنيفا وإنما مجرد موضعة أو ترتيب لبعض القيم بما يستجيب للمقاربة الشبابية التي نحن بصدددها:

ثالثا: السلم التقليدي للقيم والمعايير⁷:

- النظام الإلهي: مركزية العناية الإلهية (البركة)، القضاء والقدر (المكتوب)... إلخ
- النظام الاجتماعي: الوفاء بالعهد (الكلمة)، المقاصد والإرادة الحسنة (النية)، الحق والاستقامة، العدل... إلخ.
- النظام الأسري: الطاعة، رضا الوالدين، الحياء، التضامن،... إلخ.
- النظام الفردي: دفع مضرة وجلب منفعة، القناعة، الشجاعة... إلخ.

رابعا: السلم التحديثي للقيم والمعايير:

- النظام الأنثروبولوجي: مركزية الإنسان، العمل (المنفعة)، الحرية، الاستقلال... إلخ.
- النظام الاجتماعي: الأناية في أصل المدنية، وطلب المنفعة الخاصة يؤسس للمنفعة العامة.

ولما كانت القيم أصلية، صار من المحال رد الثقافات المتطورة إلى بعضها بعض. لا يقول هذا الموقف بالتنوع والتعدد والاختلاف فقط، وإنما يدفع الاختلاف بين الثقافات بعيدا إلى حد الانغلاق الموهوي. وهو انغلاق "حلزوني" يعبر عن حالة الهاشمة أكثر من حالة القوة

والاستقلالية تصبح شرطا للقيم اللاحقة، لانها تسوّغ قيام "سلطة" تشريعية، وهي سلطة الشباب على شؤونهم.

التعلم الذاتي وهو من دعائم التربية من أجل الديمقراطية وحقوق الإنسان. لانه يزيح عن مخيلة الشباب شبح السلطة والخوف من التسلط، غير انه لم يرسخ بعد في بلداننا العربية التي ما تزال التربية فيها تعتمد التلقين من فوق أو من خارج باعتبار الشباب قوة تقبل وانفعال

- النظام الأسري: الأسرة المحدودة أو الضيقة، التشاور، الاستقلالية النسبية لأعضاء الأسرة، التكفل بالذات وتدبير الشؤون الشخصية.

- النظام الفردي: حب الذات كقيمة سامية مولدة لفرديّة منتجة وخلاقة وصناعة للتمدن، حرية واسعة.

خامسا: السلم الشبابي للقيم من منظور تمكيني (أو حقوق الإنسان شبابيا):

لا نسوق هنا سوى عينة من القيم التي تمثل في رأينا مقومات معيارية للتمكين:

- حرية الضمير والاختيار، وهي ذلك الحيز الجواني (الداخلي) والحميم الذي يمثل كرامة الشخص البشري أيا كان موقعه الاجتماعي، ولون جلده، وديانته... إلخ، وهو قيمة عليا، لأنه يعتبر بمثابة المبدأ، بل إن حرية الضمير تعمل كالرادف لعاقلية الإنسان.

- الاستقلال بالذات أو الاستقلالية (autonomie): وتعني خروج الشاب من حالة التبعية إلى حالة الرشد ليستخدم بروح المسؤولية- حرية الضمير والاختيار والقرار المتاحة له. وتتفرع الاستقلالية عن المبدأ السابق الذي يظل بلا معنى إذا لم يؤد إلى الاستقلالية، وتعني أن ينصاع الشباب لمعايير ساهموا في وضعها وترسيخها، فيشعرون بالحرية وهم منضبطون "للدستور" معياري سنوه بأنفسهم. والاستقلالية تصبح شرطا للقيم اللاحقة، لأنها تسوّغ قيام "سلطة" تشريعية، وهي سلطة الشباب على شؤونهم.

- تحقيق الذات ذاتياً: قيمة تعني أن يتدبر الشاب أمره بنفسه، وتتضمن دلالة قريبة من مفهوم التمكين، وتتفرع عن الاستقلالية، وهي مطلب الشباب اليوم في جميع البلدان.

- التعلم الذاتي، وهو قيمة إجرائية وليس قيمة غائية، بمعنى أنه وسيلة لتحقيق غايات، وتكمن أهميته في الاعتماد على التجربة والاختبار وأسلوب الخطأ والصواب الضروريين للدربة الذاتية. وهو من دعائم التربية من أجل الديمقراطية وحقوق

الإنسان، لأنه يزيح عن مخيلة الشباب شبح السلطة والخوف من التسلط، غير أنه لم يرسخ بعد في بلداننا العربية التي ما تزال التربية فيها تعتمد التلقين من فوق أو من خارج، باعتبار الشباب قوة تقبل وانفعال. كما يترسب في ثقافتنا الارتياح من "ثقافة الأقران" (التربية البديّة) التي ما تزال البنى الأسرية والتربوية التقليدية ترى فيها بعض المخاطر على سلطتها.

- مواجهة المخاطر، وهي شرط الدربة الذاتية، وبناء الشخصية، وتحمل المسؤولية، ومن القيم التي تغري الشباب كثيرا.

- القدوة: وهي قيمة انفعالية، وتعني اعتبار الشباب لخصال وقيم سامية يحققها غيرهم إن كليا أو جزئيا، في البيت أو في المحيط العام، أو في المدرسة، من الماضي أو الحاضر أو المستقبل المتخيل والمأمول. لا تخلو القدوة- أحيانا- من جانب الإيهام (الفتنطازيا) والأسطورة، وهي لهذا السباب ذات تأثير وجدوى. وتتجسد القدوة في الزعيم والبطل والمنقذ.

- العنفوان، وهو قيمة تندرج في باب الوسائل، لكونها تعكس طاقة الحياة والرغبة القوية في طلب الرقي وتحقيق الذات، والعنفوان قد يتطور ويتزايد وقد ينحدر ويتضاءل. وهو من هذه الناحية يرادف مفهوم التمكين.

- السعادة وطلب اللذة والمتعة: ومن معانيها الرفاه، والتمتع بالحياة، والشعور بالأمن، ووفرة الصحة، واتقاء الألم والشر، وتوافر وقت فراغ ووسائل ترفيه فردية. ومهما بدت السعادة قيمة بعيدة المنال فإنها مطلب يومي للشباب، وشعور دفين يصاحبهم كل حين. أما امتناع بلوغ السعادة فيمثل هاجسا يؤرقهم، بل ويؤدي إلى حالات اليأس والتشاؤم، أي إلى نقيض التمكين. وقد تطرقنا إلى هذا الضرب من السعادة المتعوية.

وبالمقارنة بين السلالم الثلاثة (تقليدي، تحديتي، تمكيني)، قد نستنتج أن تمكين الشباب أقرب إلى القيم الحديثة منه إلى القيم التقليدية. ولكن عند تدقيق النظر نلاحظ أن معايير التحديث والتمكين من الجائز جدا أن تكون تحويلا للقيم التقليدية، ومثال ذلك أن

المخصوصة على كل ثقافة وكل عصر. ومع ذلك، فإن التحويل ممكن، وهذا مبدأ أكسيولوجي معروف.

"مواجهة المخاطر" (تمكين) تدخل في باب الشجاعة (قيمة عريقة وتقليدية)، والقُدوة نجد لها رديفاً في السير والبطولات. طبعاً ليست المسألة مجرد اختلاف في التسمية، وإنما تباين بين العقليات وبين المعاني

المصادر العلمية للفصل الثاني

- 1- انظر: VULTUR, Mircea, « Les valeurs des jeunes et leur rapport aux institutions. – Quelques pistes de réflexion pour l'intervention et la prévention », Les jeunes et la SST dans une société en mouvement, Institut National de la [Recherche Scientifique, Montréal, 2005 [Actes de Colloque
- 2- ولقد توصل السوسولوجيون إلى إجراء دراسات إمبريقية كمية حول القيم، باستخدام التدريجات Scaling كما فعل البورت وفرنون في علم النفس، أو دراسات القيم في علم الاجتماع كما فعل بول لازرسفيلد وآخرون (مصطفى سوييف، مقدمة في علم النفس الاجتماعي، دار المعارف، القاهرة، 1987).
- 3- TRONTI, Mario, La politique au crépuscule (La politica al tramonto), trad. de l'italien par M. Valensi, , Editions de-3 l'éclat, 2000
- 4- راجع: عبد العزيز لبيب، مقارنة تمكين الشباب: في الأبعاد النظرية والمفاهيمية لتمكين الشباب، إدارة السياسات السكانية والهجرة، جامعة الدول العربية، 2006.
- 5- NEGRI & HARD, Multitude. – War and Democracy in the Age of Empire, Penguin Press Paperback, 2005
ويسمى أحياناً الحشد الذي يتصف به التجمع غير المتجانس
- 6- في هذا القسم، نستعيد جزئياً فقط تصنيف شرانجر للقيم، راجع: صلاح فنصوة، نظرية القيم في الفكر المعاصر، بيروت، دار التنوير، 1984، ص75.
- 7- انظر: PIC DE LA MIRANDOLE, De la dignité de l'homme (De hominis dignitate), nouv. trad. Y. Hersant, Éd. de l'Éclat, Combas, 1993.

القيم التعليمية للشباب*

مقدمة: حصاد الأدبيات ذات العلاقة

لعل السؤال المهم الذي يطرح نفسه هو: كيف أثرت العولمة والسياسات التي انبثقت عنها في النسق القيمي السائد لدى الشباب والمتعلق بتوجهاتهم نحو التعليم؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تتطلب الإشارة الموجزة إلى ما تعرضت له قيم الشباب ذات الصلة بالتعليم من تغيرات في ظل العولمة. والقيم التعليمية هي مجموعة الأفكار والمعتقدات والتوجهات الموجهة للسلوك والمحددة للعلاقات المتبادلة بين الشباب والنظام التعليمي، والتي تتبلور حول حاجات الشباب، ووضعهم في المجتمع، وتفكيرهم في مشكلاته، ومشاركتهم في تغييره، والمسئولة عن تحديد محتوى ثقافة الشباب واتجاهاتهم نحو الحياة التعليمية بصفة خاصة. ومن الطبيعي- كما أشرنا- أن تؤدي العولمة بتداعياتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية إلى تغييرات بنائية في المجتمعات المتقدمة والنامية على السواء، وأن تؤدي بدورها- متفاعلة مع متغيرات أسرية واقتصادية وسياسية- إلى انعكاسات مماثلة على نسق قيم الشباب.

ونشير ابتداءً إلى أن القيم كموجهات للسلوك تختلف في قوة إلحاحها طبقاً لاحتياجات الأفراد الناشئة عن انتماءاتهم الاقتصادية والاجتماعية، وكذلك وفقاً لتصوراتهم الخاصة.

ونظراً للطابع اللامتجانس لشرائح الشباب، وما يعكسه من تفاوت واضح في مستويات معيشتها، وظروف أسرها، ووزنها الاقتصادي والاجتماعي، ووعيها الاجتماعي، فإن العولمة والسياسات الليبرالية قد أثرت على هذه الشرائح بشكل متباين¹.

ولهذا تكشف الدراسات الحديثة في مجال القيم التعليمية للشباب عن تباين يتعاظم باضطراد بين أهداف التعليم والسياسة المتعلقة بالشباب من ناحية، والأولويات والقيم والاختيارات المتغيرة لدى الشباب من ناحية أخرى.

ويبدو أن أهداف التعليم وتنظيماته ومناهجه الراهنة تتناقض كثيراً مع أنماط الحياة التي يعيشها الشباب في المجتمعات الصناعية والنامية على السواء. وبالرغم من الاختلافات بين الدول على المستويات الإقليمية والدولية، فإن الدراسات تؤكد وجود تغييرات جوهرية في ظروف أغلبية الشباب، توحى بتشابه ملحوظ في المجتمعات ذات الأنظمة والتقاليد المجتمعية المتباينة.

على أنه أياً كانت درجة التشابه أو الاختلاف في مدى تأثير العولمة على قيم الشباب في كل من المجتمعات الصناعية والنامية، إلا أنه من المفيد منهجياً أن نعرض- أولاً- لتأثير العولمة على القيم التعليمية للشباب في المجتمعات الصناعية ثم نتناول بعد ذلك تداعياتها على شباب الإقليم العربي.

أولاً: تحولات القيم التعليمية للشباب في المجتمعات الصناعية

الحق، أن علاقة الشباب بالتعليم، والتغيرات التي حدثت في النسق القيمي للشباب في المجتمعات الأوروبية والأمريكية كانت محل دراسات تربوية واجتماعية مرموق².

لقد أوضحت هذه الدراسات مدى التغير العميق الذي أصاب قيم الشباب في ظل التناقضات القائمة الآن بين الرؤية الليبرالية الجديدة بسياساتها التي

للطابع اللامتجانس لشرائح الشباب، وما يعكسه من تفاوت واضح في مستويات معيشتها، وظروف أسرها، ووزنها الاقتصادي والاجتماعي، ووعيها الاجتماعي، فإن العولمة والسياسات الليبرالية قد أثرت على هذه الشرائح بشكل متباين

أنه من المفيد منهجياً أن نعرض- أولاً- لتأثير العولمة على القيم التعليمية للشباب في المجتمعات الصناعية ثم نتناول بعد ذلك تداعياتها على شباب الإقليم العربي.

أعد الفصل الدكتور / كمال نجيب، استاذ بكلية التربية، جامعة الاسكندرية،

حول القيم التعليمية للشباب.

1- قيود السياسات الجديدة للعولمة وضغوطها على قيم واختيارات الشباب التعليمية

أما عن الجانب الأول الذي تكشف عنه الدراسات التي أجريت حول قيم الشباب، فيتمثل في مجموعة القيود والضغوط الشديدة على أوضاع الشباب التعليمية والاقتصادية والاجتماعية. فمنذ بداية تسعينيات القرن العشرين، أقدمت معظم المجتمعات على تبني مجموعة من البرامج المالية والاقتصادية والمتعلقة بأسواق العمل، وقامت بتعديلات جوهرية لأنظمة التعليم وأهدافها استجابة للظروف الاقتصادية الجديدة. وقد أدى هذا إلى فرض مجموعة من القيم والبدائل التعليمية الجديدة على الشباب. وتركز هذه القيم من ناحية على الأهمية الاقتصادية للمؤهلات التعليمية، وتثير الشكوك وعدم اليقين حول التكهّن بنتائج هذه البرامج والبدائل التعليمية التي قد يختارونها من ناحية أخرى. كما أن تحولات العولمة الاقتصادية ضاعفت المسؤوليات الملقاة على كاهل الشباب في مجال تنمية قدراته ومهاراته واختيار أنماط حياته. ويصف الباحثون عملية التحول في اتجاهات الشباب وقيمه والتي صاحبت العولمة بأنها أصبحت تقوم على مبدأ "تصرّف بنفسك .. وتحمل مسؤولية نفسك"، الأمر الذي يؤثر ولا شك في حياة الشباب في أكثر من عشرين بلداً من بلدان المجتمعات الغربية.

وتكشف دراسة "جوهانا وين" و"بيتر ديور"⁴ عن أن التغييرات التي أصابت سوق العمل في المجتمعات الغربية المتقدمة، صاحبتها تحولات في العلاقة بين الشباب والتعليم، لعل أهمها ما يلي:

العولمة والتغير في العلاقة بين الشباب والتعليم

- جمع الشباب بين الدراسة والعمل .
- تضاؤل فرص الشباب غير المتعلم في الحصول على عمل .
- الإرجاء طويل الأمد للمزايا التي يحصل عليها الشباب في الحياة العملية .
- الزيادة المضطردة في حصة تشغيل الخريجين من الشباب في أعمال مؤقتة .
- تزايد ظاهرة عدم الاتساق بين الكفاءات والمؤهلات الحقيقية والأعمال التي يزاولونها .

Johanna Wyn & Peter Dwyer (2000)

تستهدف ربط عجلة التعليم بعجلة الاقتصاد الحر ربطاً محكماً، وواقع قوى السوق الحر المتقلب والذي لا يمكن توقع اتجاهاته أو احتياجاته المستقبلية توقعاً دقيقاً مضبوطاً. وفي هذا الخصوص، تجدر الإشارة إلى نتائج الدراسة التي نشرها " جوهانا وين و" بيتر ديور"³ Johanna Wyn & Peter Dwyer، وتضمنت مراجعة واسعة للدراسات المتعلقة بقيم الشباب واختياراتهم التعليمية خلال تسعينيات القرن العشرين. يشير الباحثان في هذه المراجعة إلى أن هناك ثلاث قضايا أساسية تبرز في هذه البحوث وألاها أن الخيط الثابت الذي يربط بين مجموعة الدراسات التي أجريت خلال هذا العقد يتعلق بوعي الشباب بالقيود الضاغطة المفروضة على اختياراتهم التعليمية والحياتية . أما الثانية فتتصل بما يشهده الشباب من تحولات- في عصر العولمة- نحو أنماط حياتية أكثر تعقيداً عن ذي قبل، ومحاولاتهم الخروج على الأولويات والقيم التي غرسها فيهم الآباء، وإلى محاولة دمج أو إحداث توازن بين عدد من التوجهات الحياتية الجديدة النابعة من احتياجاتهم واهتماماتهم الشخصية . أما القضية الثالثة التي يستخلصها " جوهانا وين و" بيتر ديور" من الدراسات في مجال أولويات الشباب وقيمهم التعليمية، فتتعلق بضرورة أن يكون للشباب صوت فعال ومسموع فيما يتصل بالتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية، خصوصاً في ضوء ما تبرزه هذه الدراسات من فجوات واسعة بين منطق الشباب وتفكيرهم وسياسات التعليم وحصيلة خبراتهم الفعلية.

ونعرض فيما يلي تحليلاً لكل من هذه القضايا التي تم استخلاصها من نتائج وأفكار البحوث العلمية

فمنذ بداية تسعينيات القرن العشرين، أقدمت معظم المجتمعات على تبني مجموعة من البرامج المالية والاقتصادية والمتعلقة بأسواق العمل. وقامت بتعديلات جوهرية لأنظمة التعليم وأهدافها استجابة للظروف الاقتصادية الجديدة. وقد أدى هذا إلى فرض مجموعة من القيم والبدائل التعليمية الجديدة على الشباب

إن تجربة البطالة، وفي أحسن الأحوال العمل المؤقت قصير الأمد، أصبحت قاسماً مشتركاً بين الشباب في كثير من المجتمعات. لقد كانت نظرة المجتمعات إلى التعليم في عصر ما قبل العولمة وسياساتها الليبرالية الجديدة، أنه سبيل لضمان إعداد قوة عاملة ماهرة ومدربة . ولم تكن الروابط بين التعليم والتدريب والعمل أو التوظيف تمثل - بصورة نسبية - أية إشكالية في كثير من المجتمعات. كما كان التناظر بين المؤهل التعليمي والمستقبل المهني معياراً واضحاً ومقبولاً في جميع المجتمعات .

المشكلة التي يواجهها الشباب هنا - كما يشير " ستيرن " وآخرون⁵ - أن المحددات الاقتصادية للسياسة التعليمية تثير الهواجس والشكوك حول الصلة المزعومة بين مواصلة التعليم لما بعد المستوى الإلزامي، والوهم العظيم، بل الوهم الأعظم الذي يتمثل في تشغيل جميع الخريجين.

إن ذوي المؤهلات العالية والمهارات المتقدمة يواجهون بسوق للعمالة يعاد هيكلته جذرياً، ويتعرض لتقلبات واسعة، ومن ثم يجد الشباب أنفسهم أمام معضلة غامضة لا يفهمونها في ضوء التغيرات الواسعة في معنى العمل وأنواعه ومسيرة الحياة العملية في المجتمع. إن الصورة التي درج الكبار على تقديمها للشباب حول ما يتعلق بعملية الاتصال والانتقال بين الدراسة والعمل، تحمل دائماً ملامح مبشرة حول طموحات المستقبل في العمل الدائم المستقر، والمسيرة الناجحة التي تنتظرهم في حياتهم العملية، والأمن والأمان الذي يحملهم لهم المستقبل بعد إنجازهم لمهامهم التعليمية.

ومن الجلي أن تلك الصورة التي يرسمها الآباء زائفة وبعيدة تماماً عن واقع الحياة المعاصرة في المجتمعات الأوروبية. وقد انتهى "تروتيير" وزملاؤه⁶ إلى أن ما يقرب من نصف عدد الشباب الكندي الذي يحمل مؤهلاً جامعياً، يعانون من البطالة أو عدم الاستقرار الوظيفي لعدة سنوات بعد التخرج. كما يشير " ر. جريجوري"⁷ في دراسته عن الشباب في أستراليا إلى أن زيادة مستوى التعليم لا يمنع من تحمل الشباب أعباء ثقيلة في عملية التكيف والتواءم مع تضاؤل فرص العمل المتاحة أمامهم . وفي هذا

الإطار، تقوم سياسات التدريب بمهمة إرجاء التوظيف وتأجيله، الأمر الذي يمثل لبعض الشباب مجرد أساليب لاستهلاك الوقت، ولللبعض الآخر برامج لتصفية قوة العمل من الشباب واختيار الأكثر مرونة وانصياعاً في المستقبل. كما يؤكد "س. سميث" و"ج. روجيوسكي"⁸ أن الشباب من غير المؤهلين تعليمياً يواجهون صعوبات جمّة في مجال الحصول على عمل مستمر ودائم. ومع أن الشباب الذي نال نصيباً أعلى من التعليم في المجتمعات الغربية وحصل على مؤهلات مرموقة أقل تعرضاً لمخاطر البطالة من هؤلاء الذين لم يحصلوا على مؤهلات، فإن العلاقة التقليدية المفترضة بين المؤهلات والحياة العملية قد اختفت تماماً من أسواق العمل. وعندما لا توفر الدرجات العلمية التي تمنحها مؤسسات التعليم أعمالاً مناسبة للحاصلين عليها، يتحرر الشباب من الوهم المتعلق بالتعليم وارتباطه بمستقبل حياتهم المهنية والاجتماعية.

ولا يمكن للمدارس والجامعات اليوم أن تزعم أنها تعد الشباب لسوق العمل، لأنها لا تنجز واقعياً هذه المهمة. وبالرغم من أن الوظيفة التقليدية للتعليم تتمثل في تكوين رأس المال البشري القادر على تحقيق أهداف التنمية، فإن الصلة الحقيقية بين التعليم والمكاسب الاقتصادية باتت تمثل في عصر العولمة إشكالية حقيقية. ومن ثم، فإن تحول السياسة التعليمية نحو خصخصة التكاليف التعليمية، لا تقدم دليلاً على منافع أو فوائد معينة محصلة الاستثمارات الخاصة التي يطالب الأبناء والأسر بتحملها.

ولكي يعالج أنصار النهج الليبرالي الجديد في مجال التعليم هذه الإشكالية، وفي سبيل إبراز منافع التعليم للمجتمع، اتجهت اهتماماتهم في السنوات الأخيرة إلى مداخل الجودة والمعايير وحركة فعالية المدرسة وغيرها. وجميع هذه المداخل - في حقيقة الأمر - تعزل المدرسة أكثر من ذي قبل داخل عالم خاص بها، وتقوم بتقييم البرامج بواسطة معايير ومؤشرات مرجعية "داخلية"، مثل أداء المعلم أو كفاءة المدير، أو اللجوء إلى نتائج الامتحانات باعتبارها توجي بفاعلية المؤسسة التعليمية المعنية، ويمكن تعليق ثقة الآباء وآمالهم عليها.

إن ذوي المؤهلات العالية والمهارات المتقدمة يواجهون بسوق للعمالة يعاد هيكلته جذرياً. ويتعرض لتقلبات واسعة. ومن ثم يجد الشباب أنفسهم أمام معضلة غامضة لا يفهمونها في ضوء التغيرات الواسعة في معنى العمل وأنواعه ومسيرة الحياة العملية في المجتمع

. وبالرغم من أن الوظيفة التقليدية للتعليم تتمثل في تكوين رأس المال البشري القادر على تحقيق أهداف التنمية. فإن الصلة الحقيقية بين التعليم والمكاسب الاقتصادية باتت تمثل في عصر العولمة إشكالية حقيقية

وبالرغم من هذه الحقائق العلمية، فإن مفاهيم الماضي لا تزال تحكم السياسات التعليمية. وتتمثل مشكلة الشباب في المجتمعات الغربية في أن وعيهم يتزايد بأن ظروف الحياة في ظل العولة تجعلهم يجتازون حياتهم الشبابية- على النقيض من آبائهم - كمغامرة في أرض مجهولة. ومع ذلك، فإن سياسات التعليم وخطط التنمية الاقتصادية لا تزال تروج لفكرة الروابط الوثيقة بين المؤهلات الدراسية والنجاح في الحياة العملية. وفي مواجهة هذه التناقضات يقوم الشباب بأنفسهم بإجراء تقييم برامجهم ونفسي ينطلق من قيمهم ووعيهم ورؤيتهم للحياة وللتحولات المجتمعية الناشئة من حولهم .

2- تحول الشباب نحو قيم وأولويات تعليمية وحياتية جديدة

أما الخط الواصل الثاني بين الدراسات والبحوث التي عنيت بقيم الشباب التعليمية، والذي أشار إليه "جوهانا وين" و"بيتر ديور"، فهو ما يتصل بالتغيرات العميقة التي لحقت بأولويات قيم الشباب التعليمية نتيجة ما تفرضه قيود العولة وضغوطها الشديدة على حياتهم. ومع أنه لا يمكن إنكار أهمية التعليم للأجيال الجديدة وللتنمية المجتمعية والاقتصادية بصورة أساسية، إلا أن حقائق الواقع تؤكد أن التغيرات البنوية التي تحدثت في أسواق العمل في جميع المجتمعات المتقدمة تتناقض مع السياسات التي يجري الدعوة إليها في أسواق التعليم.

فالأجيال الشابة التي تخرجت خلال السنوات الماضية من مؤسسات التعليم في أغلب المجتمعات الأوروبية بدأت تدرك أن الاستثمار في التعليم والمعرفة ونمو الشخصية قد أسفر عن آمال زائفة، الأمر الذي يدفعهم اليوم إلى الارتياح في توقعاتهم التعليمية السابقة، وإلى إعادة تقييم أولوياتهم التي تشكلت سلفاً حول التعليم والحياة.

ولذلك يؤكد "جوهانا وين" و"بيتر ديور"¹⁰ أن مشروعهما حول "أنماط الحياة لدى الشباب"- يوضح- بجلاء شديد- أن القيم والاختيارات والمسارات البديلة التي تنتج للمصالح الشخصية تتزايد أهميتها اليوم في حياة الشباب. فثمة تحول حاسم نحو أنماط

إن هذه المداخل جميعها- كما يشير " جوهانا وين " وزميله⁹- تمثل نماذج لخداع كبير تنطوي عليه التغيرات التي ظهرت في مجال التعليم في عصر العولة. ومن الغريب أن يلوذ المسئولون عن التعليم في مواجهة الشكوك التي تميزت بها طبيعة الحياة الإنسانية- بداية من تسعينيات القرن العشرين- بهذه المداخل الوهمية لقياس الإنجازات التعليمية أو معايير الجودة. إن المدارس في الواقع تقوم بتسويق يقين زائف للشباب وآبائهم من خلال هذه الآليات التعليمية التي تبدو- بوضوح- عديمة الارتباط بالطرق التي يستخدم بها الشباب التعليم على نحو عملي وواقعي .

ويشير إقبال الشباب على مزج نمط التعليم بالعمل إلى أن مكان العمل يزودهم بالمنظور العملي الواقعي عن التعليم، بدلاً من الافتراض الخاطئ بأن المدرسة هي التي تمهد للعمل. إنهم يعتقدون أن الحياة في مواقع أخرى غير المدرسة- تختلف تماماً عما يجري تعليمه لهم بداخلها. وفي أماكن العمل يتعلم الشباب أن هناك مجالات محدودة من فرص العمل، وأن معظم الفرص مؤقتة أي قصيرة الأجل، وأن كثيراً منها لا يتطلب أي مهارات. ومن ثم، فإن أفكار وقيم الشباب حول العمل والوظيفة باتت تتكون على أساس نفسي واقعي، وأقل صلة بالهوية الشخصية مما كانت عليه بالنسبة للأجيال السابقة .

ويتضح من الدراسات المتاحة أن مجالات التفضيلات والاختيار أمام الشباب باتت محدودة. فالطموحات تتخطى الآمال، والآمال تتخطى الواقع. والإحباطات كثيرة، غير أن أبناء الأسر ذات المستوى الاقتصادي الاجتماعي الأعلى هم الذين يجدون "أفضل" الوظائف. وفي الغالب الأعم، يحكم التلاميذ على دراستهم من زاوية إعدادهم لحياة العمل، بصرف النظر عن وسطهم الاجتماعي أو عن مستواهم التعليمي. إنهم يريدون أن يكون هذا الإعداد عملي الطابع في قسمه الأكبر، ومرتبطة بدنيا العمل. وهم يعبرون بذلك عن حاجات تأكيد ذاتيتهم، وفي طلبيتها الحاجة إلى الارتقاء إلى مرتبة الراشد، والوسيلة الرئيسية لتحقيق هذه الحاجة، هي في العمل الذي يميز أنشطة الراشدين الكبار.

وفي الغالب الأعم، يحكم التلاميذ على دراستهم من زاوية إعدادهم لحياة العمل، بصرف النظر عن وسطهم الاجتماعي أو عن مستواهم التعليمي. إنهم يريدون أن يكون هذا الإعداد عملي الطابع في قسمه الأكبر، ومرتبطة بدنيا العمل

فإن سياسات التعليم وخطط التنمية الاقتصادية لا تزال تروج لفكرة الروابط الوثيقة بين المؤهلات الدراسية والنجاح في الحياة العملية. وفي مواجهة هذه التناقضات يقوم الشباب بأنفسهم بإجراء تقييم برامجهم ونفسي ينطلق من قيمهم ووعيهم ورؤيتهم للحياة وللتحولات المجتمعية الناشئة من حولهم

أكثر تعقيداً، ونحو أبعاد متعددة للحياة ترنو إليها أبصار الشباب. إن شباب عصر العولمة بدأ- فيما يبدو- في إعادة التفكير في الأولويات والتوقعات التي غرسها فيهم آباؤهم. وتشير ردود أفعالهم إلى أن استجاباتهم- سواء طوعاً أو كرهاً- تتجاوز بالفعل فكرة الاستثمار التعليمي الزائفة التي هيمنت عليهم في سنوات الدراسة.

وفي هذا السياق، يبدو أن صيغة جديدة للانتقال من حياة الشباب إلى حياة الرشد بدأت في الظهور لدى الشباب. ويحدث هذا الانتقال في مراحل مبكرة عما كان مألوفاً لدى الأجيال السابقة. هناك اليوم تداخل بين مرحلة الشباب ومرحلة الرشد، كما شهدنا- مثلاً- في مزج الشباب بين الدراسة والعمل في أغلب الدول الأوروبية (وبعض الدول العربية مثل مصر). في استراليا- على سبيل المثال- فإن 80% من الوظائف المؤقتة يشغلها الطلاب من الشباب المنتظم في دراسته الجامعية. كما يبرز- أيضاً- في كثير من الدول النامية نمط الشباب الذي يساعد الأسرة في بعض الأعمال والمهن، حيث تكون هنا أيضاً علاقته بالأسرة والعمل علاقة الراشد لا علاقة الشاب المراهق. وإقدام الشباب على تحمل مسؤولية مرحلة الرشد في فترة مبكرة لا يقتصر على تحمل مسؤولية العمل فقط، بل يمتد إلى علاقاتهم الشخصية، ومن بينها المسؤولية عن الإخوة الأصغر سناً، أو أي أقرباء آخرين في الأسرة لا يستطيعون أن يقوموا برعاية أنفسهم.

وليست هذه ظاهرة جديدة، لكن الجديد هنا أنها - وبارتباطها بالتحول إلى الدمج بين الدراسة والعمل- تناهض وترفض الوضع الطفولي الذي لا تزال المدرسة الثانوية- على وجه الخصوص- تعزوه إلى الشباب. فالحدود بين الطفولة أو المراهقة والرشد أصبحت غير واضحة. كما تغيرت أسواق العمل التقليدية التي دأبت على تشغيل الراشدين فقط . وهذه الأنماط من التحولات التي طرأت على خصائص مراحل الطفولة والرشد تختلف عن الأنماط التي عاصرها الجيل السابق. ومع ذلك، فإن سياسات التعليم واتجاهات البحوث العلمية في مجال الشباب لا تزال تتمسك بنموذج عصر ما قبل العولمة الذي عفى عليه الزمن.

وتشير بعض الدراسات إلى أن التغيير في مجالات الحياة المختلفة لا يقتصر على الشباب المتعلم فقط، بل يمتد- كما يرى " ر. ماكدونالد"¹¹- إلى الشباب المحروم تعليمياً والمهمش اجتماعياً، وهذا معناه: أنه بالرغم من انغلاق الخيارات أمام الشباب ، فإنهم يتجهون إلى أولويات أخرى تتيح لهم أن يتجاوزوا مظاهر الماطلة والتسويق في تحقيق أهدافهم.

• ما هي أهداف وأولويات الشباب الحقيقية ؟

يشير "دي بوا ريموند"¹² إلى أنه من الواضح أن أهدافهم عن الحياة "تقليدية" مثل تكوين الأسرة، وتحقيق درجة من الأمن الاقتصادي، والمحافظة على علاقات شخصية متميزة، وكذلك تحقيق السعادة الشخصية، وهذه جميعها موضوعات مكررة في قيم واختيارات الشباب. ونلاحظ هنا أن هذه الأهداف تضم قيم السعادة والرفاهية الشخصية، الأمر الذي يتعين إضافته إلى بعدي التعليم والعمل، واللذين جرى تقليدياً استخدامهما كمعيارين أساسيين من معايير تحليل مراحل التحول عند الشباب.

لم يعد إذن من الممكن تأسيس هويات الشباب على أساس تحقيق الحياة "الوظيفية" أو "المهنية"، كما لا يمكن أن تتأسس على تسويق أو تأجيل أهداف الحياة نفسها تحت زعم الاستثمار في الدراسة. إن هذه التغيرات في قيم الشباب تدعو إلى الاهتمام برفاهية الطلاب، ليس باعتبارهم راشدين في المستقبل، بل وفي الحاضر أيضاً. وهذا يعني أن البعد الثالث لهوية الشباب هو المجال الواسع الذي يجب إضافته إلى مهمة التعليم.

ويلفت "س. زوبريك" و"س. سيلبورن" وزملائهما الأنظار إلى خطورة المشكلات النفسية والعقلية التي قد يعاني منها الشباب من جراء إهمال وتجاهل توفير أجواء الرفاهية والسعادة لهم. ومما له دلالة في هذا المقام ظاهرة ارتفاع معدلات الانتحار بصورة غير عادية خصوصاً بين الذكور في استراليا ونيوزلندا. وقد وجد هؤلاء الباحثين أن 20% من

الانماط من التحولات التي طرأت على خصائص مراحل الطفولة والرشد تختلف عن الأنماط التي عاصرها الجيل السابق. ومع ذلك، فإن سياسات التعليم واتجاهات البحوث العلمية في مجال الشباب لا تزال تتمسك بنموذج عصر ما قبل العولمة الذي عفى عليه الزمن

لم يعد إذن من الممكن تأسيس هويات الشباب على أساس تحقيق الحياة "الوظيفية" أو "المهنية"، كما لا يمكن أن تتأسس على تسويق أو تأجيل أهداف الحياة نفسها تحت زعم الاستثمار في الدراسة

من الأطفال والمراهقين يتعرضون لمشكلات ترتبط بالصحة العقلية والنفسية. وتشير هذه الحقيقة إلى ما يتحمله الشباب من أعباء بسبب غياب عمليات الإصلاح المتكامل التي تربط التعليم بسيافات الحياة الجديدة التي تواجه شباب اليوم¹³.

وإذا كان الشباب من أبناء الأسر الميسورة اجتماعياً يتمكنون من الاستفادة من سياسة العولة، فهم الذين يحصلون على أفضل الوظائف، إلا أن خيبة الأمل تصيب القطاع الأكبر من فقراء الشباب الذين أضرت بهم السياسات الليبرالية المتطرفة التي عصفت بدولة الرفاه، وبددت أفكار العدالة الاجتماعية، وقلصت إلى أدنى الحدود من الدور الاجتماعي للدولة، والذي كان يجد من تجاوزات السوق، وإضفاء نوع ما من الإنسانية على قسوة الرأسمالية.

والخلاصة، أن الشباب بات ينشغل مبكراً بأنماط وقيم مرحلة الرشد الجديدة التي تعمل على تمييز أبعاد حياتهم في سياقات الحياة الجديدة التي تواجههم الآن بدلاً من العيش عبر فترة ممتدة من الشباب. ويمثل "التعقد" أحد العناصر البارزة في مرحلة الرشد الجديدة، وهو الذي يتعلق بتعدد أبعاد الحياة. ويبدل الشباب جهوداً حمة ومتواصلة من أجل إحداث التوازن والمواءمة بين عدد كبير من المصالح والاهتمامات، لأن التنظيمات المؤسسية لا توفر إلا القليل من القدرة على التكهن، مما يضطر الشباب إلى وضع التنظيمات والقيم الخاصة بهم، ويجري ذلك في إطار عملية موازنة الخيارات والبدائل المتعددة أو التحايل عليها، ومن بين هذه الخيارات تمضية أوقات الفراغ والمصالح الشخصية.

• الاستماع إلى صوت الشباب

وتشير "س. بيكلين" في هذا الصدد¹⁴ إلى أن البحث العلمي في شؤون الشباب في مجتمعات الغرب الأوروبي والأمريكي يوضح -بجلاء- غياب الاستيعاب لفكرة "التمايز الجيلي" ولفهوم "الجيل" نفسه. إذ تأتي الكلمة باهتة وهامشية في سياق الحديث عن عموميات أو خصوصيات أخرى. ومن مظاهر البلاء في هذا الخصوص أن دراسة قيم وأولويات الشباب في الحياة الاجتماعية المعاصرة توضع من وجهة نظر الباحثين، ويمثل مكانة ثانوية بالقياس إلى

أن دراسة قيم وأولويات الشباب في الحياة الاجتماعية المعاصرة توضع من وجهة نظر الباحثين، ويمثل مكانة ثانوية بالقياس إلى المساحة التي تصل فيها وتجول أفكار وتصورات وأطر تنتمي إلى قضايا وفئات اجتماعية أخرى. إذ يسقط الباحثون خبراتهم الشبابية الماضية على محاولات فهم ودراسة حياة الشباب ويفترضون بذلك أنهم يدركون جوهر مرحلة الشباب وخصائصها الانسانية

المساحة التي تصل فيها وتجول أفكار وتصورات وأطر تنتمي إلى قضايا وفئات اجتماعية أخرى. إذ يسقط الباحثون خبراتهم الشبابية الماضية على محاولات فهم ودراسة حياة الشباب ويفترضون بذلك أنهم يدركون جوهر مرحلة الشباب وخصائصها الأساسية. وتؤكد "بيكلين" أن خبرات الكبار هذه تتخلل مفاهيم الباحثين وأعمالهم البحثية الميدانية. وقد اعتمدت في استخلاص هذه النتيجة على نماذج من بحوث الشباب أجريت في إيطاليا والولايات المتحدة وأستراليا، ووجدت أن ذكريات الراشدين توجه محاولات الباحثين في فهم الشباب ومواقفهم من الحياة وعلاقاتهم مع الآخرين. ومن ثم نشأ انطباع لدى الباحثين أن الشباب مجرد متلقين سلبيين، يجري التعبير عنهم وعن حياتهم باستعارات قديمة لا تتناسب مع ظروف حياتهم في عصرنا الراهن. وبناء على ذلك، أصبحت قواعد البيانات والبحوث تفترض منظوراً اجتماعياً يتسم بالحمية حول مسارات حياة الشباب العملية مع قليل من المتابعة الواقعية¹⁵.

وفي هذا الخصوص، يؤكد "جوهانا وين" و"بيتر ديور" أن المعرفة بأوضاع وتفاعلات جيل الشباب، وبالتالي مآل إحباطاته وقيمه واختياراته ومشكلاته المعقدة وتوجهاته لمجابهة هذه المشكلات - ومنها همومه التعليمية - تمثل - لهذا السبب - نقطة ضعف خطيرة في العلم الاجتماعي الغربي. من هنا، يلزم الإنصات إلى الشباب، كما يتعين رصد الجوانب المهمة في حياتهم الشخصية، والمعاني التي يستخلصونها بأنفسهم عن المخاطر والمشكلات التي يواجهونها في حياتهم اليومية، كما ينبغي في هذه المواقف أن نفهم طبيعة حالة الغموض وعدم اليقين التي قد يواجهها الشباب في محاولته اختيار وصياغة آفاق مستقبله.

والواقع أن هذا الموضوع هام جداً، فثمة خطأ كبير في تقبل تجربة الجيل الماضي باعتبارها معياراً للحكم على أفكار وتوجهات ومستقبل الأجيال الجديدة، إذ إن ذلك النمط من التفكير يقلل من الأهمية المطردة لأنماط الحياة الجديدة التي يحاول الشباب صياغتها وبناءها في عصر العولة.

والأمر المثير للدهشة، أن أنظمة التعليم وسياساتها في معظم دول العالم- كما اشرنا من قبل- تعكس في عصر العولمة علاقة بين التعليم والمجتمع كانت سائدة في فترة ما قبل العولمة، فترة بناء المجتمعات وتحقيق التنمية الوطنية، وتوفير التعليم الجماهيري لخدمة هذه التنمية المجتمعية. ولذلك، نجد أن ثمة عنصرين على الأقل يتناقضان مع طرق تشكيل الشباب لحياتهم في هذه المرحلة المعاصرة. ويعكس هذان العنصران المفهوم التقليدي القديم الذي يشير إلى أن الشباب يمثل "مرحلة انتقال". فالتصنيف المدرسي على أساس السن لا يزال المبدأ التنظيمي الأساسي في كل أنظمة التعليم، ولقد تأسس هذا البعد التعليمي على أساس افتراضات "علم نفس النمو" الذي طرح نماذج معيارية لمراحل النمو وخصائصها للمؤسسات التعليمية. وثانياً، لا تزال المناهج التعليمية تصمم بافتراض وجود علاقة ترابط وثيق بين المدرسة والعمل، وتمثل المدرسة في سياق هذا الافتراض البنية التعليمية السابقة التي تجري فيها عمليات التعلم، في حين يمثل العمل البنية اللاحقة التي يجري فيها تطبيق ما سبق تعلمه.

ومن وجهة نظر الشباب، فإن السلم التعليمي الصارم، وما يستتبعه من تصنيفات للمناهج التعليمية تنظم على أساس سن التلاميذ، إنما تعمل على تعميق التباين الشاسع بين المدارس والحياة الواقعية للراشدين الجدد من الشباب. كما أن نموذج تنظيم السلم التعليمي والمناهج الدراسية الذي يقوم على أساس السن، يبتعد تماماً عن واقع حياة الشباب الذي ينهمك في سياقاتها في عمليات اكتشاف توجهاته الجنسية، وتحمل مسؤوليات متعددة، والحفاظ على علاقاته الشخصية، والاختيار بين أنماط الحياة المعقدة، التي تشير جميعها إلى عدم وضوح أوجه الاختلاف بين "الشباب" و"الراشدين". على أن السياسات والممارسات التعليمية، وهي تواجه هذا التحدي الكبير، تتجه إلى تعميق الشكوك حول وظيفتها بدلاً من إصلاح مناهجها وتنظيماتها، ولهذا عني تقرير في ضوء ذلك كله، يبدو من الواضح أن ما نشهده من تغير في حياة الشباب وقيمهم، يتناقض بشدة مع هذه الافتراضات، إذ إن هذه التغيرات تعزز قيماً وخيارات نفعية عملية يحاول بها الشباب

الملاءمة في حياتهم بين عدد من الالتزامات الشخصية والمهنية والتعليمية.

ويشير "جوهانا وين" و"بيتر ديور"¹⁶ إلى أن "س. رافو" و"م. ريفز"¹⁷ قد وجدا في دراستهما في إنجلترا، أن الشباب يكونون قيمهم ويتخذون قراراتهم بخصوص مدى ارتباطهم بمدارسهم بطرقهم الخاصة التي تتباين بشدة مع توقعات الكبار. فالشباب يتبنى قيماً ويتخذ قرارات تتعلق بمستويات مشاركتهم داخل الفصول الدراسية، وحول نوعية الدروس التي ينتظمون فيها، بل وحول موعد مغادرة المدرسة، والانقطاع المؤقت عن التعليم، والمؤهلات التي يبتغون الحصول عليها. ومن الواضح أن أساليب الشباب المعاصر في تبني هذه القيم واتخاذ تلك القرارات إنما تشير إلى أن الشباب المعاصر يغير من نظرتهم إلى التعليم والمناهج الدراسية، وأن التعليم بالنسبة له مجرد جزء من منظومة الاختيارات التي يحاول تحقيقها. كما أنه في سياق سعيه لتحقيق اختياراته الحياتية، يقبل على اختيارات نفعية وعملية جداً، تتعلق بماهية المناهج التعليمية ونوعية التعليم الذي يناسبه.

ويبدو أن أنظمة التعليم لا تعكس بصورة مناسبة التغييرات التي يواجهها الشباب. فلا تزال المدارس الثانوية في استراليا وإنجلترا ونيوزيلندا تحصر مناهجها التعليمية في عالم منفصل عن الحياة المتغيرة لعصر العولمة، مع أن وظيفتها في الواقع إعداد الشباب للحياة. أما التعليم المهني، فهو بدوره لا يزال محصوراً في نموذج صناعي للتدريب على مهارات محدودة ضيقة تتصل بحرفة محددة، مع أن التغييرات في طبيعة العمل تتعارض بشدة مع هذه النماذج التقليدية للتعليم والتدريب¹⁸.

ويبقى بعد ذلك نقطة هامة أخيرة، وهي أن جيل الشباب هو المتضرر الأكبر من افتراض أن البرامج والسياسات الاجتماعية والاقتصادية التي تتعلق بحياته ومستقبله، بما في ذلك السياسات التعليمية، يمكن أن تبني على أساس خبرات الأجيال السابقة، وهو المستفيد الأكبر من الاعتماد على اختياراته وأولوياته وقيمه واحتياجاته في بناء هذه البرامج والسياسات.

ومن وجهة نظر الشباب، فإن السلم التعليمي الصارم، وما يستتبعه من تصنيفات للمناهج التعليمية تنظم على أساس سن التلاميذ، إنما تعمل على تعميق التباين الشاسع بين المدارس والحياة الواقعية للراشدين الجدد من الشباب.

وإذا كان الأمر كذلك، فيبدو من الواضح أن بحوث الشباب لها رسالة مهمة تتعلق بتوجيه السياسات التعليمية. ولا مرء في أن مفاهيم الشباب حول العلاقة بين التعليم والعمل والحياة، تطرح على صانعي السياسات التعليمية أفكاراً مهمة حول ما يجب أن تكون عليه مدارس المستقبل.

ثانياً: القيم التعليمية للشباب العربي: تقييم واقع التعليم وبدائله

أحطنا فيما سبق بتأثير التحولات العالمية على التعليم والظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي يواجهها الشباب العربي اليوم في مجال التعليم. ورأينا كيف ارتفعت نسبة الأمية بين الشباب، وتدهورت المستويات التعليمية لأغلبية الفقراء من الشباب العربي، وما يفرزه ذلك من تدهور وانكماش في الخدمات التعليمية، وفي فرص العمل والحياة. وهذه الظواهر التعليمية ذات تأثير في تكوين قيم الشباب والمجتمع عموماً بشأن التعليم. والحقيقة أن هذه القيم تتشكل بصورة مباشرة نتيجة معايشة الشباب العربي اليوم- خصوصاً الفقراء والمهمشين- لأحوال اجتماعية واقتصادية شديدة الصعوبة، وما ينجم عن ذلك من الانقسام الاجتماعي، وتفاقم ظاهرة عدم التوازن في مكونات الخريطة الاجتماعية للمجتمعات العربية بدرجات أعمق مما شهدته الأجيال السابقة في هذه المجتمعات.

لقد أثرت التغيرات المتشابكة- العالمية والمحلية- على نسق قيم التعليم لدى الشباب العربي، والتي تتمثل في انحسار قيمة التعليم التقليدي الرسمي لدى الشباب نتيجة انقطاع صلته بأسواق العمل وبالحيات اليومية للطلاب، وفي تزايد أهمية وقيمة التعليم الاستثماري والأجنبي لدى الشباب.

1- تحليل أهم التغيرات في قيم الشباب

انحسار قيمة التعليم التقليدي الرسمي

الحقيقة أن قيم الشباب العربي المعاصر نحو التعليم- بل ونحو مجالات الحياة عموماً- لا تنفصل انفضالاً كبيراً من حيث خصائصها عن قيم الشباب في كثير من المجتمعات التي شهدناها في الجزء السابق. إذ

إن تشابه السياسات الاقتصادية والثقافية والتعليمية التي صاحبت العولة في أغلب المجتمعات، أوجد أوجه التقاء بين الظروف المؤثرة في أوضاع الشباب وقيمهم واتجاهاتهم بصفة عامة. ومما لا شك فيه أن نفس الأوضاع التي عكست موجة واضحة من تدني أحوال الشباب التعليمية، وضيق فرص الحياة أمامهم في الوطن العربي، نشأها- بدرجات متفاوتة- في جميع المجتمعات المتقدمة والمتخلفة على السواء. أما عن قيم الشباب العربي المتعلم المتصلة بالتعليم، فإن غموض المستقبل، وعدم مواءمة التعليم مع سوق العمل، وتفشي البطالة، يمثل محورياً أساسياً من المحاور التي تساهم في تشكيل قيم الشباب نحو التعليم.

وتظهر البيانات المتاحة أن بطالة الشباب (أقل من 25 سنة) بصفة عامة أكبر من بطالة الكبار (أكثر من 25 سنة). ففي الجزائر نجد أن حوالي (69%) من المتعطلين في بداية تسعينيات القرن الماضي كانوا من الشباب الذين تقل أعمارهم عن 25 سنة. ونفس الشيء يمكن ملاحظته في حالة تونس، حيث وجد أن (47%) من العاطلين من الشباب الذين تقل أعمارهم عن 24 سنة. وتصل النسبة في المغرب إلى (41%) من إجمالي عدد المتعطلين الذين تتراوح أعمارهم فيما بين 15 و 24 سنة في عام 1994.

كما تشير البيانات إلى ارتفاع نسبة المتعلمين من إجمالي عدد المتعطلين في الدول العربية. ففي مصر- على سبيل المثال- وجد أن معدلات البطالة بحسب المستوى التعليمي كانت في عام 1996 على النحو التالي: (1.1%) من بين الأميين، و(1.3%) في أوساط المواطنين الذين يقرءون ويكتبون، (4.4%) بين خريجي التعليم الابتدائي، (4%) للحاصلين على تعليم أعلى من مستوى الشهادة الابتدائية، و(13.6%) للحاصلين على مستوى أعلى من الشهادة الإعدادية، (8.9%) في أوساط خريجي التعليم الجامعي، و(0.4%) للحاصلين على مؤهلات أعلى. وتبلغ أعلى نسبة للبطالة في خريجي التعليم الثانوي وما يعادله، حيث تصل إلى (22.4%)¹⁹. وفي المغرب، بلغت نسبة المتعطلين ممن حصلوا على الشهادة الثانوية والكالوريا والتعليم العالي والمهني حوالي (44%) من إجمالي عدد العاطلين في عام 1990²⁰.

أنجيل الشباب هو المتضرر الأكبر من افتراض أن البرامج والسياسات الاجتماعية والاقتصادية التي تتعلق بحياته ومستقبله، بما في ذلك السياسات التعليمية، يمكن أن تبني على أساس خبرات الأجيال السابقة، وهو المستفيد الأكبر من الاعتماد على اختياراته وأولوياته وقيمه واحتياجاته في بناء هذه البرامج والسياسات

كما تجدر الإشارة إلى أن التعليم الثانوي الفني في الدول العربية يتجه إلى إنتاج عمال ذوي مهارات تقليدية جداً عفى عليها الزمن، وأصبحت مع التقدم التكنولوجي المتسارع وتغير متطلبات سوق العمل خارج نطاق المهن الإنتاجية الراهنة.

ويشير باقر سلمان النجار²¹ إلى أن تفسير بطالة الشباب يكمن في أن مخرجات نظامنا التعليمي لم تعد متسقة مع التغيرات في حاجة السوق أو أنه- أي النظام التعليمي- قد تكون في سياق مختلف عن السياق الذي تشكل فيه حاجات السوق .. لذا فإن الكثير من مخرجاته ولأسباب قد تكون فنية أو اقتصادية عاجزة عن الدخول في سوق العمل المحلي الذي، كما يبدو- والحديث هنا عن منطقة الخليج العربي- قد تشكل في ضوء وفرة ومعطيات العمل الوافد (العمل الآسيوي) أكثر منه في ضوء الإمكانيات المتاحة للعمل المحلي، كما ونوعاً، لذا ليس بغريب أن نسمع عن جيوش من العاطلين هنا أو هناك. كما أنه ليس بغريب أن نسمع بين الفينة والأخرى عن بعض القلائل الاجتماعية، وربما السياسية الآتية.

وبالإضافة إلى ما تقدم عن تشوه علاقات أنظمة التعليم في المجتمعات العربية بعالم العمل والإنتاج، فلقد أسهمت القطيعة الكاملة لأنظمة التعليم مع البناء الاجتماعي الكلي، وعزل طلاب المدارس والجامعات عن الالتحام بالمجتمع وواقعه، وحرمانهم من فهم مشكلاته وقضاياها، بدور لا يقل أهمية في توفير المناخ الملائم لتراجع قيمة التعليم في سلم أولويات الشباب. وفي دراسة نادية رضوان²² عن علاقة الشباب المصري بالتعليم واتجاهاتهم نحو أبعاده المتعددة، وجدت أن معظم الشباب الذين ينتقلون من مرحلة التعليم إلى مواجهة الحياة العملية تعوزهم الخبرة، ولا يوجد لديهم سوى تصور غامض لأوضاع العمل وحياة المجتمع، وفكرة مشوهة عن بنائه الاجتماعي والنظم السائدة فيه. وغالباً ما تكون فكرتهم عن المشكلات الحقيقية التي يواجهونها في حياتهم العملية وعن القوى والسياسات التي تعمل عملها في الواقع، فكرة فقيرة ومحدودة للغاية. وحتى إذا كان الشاب قد اكتسب قدرًا مرضياً من المعرفة حول القيم الموجهة لتصوره

للمستقبل، فإنه مع ذلك لم يتلق التدريب والإعداد الكافي لمواجهة الحياة العملية، وذلك بالطبع يصيبه بخيبة أمل تؤثر على شخصيته وتضعف من قدرته على العمل والإنتاج، ويرجع ذلك- في المحل الأول- إلى أن كافة الأجهزة التي تسهم في تشكيل أفكار الشباب وتصوراتهم عن المستقبل- الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام- تفشل في تقديم معلومات اجتماعية ملائمة حول تكامل المجتمع الحديث، ويترتب على ذلك نوع من عدم الاستقرار الأيديولوجي والفكري بين الشباب، يتبدى في اغترابهم نتيجة للتوجيه غير الواقعي نحو الوسط الاجتماعي المحيط بهم، ومن ثم نستطيع أن نفسر الأسباب التي تدعو الكثيرين من الشباب إلى فقدان الثقة فيما تعلموه، حين يجدون أن ما لديهم من معرفة لا يمكن أن يحقق لهم عائداً يشبع احتياجاتهم.

وفي إطار هذه الظروف، اهتزت مكانة وقيمة النظام التعليمي لدى الشباب في كثير من المجتمعات العربية. كما ترتب على ذلك تدهور خطير لصورة المدرسة والجامعة في الوعي المجتمعي العام. ولذا لم يعد ينظر إليهما على أنهما وسيلة لتمكين الشباب والتكوين النافع وللرقي المهني والاجتماعي، وإنما باعتبارهما آلة لتفريخ المعطلين من الشباب، ولإعادة إنتاج الإحباط والبؤس والأعباء المادية والاجتماعية الزائدة²³.

وتؤكد نادية رضوان²⁴ أن قيمة التعليم قد انخفضت في الفترة الأخيرة في ظل العولمة الاقتصادية، حيث لم يعد التعليم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمكانة الاجتماعية، كما كان عليه الحال من قبل، مما أدى إلى حدوث خلل وتناقض واضح في قيمة التعليم لدى الشباب المصري. كما يشير سيد صبحي في دراسته عن "الشباب وأزمة التعبير"²⁵ إلى أن المشكلة الأساسية لشباب اليوم في المجتمع المصري تنحصر في مدى ما يحققه التعليم لهم من فرص اختيار المهنة، وما يرتبط بها من أجور ودخول. والخطر في هذا الأمر أن الشباب أصبح يعتقد أن التعليم لم يعد يفي باحتياجاته المادية²⁶. وعلى الرغم من ذلك، فإن التعليم لا يزال يحتفظ بمكانته في نفوس الشباب كقيمة في حد ذاته، إلا أن مكانته قد تراجعت في

وتبلغ أعلى نسبة للبطالة في خريجي التعليم الثانوي وما يعادله، حيث تصل إلى (22.4%)

وحتى إذا كان الشاب قد اكتسب قدرًا مرضياً من المعرفة حول القيم الموجهة لتصوره للمستقبل، فإنه مع ذلك لم يتلق التدريب والإعداد الكافي لمواجهة الحياة العملية. وذلك بالطبع يصيبه بخيبة أمل تؤثر على شخصيته وتضعف من قدرته على العمل والإنتاج.

أنه في ظل العولمة لم تعد الكفاءات العلمية والشهادات والقدرات الذهنية والاستعداد العام هي العوامل الكافية التي تؤهل لشغل الوظائف، بقدر ما تؤهله علاقات الوساطة والمحسوبية مع من يسكون بزمام هذه الوظائف، أو مع ذوي السلطة والنفوذ.

تزايد أهمية وقيمة التعليم الاستثماري والأجنبي لدى الشباب

إن تزايد قيمة التعليم الاستثماري لدى الفئات والشرائح الاجتماعية والطبقية العليا، وتناقص أهمية وقيمة التعليم العام الحكومي المخصص للفئات الدنيا، يؤدي إلى تعميق حدة التفاوت الاجتماعي في المجتمعات العربية.

سلم أولويات الشباب نتيجة لتفشي البطالة بصورة لم يسبق لها مثيل، خصوصاً بين الشباب المتعلم.

وتكشف نتائج "مسح النشء والتغير الاجتماعي في مصر" (1999، 2001) عن حالة الغموض وقمامة الصورة المستقبلية وفقدان الأمل في التعليم لدى الشباب المصري، بالإشارة إلى أن 9% فقط من الشباب المصري يربط بين التعليم والوصول إلى وضع مالي أفضل، أو الحصول على وظيفة ذات راتب جيد، في حين ذكر 33% منهم فقط أن التعليم سوف يساعد على مواجهة مشكلات الحياة²⁷.

ومهما يكن من أمر، فلقد تحطمت الأحلام والآمال الوردية التي عاشت طويلاً في صدور الشباب فيما يختص بالمستقبل المهني والعمل ومستوى المعيشة المناسب، وتأمين المستقبل بعد الانتهاء من التعليم على صحرة الواقع والحاضر المعاش الحافل بالفقر والبطالة. وأصبح عدم مواءمة الإمكانيات الاقتصادية التي يوفرها التعليم، مع القدرة على الاستقلال المادي عن الأسرة للتمكن من الزواج وتكوين أسرة مستقلة محوراً أساسياً من محاور أزمة الشباب. ويضاعف من حجم هذه المشكلة - كما تشير نادية رضوان²⁸ - أنه في ظل العولمة لم تعد الكفاءات العلمية والشهادات والقدرات الذهنية والاستعداد العام هي العوامل الكافية التي تؤهل لشغل الوظائف، بقدر ما تؤهله علاقات الوساطة والمحسوبية مع من يسكون بزمام هذه الوظائف، أو مع ذوي السلطة والنفوذ. ومن ثم بدأت القيم السلبية - النفعية والمادية - تحل محل قيم التعليم والعدل والموضوعية.

تزايد أهمية وقيمة التعليم الاستثماري والأجنبي لدى الشباب؛ لقد أتاحت الظروف الجديدة لأبناء الطبقات القادرة مجالاً واسعاً من السبل والوسائل التي تجعلهم يستمرون في الاحتفاظ بمكانتهم الاجتماعية. فقد أصبح التعليم الخاص والأجنبي يمثل مصعداً اجتماعياً يتيح لأبناء الطبقة الميسورة أن يحصلوا على امتيازات طبقية واقتصادية واجتماعية تحافظ لهم على مكانتهم الاجتماعية. وتمثل مدارس اللغات الخاصة والجامعات الاستثمارية أحد مؤشرات المكانة الاجتماعية في نسق التعليم في البلدان العربية. فقد ظهرت مدارس اللغات والجامعات الاستثمارية في

هذه المجتمعات كمؤسسات تعليمية متميزة، نتيجة استعداد أولياء الأمور من الطبقات الجديدة لمسيرة الارتفاع المستمر في مصاريف الالتحاق بها.

إن تزايد قيمة التعليم الاستثماري لدى الفئات والشرائح الاجتماعية والطبقية العليا، وتناقص أهمية وقيمة التعليم العام الحكومي المخصص للفئات الدنيا، يؤدي إلى تعميق حدة التفاوت الاجتماعي في المجتمعات العربية.

ويتبين من نتائج دراسة عدنان الأمين ومحمد فاعور²⁹ أن التصنيف الاجتماعي لمؤسسات التعليم العالي، والذي تم تحديده في خمس مستويات، تبدأ بجامعات النخب المرموقة، وتنتهي بمؤسسات التعليم العالي ذات المستويات الدنيا، والتي تستقبل طلاب الفئات والشرائح الاجتماعية الدنيا، يعمل على تعزيز التفاوت الاجتماعي بين شباب الطوائف المختلفة في لبنان. ويستخلص أصحاب هذه الدراسة أن الجامعة اللبنانية التي تقوم أساساً على مبادئ وطنية ومجانية، والتي تستقبل مختلف الجماعات والفئات الاجتماعية، والمفترض أن تتيح لشباب الفئات الوسطى والدنيا فرص الحراك الاجتماعي تبدو اليوم (من منظور الطلاب الجامعيين) أقل مساهمة بكثير من القطاع الخاص التعليمي في تقديم هذه الفرص التي ترتفع فيها التوقعات المهنية والحياتية لطلابها.

في ضوء هذه الخلفية، اندفع أولياء الأمور والطلاب إلى التكاليف على إلحاق أبنائهم بالمدارس والجامعات الأجنبية والخاصة، حيث بدأت تستشري الأنظمة التجارية والاستثمارية ذات الطابع الأجنبي في البلدان العربية، من بنوك ومكاتب ومصاريف وفنادق وتوكيلات، مما أظهر الحافز إلى استخدام عمالة تتقن اللغات الأجنبية والتكنولوجيا الحديثة التي تتطلبها هذه الأنشطة الجديدة.

والمفارقة المدهشة، أنه مع هذا الإقبال الواسع من الفئات الميسورة على التعليم الخاص والاستثماري والأجنبي، بدأت قيم التعليم تشهد هبوطاً منذ بداية الأخذ بسياسات الليبرالية الجديدة، في بداية تسعينيات القرن العشرين، حيث بدأت الأجيال الجديدة تشهد بعينها طرقاً للكسب السريع لا تحتاج إلى سهر الليالي وإرهاق العيون والجيوب في سبيل التعليم.

لقد أدت سياسات العولمة إلى تحول التعليم إلى سلعة باهظة الثمن، وهكذا تحولت المدارس ودور العلم- كما يرى ثروت علي الديب³⁰- إلى "بوتيكات وفنادق خمس نجوم". ولقد أدى إلى تعظيم هذا الدور، تلك الحملات الإعلامية، التي انتشرت مع سياسة العولمة الاقتصادية، التي تعلن بين وقت وآخر عن مدرسة خاصة أو جامعة أجنبية، وتحت تأثير حملات الدعاية المكثفة التي جعلت الشباب وأولياء أمورهم- حتى بين محدودي الدخل- يصدق أن هذه المدارس والجامعات تقدم بالضرورة خدمات تعليمية متميزة. لقد أصبح ينظر إلى هذه الخدمات التعليمية على أنها "سلعة"، وحلت روح انهزامية تحقر التعليم الحكومي، وتتغنى بشعار "تحيا مؤسسات التعليم الخاصة والأجنبية".

2- تعددية أبعاد حياة الشباب العربي

الملاحظة الجديرة بالانتباه في هذا المقام هي بداية اهتمام الشباب العربي بتطوير أنساق للقيم وأساليب السلوك وطرائق الحياة والتفكير خاصة به ، بعيداً عن ثقافة الآباء وقيمهم، وتتلور- بصفة أساسية- حول حاجاتهم ووضعهم الاجتماعي ونظرتهم إلى مشكلاتهم التي يواجهونها في حياتهم اليومية. لقد بدأ الشباب بالبحث عن هويته في مجالات أخرى غير التعليم. ونجد أمثلة لذلك، الجمع بين الدراسة والعمل، كما هو الحال مع الشباب في المجتمعات الأوروبية والأمريكية. وقد بدأت هذه الظاهرة في الانتشار السريع في بعض الدول العربية، خصوصاً في مصر.

وبالإضافة إلى ما تقدم، فلقد اضطر الشباب العربي من بين العاطلين إلى قبول مزاوله العمل بعد التخرج في الجامعة في مجالات ابتعدت بهم عن مؤهلاتهم وتخصصاتهم خلال مرحلة الدراسة الجامعية ، وفي مهن هامشية وأعمال يدوية داخل دائرة القطاع غير الرسمي، الأمر الذي أدى إلى دخول أعداد كبيرة من الشباب المتعلم دائرة الطبقة العاملة. وكأنما كانت هذه المرحلة الدراسية مجرد دورة تثقيفية لم يبق من آثارها بعد التخرج شئ يذكر (نادية رضوان، 1997: 31). وهذا ما تؤكد نتائج الدراسة المهمة التي سبق الإشارة إليها والتي أجريت

عن قيم واتجاهات طلاب الجامعة في لبنان من أن التوقعات المهنية للشباب، والتي تبدو في معظمها متوسطة إلى منخفضة، مع سخط عام على الجامعات التي يرتادونها والتخصصات التي يتابعونها، إذ اتجه 91% من الطلاب الجامعيين إلى نصح أقرانهم بالاتجاه إلى غير ما يتخصصون فيه من مجالات (عدنان الأمين ومحمد فاعور، 1980: 20).

كما يؤكد يحي مرسى عيد بدر (2000: 21) هذا الاتجاه المتزايد من جانب الشباب في مصر نحو العمل اليدوي، وأن كثيراً من الشباب الطلابي قد تعلم إحدى الحرف أو المهن التي تختلف عن مجال تخصصه ، بدلاً من الأعمال المكتبية قليلة الدخل . كما تعلم كثير من الموظفين حرفاً يدوية يزاولونها في أوقات فراغهم.

كذلك بدأ الخريجون من الطلاب العرب يتزاحمون داخل المعاهد البديلة التي أنشأها القطاع الخاص غير الحكومي، لتوفير التدريب الذي تتطلبه المهن والوظائف في القطاع الخاص، في برامج تعليمية مخصصة لهذا الغرض. وتتقاضى هذه المعاهد رسوماً باهظة، وبدأت في الانتشار في جميع أنحاء العالم العربي.

من منظور الشباب، لم يعد التركيز على التعليم في حد ذاته- أي إعداد مواطنين صالحين للحياة الاجتماعية دون اهتمام بإعدادهم للعمل في المستقبل- أمراً ملائماً أو مقبولاً. لقد تراجعت قيمة التعليم الحكومي في العالم العربي، وتدهورت مكانة المؤهلات الدراسية في نظر الشباب. فالمؤهلات الرسمية أضحت بمثابة صكوك مالية زائفة في سوق العمل التي تتعرض لتقلب شديد.

ما عن الشباب الذي لم ينل قسطاً وافراً من التعليم ، خصوصاً من الشرائح الاجتماعية الدنيا، ومن الفتيات وفي المناطق الريفية ذات الأغلبية العددية داخل فئة الشباب، فيمكن القول إن سياسات العولمة قد هوت بها إلى الحضيض. ذلك أن السياسة الانكماشية المصاحبة للعولمة، كانت ذات أثر بالغ في زيادة البطالة بين صفوف شباب هذه الشريحة. كما أن تسريح العمالة بالحكومة وشركات القطاع العام (بعد خصصتها) في أغلب الدول العربية، غالباً ما ينصب

. وهكذا تحولت المدارس ودور العلم إلى "بوتيكات وفنادق خمس نجوم". ولقد أدى إلى تعظيم هذا الدور، تلك الحملات الإعلامية، التي انتشرت مع سياسة العولمة الاقتصادية، التي تعلن بين وقت وآخر عن مدرسة خاصة أو جامعة أجنبية، وتحت تأثير حملات الدعاية المكثفة التي جعلت الشباب وأولياء أمورهم- حتى بين محدودي الدخل- يصدق أن هذه المدارس والجامعات تقدم بالضرورة خدمات تعليمية متميزة.

لقد تراجعت قيمة التعليم الحكومي في العالم العربي، وتدهورت مكانة المؤهلات الدراسية في نظر الشباب. فالمؤهلات الرسمية أضحت بمثابة صكوك مالية زائفة في سوق العمل التي تتعرض لتقلب شديد.

ونظرية الانتقال البسيط التقليدي من "الدراسة" إلى "العمل"، والتي لا تزال تهيمن على تصنيف معظم البيانات الإحصائية الدولية، يبدو أنها بعيدة عن الواقع- حتى في حالة الشباب العربي- مع ظهور تعددية أبعاد حياة الشباب. فتمتد داخل اليوم بين مرحلة الشباب ومرحلة الرشد التي كانت منفصلة عنها في الماضي.

في ضوء هذا الواقع الجديد، يبدو أن أخطر الآثار التي نجمت عن العولمة، أنها نقلت مسؤولية مواجهة صعوبات النمو والحياة إلى كاهل الشباب أنفسهم. ولكن في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها الشباب، يبدو أنه يواجه صعوبات جمة في تحمل هذه المسؤولية. إن قنوات التأهيل الاجتماعي، مثل التعليم ونظام التدريب والتوظيف، بأوضاعها الحالية، تمثل في الواقع عقبات كبرى أمام دمج الشباب في الحياة الاجتماعية، وتؤدي في نهاية المطاف إلى تهميش الشباب وقطع صلته بالواقع، واستغراقه في عالم من المشكلات الشخصية. وتؤدي هذه الحالة بالضرورة إلى انتشار ظاهرة "الاستبعاد الذاتي" الذي يظهره الشاب المنحرف اجتماعياً كصورة من صور الاحتجاج ضد المجتمع.

والحقيقة أن الحياة المقبولة من الشباب في عصر العولمة لم تعد تتوقف على عملهم وتعليمهم ومؤهلاتهم، إن المهارة وقيمة الدقة والمسؤولية والأمانة والتعليم والمؤهلات أصبحت ذات قيمة ضئيلة عما كانت عليه في الماضي، وأفسحت الطريق أمام توجهات متدنية، منها كسب الأموال بأي طريقة حتى لو اقتضى الأمر خرق القانون، وأولوية كسب المال في الحياة الإنسانية، وحجب الحدود بين الأساليب الشريفة وغير الشريفة في كسب المال والثروة.

ولاعجب، فالشباب في أغلب المجتمعات العربية يدرك جيداً أن ثراء بعض الفئات الاجتماعية- حدث في الحقيقة- بلا سبب، ولا يستند إلى مبدأ "الدخل نظير العمل"، بل على العكس من ذلك، يستند إلى أن الدخل مهارة فردية في النهب والنصب والسطو والتحايل على نصوص القانون وهدر القيم الإيجابية والبناءة (ثروت علي الديب، 1995 : 149).

وفي الوقت الذي تشهد فيه المجتمعات العربية

على شباب هذه الشريحة، وبخاصة هؤلاء الذين تتدنى كفاءتهم المهنية وتنخفض مؤهلاتهم التعليمية، ومن كانوا يعملون بعقود مؤقتة. وعموماً، وكما يعتقد رمزي زكي (1999 : 67)، فإن كتلة كبيرة من أعداد هذه الشريحة من الشباب قد هوت إلى ما دون خط الفقر المطلق.

وفي حالات كثيرة، اضطرت الفتيات الشباب للخروج إلى العمل، مما أدى إلى زيادة التنافس على فرص العمل المحدودة أصلاً، مما كان له تأثير محسوس في دفع الأمور نحو مزيد من الانخفاض في المجالات التي يصلح للعمل فيها الرجل والمرأة. وفي حالات أخرى، أخرجت كثير من الأسر الفقيرة أطفالها من المدارس، ودفعت بهم إلى العمل المبكر في الورش والمحلات والشوارع للحصول على مصدر إضافي للرزق. لهذا، فقد انخفضت نسبة القيد في المدارس، وارتفعت نسبة التسرب من التعليم، وزادت نسبة الأمية، وارتفعت عمالة الأطفال اللاإنسانية (رمزي زكي، 1999 : 68).

ووفقاً للنتائج المستقاة من مسح "النشء والتغيير الاجتماعي في مصر" (1999، 2000) السابق الإشارة إليه، فإن قرابة ثلث النشء، واحد من كل اثنين من الذكور وواحدة من كل ست من الإناث، يشاركون حالياً في أنشطة اقتصادية، وأغلبهم لا يتقاضون أجراً، ولم يبلغ أكثر من نصف هؤلاء الحد الأدنى القانوني لسن العمل، وتصل نسبة من لم يبلغوا هذه السن 60% بين العاملين بدون أجر، و35% بين العاملين مقابل أجر. إلا أن أغلب العمل بدون أجر وثلث العمل مقابل أجر يتركز في الأنشطة المتصلة بالزراعة. وهناك تركيز ملحوظ للبنين والبنات العاملين في أدنى الفئات الاجتماعية والاقتصادية (بربارا إبراهيم وآخرون، 2001 : 115)

وتؤكد هذه النتائج أن الاعتماد على الذات والانخراط المبكر في النشاط الاقتصادي وفي أدوار العمل أصبحت من الظواهر المألوفة لدى الشباب في عصر العولمة.

ومعنى ذلك، أن النظرة التقليدية التي كانت تعتبر الشباب عملية تحول إلى مرحلة الرشد،

في ضوء هذا الواقع الجديد، يبدو أن أخطر الآثار التي نجمت عن العولمة، أنها نقلت مسؤولية مواجهة صعوبات النمو والحياة إلى كاهل الشباب أنفسهم. ولكن في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها الشباب، يبدو أنه يواجه صعوبات جمة في تحمل هذه المسؤولية

اندفاعاً استهلاكياً شرساً من جانب الشباب، يرافقه تزايد أهمية قيم أوقات الفراغ، نجد ضعفاً شديداً لديهم فيما يتعلق بقيمة العمل. ويضعف من خطورة هذه المشكلة أن المجتمعات العربية لم تتمكن بعد من تنظيم أنشطة العمل والفراغ لدى الشباب، الأمر الذي يضع قيمة العمل وقيم أوقات الفراغ في حالة مواجهة لدى الشباب. ونتيجة لغياب أخلاقيات العمل وقيم الالتزام بالقانون، نجد معظم الشباب لا يحملون دوافع إيجابية كافية نحو العمل أو القانون. وفي ظل هذه الاتجاهات، نجد تزايداً لتورط الشباب - خصوصاً بين من لا يعمل ولا يدرس منهم - في أنشطة اجتماعية منحرفة، مثل: إدمان المخدرات، والانتحار، وغيرها.

وهكذا، فإن أمل الشباب في النظام الاقتصادي والاجتماعي الجديد يتزايد حدة يوماً بعد آخر. وفي الواقع، فإن الشباب غير القادر على تحقيق ذاته في أسواق العمل المشروعة، يمكن أن يجد نفسه مضطراً للانخراط في أسواق غير مشروعة اجتماعياً واقتصادياً. إن التناقضات العميقة بين آمال الشباب المتعلقة باقتصاد العولة من ناحية، وعدم اختيار قيم مقبولة اجتماعياً من ناحية أخرى، يخلق حالة من حالات فقدان التوجه الاجتماعي وتهميش الشباب.

والخلاصة، فإن وضع الشباب العربي يقترب من حالة الفوضى والضياع بحيث لا يمكن التكهن بأبعادها. فالإقصاء يصيب كل المجموعات، ويتزايد يوماً بعد آخر، حتى الشباب المتعلم والمؤهل جيداً يجد نفسه معرضاً لخطر التمييز المهني والاجتماعي والاعتزاز والتهميش. وهكذا يعيشون حالة من الإقصاء الاجتماعي وانتهاك حقوقهم الإنسانية، ويضطرون دائماً إلى تخطي مرحلة انتقالهم إلى طور الرشد بطرق أخرى غير العمل (التورط على نحو الخصوص في اتجاهات اجتماعية منحرفة وخطرة)، وهكذا يجري دفع الشباب العربي خارج أسواق العمل، وهي أحد الآثار المهمة للعولة الاقتصادية بسياساتها الليبرالية الجديدة، والتي لا تثمر إلا عن تمييز وتهميش الشباب واعتزابه.

الصورة العامة التي يمكن أن نستخلصها من

البحوث والدراسات في مجال قيم الشباب التعليمية، يمكن النظر إليها من خلال زاويتين رئيسيتين:

الأولى: هي القيم والأولويات التي نستخلصها من البحوث الدولية والعربية القليلة في هذا المجال، وما يمكن أن تمدنا به من أفكار حول طبيعة التحولات التعليمية التي يمكن تحقيقها لمواجهة مشكلات الشباب مع أنظمة التعليم العربية.

الثانية: هي طبيعة ومجالات البحوث والدراسات المطلوب إجراؤها للحصول على معلومات ومعارف أوسع عن قيم الشباب ومواقفهم من عمليات التعليم والتعلم الراهنة وطموحاتهم نحو تغيير هذه العمليات واتجاهات هذا التغيير.

أما عن قيم وأولويات الشباب التعليمية التي يمكن أن نستخلصها من بحوث الشباب والتعليم، فهي تؤكد أن إحباطات جيل الشباب، إنما هي الأعمق في تاريخ العالم المعاصر، وهي التي تفسر انسلاخه عن النسيج التعليمي والاجتماعي القائم: أولاً لأن النسيج نفسه مهترئ، وثانياً لأن النساخين قد سلخوا هذا الجيل قبل أن ينسلخ (أحمد عبد الله ، 2005 : 192).

وفي إطار هذه الأوضاع، اهترت مكانة وقيمة النظام التربوي لدى الشباب، كما ترتب على ذلك تدهور خطير لصورة المدرسة والجامعة في وعي الشباب. ولذا لم يعد ينظر إليهما - كما يشير مصطفى محسن، (2004: 10) - على أنهما وسيلة للتكوين الناجح وللرقي المهني والاجتماعي والصعود الطبقي، وإنما باعتبارهما آلة لتفريخ المعطلين من الشباب، ولإعادة إنتاج الإحباط والبؤس والأعباء المادية والاجتماعية الزائدة. ولذا فلم تعد المؤسسة التربوية - على المستوى الدولي وفي الوطن العربي - مؤثرة في الشباب، ولا مقنعة لهم بما تلقنه وتعمل على ترسيخه من معارف وقيمة ومبادئ، وخاصة فيما يتعلق بجوانب الحياة المهنية والاجتماعية.

ومع إحباطات البطالة والتهميش والاستبعاد، يبدأ الشباب في التخبط في حالة أشبه بالضياع الكامل الذي يتحدد مضمونه في عدم قدرته على تحديد هويته وقيمه وآماله بصورة واضحة، خصوصاً في ظل حالة غموض المستقبل وعدم اليقين الذي يسود

وفي الوقت الذي تشهد فيه المجتمعات العربية اندفاعاً استهلاكياً شرساً من جانب الشباب، يرافقه تزايد أهمية قيم أوقات الفراغ، نجد ضعفاً شديداً لديهم فيما يتعلق بقيمة العمل. ويضعف من خطورة هذه المشكلة أن المجتمعات العربية لم تتمكن بعد من تنظيم أنشطة العمل والفراغ لدى الشباب، الأمر الذي يضع قيمة العمل وقيم أوقات الفراغ في حالة مواجهة لدى الشباب

فإن وضع الشباب العربي يقترب من حالة الفوضى والضياع بحيث لا يمكن التكهن بأبعادها. فالإقصاء يصيب كل المجموعات، ويتزايد يوماً بعد آخر، حتى الشباب المتعلم والمؤهل جيداً يجد نفسه معرضاً لخطر التمييز المهني والاجتماعي والاعتزاز والتهميش

لقد تغير العالم .. وبدلاً من أن تتولى المدارس والجامعات قيادة التغيير. نجدها آخذة في التلكؤ خلفه، بل آخذة في مقاومته. إن مدارس وجامعات عصر العولمة هي نفسها كما كانت منذ عشرين سنة مضت. ونفس أساليب التدريس. والمواد الدراسية. ونفس خطط الدروس. بل ونفس الامتحانات

حياته التعليمية والمهنية والاجتماعية والاقتصادية، وعدم قدرته على تحديد أهدافه الحياتية على نحو دقيق، وما ينتج عن ذلك من افتقاد خطة عملية لحياته على وجه العموم. وإذا كان هذان المضمونان عامين ولا يخصان وضع الشباب وحده، فإن هذا لا يقلل من قوة انطباقهما على وضع الشباب الذي هو جزء من كل، وبصورة أكثر شراسة وحدة.

لقد تغير العالم .. وبدلاً من أن تتولى المدارس والجامعات قيادة التغيير، نجدها آخذة في التلكؤ خلفه، بل آخذة في مقاومته. إن مدارس وجامعات عصر العولمة هي نفسها كما كانت منذ عشرين سنة مضت، ونفس أساليب التدريس، والمواد الدراسية، ونفس خطط الدروس، بل ونفس الامتحانات. يجب أن يتغير ذلك إن عاجلاً أو آجلاً .. وسوف يتغير بلا شك.

من هنا، فإن احتكار الكبار - وخصوصاً النخب السياسية - لعملية تحديد أهداف ومضمون التعليم يجب أن ينحسر بقوة، ويخلي مساحة معقولة للدور الذي يجب أن يقوم به الشباب في هذا المقام. إن الشباب - على الصعيدين العالمي والعربي - في حاجة ملحة إلى تحول أنظمة التعليم - التي ارتبطت تقليدياً بالتوجهات النظرية الأكاديمية وبالابعاد الاقتصادية - إلى أنماط واقعية تمثل فيها احتياجات الشباب للانتقال إلى مرحلة الرشد، بما في ذلك المكانة الأخلاقية والجمالية للإعداد الفني والمهني والأكاديمي في تنمية الجوانب البدنية والشخصية، وإعادة الاعتبار إلى الإعداد لتمضية أوقات الفراغ، والإعداد للعمل النافع المفيد على المستويين الشخصي والمجتمعي.

والخلاصة، فإن توفير فرص التعليم الجيد لكل الشباب فيما بين سن الثانية عشرة والعشرين مسألة أساسية وجوهرية لضمان وتأمين مستقبل أفضل لجميع الشباب. وهو يمثل آلية أساسية لجباية الاستبعاد الاجتماعي للشباب على المستويات المحلية، والوطنية، والعالمية. ولأن التعليم مفيد أساساً وضروري للنشء والشباب، يتعين أن ينفذ على الواقع المهني والاجتماعي والثقافي والسياسي المتغير، وأن يكون قادراً على استيعاب مستجداته،

والخلاصة. فإن توفير فرص التعليم الجيد لكل الشباب فيما بين سن الثانية عشرة والعشرين مسألة أساسية وجوهرية لضمان وتأمين مستقبل أفضل لجميع الشباب. وهو يمثل آلية أساسية لجباية الاستبعاد الاجتماعي للشباب على المستويات المحلية، والوطنية، والعالمية

والاستجابة لاحتياجات واهتمامات وأولويات ومصالح جميع الشباب بقصد ضمان استثمار طاقتهم الحيوية، واندماجهم الناجح في عالم العمل، وتنمية قدراتهم على المشاركة في أنشطة الحياة الاجتماعية والاقتصادية، والانتقال إلى مرحلة الرشد.

أما عن مجالات البحث والدراسات المطلوب إجراؤها في مجال القيم التربوية للشباب، فيمكن إيجاز أهدافها الأساسية في الحصول على معلومات علمية دقيقة ومعارف موضوعية أوسع وأعمق عن الصورة الحقيقية لمواقف الشباب، وإدراكهم لمشكلاتهم وهمومهم ذات العلاقة بأنظمة التعليم الراهنة، وطموحاتهم نحو تغيير هذه العمليات، وتحديد المعارف والمهارات والقيم التي ينشئون عليها.

إن ما نحتاج إليه هو فهم طبيعة القيم والتوجهات والمشكلات التي تهمين على أفكار الشباب وحياتهم.. وفهم واقع حياتهم وطبيعة الخبرة الإنسانية للشباب المتفاعلة مع الواقع الثقافي والتربوي للمدارس العربية الراهنة، ونعني بذلك آراءهم ووجهات نظرهم في تلك الأبعاد الشخصية التي قد تنميها العمليات التربوية الراهنة بكل جوانبها التي قد تخفي علينا . كيف يدركها الشباب؟ وما رأيهم فيها؟ وما الجوانب والابعاد والعلاقات التي يتعين تغييرها من وجهة نظرهم؟

وفي ظل خصخصة التعليم وظهور المدارس والجامعات الدولية ومؤسسات التعليم الخاص ذات البرامج التعليمية التي تلبى احتياجات أسواق العمل الجديدة، وتفاقم مشكلة ازدواجيات التعليم بين مدارس عامة وخاصة واستثمارية، ومدارس وجامعات عربية وأخرى أجنبية، ومدارس وجامعات دينية وأخرى مدنية، ومدارس المناطق الفقيرة ومدارس المناطق الغنية، ومدارس التعليم العام ومدارس التعليم المهني .. السؤال المثار هنا: كيف يدرك الشباب هذه الازدواجيات التعليمية المختلفة؟ وما تأثير كل منها على هوياتهم الثقافية؟ وما تأثيرها - من وجهة نظرهم - في حياتهم اليومية وتفاعلاتهم مع أقرانهم وتداعياتها في مسألة الاندماج الاجتماعي؟

وتجدر الإشارة إلى أن هناك مسألة أخرى ترتبط بازدواجية التعليم، هي إدراك الشباب لمسألة العدالة

الاجتماعية في التعليم وفي المجتمع. وتتمثل هذه المسألة في السؤال التالي: إلى أي حد تصنع هذه المدارس المتعددة والمتباينة فروعاً اجتماعية من وجهة نظر الشباب؟ وكيف؟ وما طبيعة الحلول التي يرون أنها مناسبة لهذه القضية؟ هل هناك عمليات اجتماعية تعمل داخل المدرسة والجامعة على تنمية اللامساواة الاجتماعية في المجتمع أم لا؟ إن تراكمات مثل هذه البحوث حول قيم الشباب وتوجهاتهم ورؤاهم حول التعليم وأهدافه وبنيتهم ومناهجهم وأساليبهم هو ما يمدنا بفهم واضح لتوجهات الشباب ومشكلاتهم وقيمهم التعليمية، ويجعلنا أكثر قدرة على فهم كيف نعرف الشباب، وكيف نتحدث عن الشباب، وكيف نصلح من التعليم في ضوء هذه القيم والتوجهات، وكيف نختار وسائل عقلانية في التعامل مع الأحداث اليومية من تدريس وعلاقات وتفاعلات اجتماعية وتقويم وغيرها.

وفي تصورنا، إن مدخل البحوث الكيفية الذي يتجه إلى دراسة بني التفاعل والمعاني السائدة لدى الشباب والترتيبات التعليمية داخل مؤسسات التعليم، وتعريفات المواقف اليومية من خلال الملاحظة المشاركة والمعايشة، والمقابلات العميقة وتحليل السجلات عن واقع الحياة اليومية، هو ما

يمدنا بفهم واضح عن توجهات الشباب ومشكلاتهم وقيمهم التعليمية، ويجعلنا أكثر قدرة على إصلاح أحوال التعليم في ضوء هذه القيم. والمدخل الكيفي (الإنوجرافي) الذي يتجه إلى كشف الآليات والقواعد الحاكمة للنشاط اليومي الحياتي للشباب هو المدخل القادر على إمدادنا بتوجهات معينة في مجال تغيير هذه الآليات في مواقف تربوية معينة، ووسائل عقلانية للإصلاح. ولأن نتائج البحوث الكيفية نتائج عيانية وليست مجردات (أو وصف الواقع في خطوط ودوائر إحصائية)، فهي ذات فائدة كبيرة في دفع المربين والمسؤولين عن التعليم تجاه اتخاذ القرارات وتنفيذ الأفعال التي تحدث تغييراً. وأخيراً، فإن هذا المدخل ذو قدرة على استحضار الوعي، ليس فقط للباحثين، بل ولجميع أطراف العملية التربوية. حيث يضع المعطيات التي تؤخذ مأخذ التسليم كموضوعات للبحث والتساؤل .. فيحثنا جميعاً- باحثين ومفحوصين .. كباراً وشباباً- على التفكير وإعادة التفكير في معطيات واقعنا، ويدفعنا إلى تغيير مفردات حياتنا اليومية التي نتفاعل بها ومن خلالها في واقعنا الحي (حسن البيلاوي، 1993: 26-30).

المدخل الكيفي (الإنوجرافي) الذي يتجه إلى كشف الآليات والقواعد الحاكمة للنشاط اليومي الحياتي للشباب هو المدخل القادر على إمدادنا بتوجهات معينة في مجال تغيير هذه الآليات في مواقف تربوية معينة. ووسائل عقلانية للإصلاح

المصادر العلمية للفصل الثالث

1. رمزي زكي ، فى وداع القرن العشرين ، تأملات فى هموم مصرية وعالمية ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، 1999 ، 65.
2. R. Gregory, 1995; D. Stern, Bailey T. and D. Merritt, 1997 ; T.Wyn & P. Dwyer, 1999; R. Macdonald, 1998; C.Trottier & R. Cloutier and L.Laforce, 1996
3. Johanna Wyn & Peter Dwyer ≡ New Directions in Research on Youth in Transition ≡ , Journal of Youth Studies, 1999, p 2: 5-21
4. Johanna Wyn & Peter Dwyer, opcit 34 ,p
5. D. Stern, T.Bailey and D.Merritt, School – to - Work Policy Insights From Recent International Developments, . Berkely : National center for research in vocational Education, 1997
6. C. Trottier, R. Cloutier and L. Laforce, 1996, ≡ Vocational Integration of University Graduates : Typology and Multivarliate Analysis ≡ International Sociology . p 104
7. R. Gregory, . Higher Education expansion and Economic Change in Australia . Australian Bulletin of Labour , 1995, p32
8. C. Smith & J. Rojeuski, . School – to – Work Transition, Alternatives For Educational Refom . Youth and Society 1993, p 224, 225
9. Johanna Wyn & Peter Dwyer, opcit, p 42
10. Johanna Wyn & Peter Dwyer, opcit, p 36
11. R. MacDonald, 1998 : 169
12. M.DuBois-Reymond, . I don't want to commit myself yet : Young people's life concepts . Journal of youth Studies, 1998, pp 1 : 63-79
13. S.R. Zubrick, S.R. Silburn et.al,. . Western Australian Child Health Survery : Developing Health and Well Being in the Nineties . Western Australia : Institute for Child Health Research and Australian Bureau of Statistics ,1995
14. S.K. Biklin, ≡ Narrative Constructions of Memory in Ethnographies of youth ≡ Paper presented at Annual Meting of the American Educational Research Association , Monterial , 1999
15. P. Rudd & k. Evans, ≡ Structure and Agency in Youth Transitions : Student Experiences of Vocational further education ≡ Journal of Youth Studies ,1998 , p 60
16. Johanna Wyn & Peter Dwyer, opcit,,p 40
17. C. Rafo & M. Reeves, 1999
18. Johanna Wyn & Peter Dwyer, opcit,,p 41
19. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي . تقرير التنمية البشرية للعام 2003 ، أهداف التنمية للألفية : تعاهد بين الأمم لإنهاء الفاقة البشرية، بيروت : برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ص 24
20. رمزي زكي ، مرجع سابق، ص 149
21. باقر سلمان النجار . 1993 . " التعليم والتدريب والعمالة في الخليج العربي : قراءة سوسيوولوجية " . المجلة المصرية للتنمية والتخطيط . المجلد الأول ، العدد الأول والثاني، ص 167
22. نادية رضوان، الشباب المصري المعاصر وأزمة القيم . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997 ، ص 151، 150
23. مصطفى محسن، " إشكالية التربية علي المواطنة وحقوق الإنسان بين الفضاء المؤسسي والمحيط الاجتماعي " في : الندوة الإقليمية الأولى حول التربية والشباب والمواطنة. تونس : برنامج منح بحوث الشرق الأوسط ، والجمعية التونسية للدراسات حول ثقافة الشباب ، ومركز البحوث الاقتصادية والاجتماعية ، 17-19 يوليو، 2004 ، ص 10
24. نادية رضوان، مرجع سابق، ص 15
25. سيد صبحي، الشباب وأزمة التعبير . القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 2002
26. سيد صبحي ، مرجع سابق، ص 52، 53
27. بربارا إبراهيم وآخرون ، الانتقال إلى مرحلة النضج .. مسح قومي حول النشء في مصر . القاهرة : مجلس السكان الدولي . 2001 ، ص 88
28. نادية رضوان، مرجع سابق، ص 207
29. عدنان الأمين ، ومحمد فاعور 1980 . الطلاب الجامعيون في لبنان واتجاهاتهم .. إرث الانقسامات . بيروت: الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية ، ص 20
30. ثروت علي الديب، التعليم الخاص والتحولت الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع المصري- دراسة اجتماعية تنبعية 1952 – 1990 . رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية الآداب – جامعة عين شمس، 1995 ، ص 151

المصادر الأساسية

أولاً: المصادر العربية: والمراجع

- أحمد عبد الله . 1994 . قضية الشباب .. مصرياً .. وعربياً .. إسلامياً .. ودولياً . القاهرة: مركز الجيل للدراسات الشبابية والاجتماعية .
- . 2005 : قضية الأجيال .. تحدي الشباب المصري عبر قرنين . القاهرة : دار مصر المحروسة .
- أحمد مجدي حجازي . 1999 . " العولة وتهميش الثقافة الوطنية (رؤية نقدية من العالم الثالث) " . عالم الفكر . المجلد الثامن والعشرون ، العدد الثاني . أكتوبر / ديسمبر . 146-123 .
- باقر سلمان النجار . 1993 . " التعليم والتدريب والعمالة في الخليج العربي : قراءة سوسيولوجية " . المجلة المصرية للتنمية والتخطيط . المجلد الأول ، العدد الأول والثاني . 191 – 163 .
- باربارا إبراهيم وآخرون . 1999 ، 2000 . الانتقال إلى مرحلة النضج .. مسح قومي حول النشء في مصر . القاهرة : مجلس السكان الدولي .
- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي . تقرير التنمية البشرية للعام 2003 ، أهداف التنمية للألفية : تعاهد بين الأمم لإنهاء الفاقة البشرية ، بيروت : برنامج الأمم المتحدة الإنمائي .
- ثروت علي علي الديب . 1995 . التعليم الخاص والتحول الاقتصادي والاجتماعية في المجتمع المصري – دراسة اجتماعية تتبعية 1952 – 1990 . رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية الآداب – جامعة عين شمس .
- جوهانا وين وبيتر ديور 2000 . " أنماط جديدة لانتقال الشباب في مراحل التعليم " . ترجمة بهجت عبد الفتاح . المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية . العدد 164 ، ابريل . 45-29 .
- حسن البيلاوي . 1993 . في علم اجتماع المدرسة . القاهرة : عالم الكتب .
- حليم بركات . 2000 . المجتمع العربي في القرن العشرين ، بحث في تغير الأحوال والعلاقات . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .
- حمد بن علي السليطي ، أحمد الصيداوي . 1998 . " دراسة الاتجاهات العامة للإصلاح التربوي في العالم (الجزء الأول) " . مجلة التربية ، العدد السابع والعشرون ، السنة الثامنة ، (أكتوبر) ، 69-24 .
- رمزي زكي . 1999 . في وداع القرن العشرين – تأملات اقتصادية في هموم مصرية وعالمية . القاهرة : دار المستقبل العربي .
- . 1997 . " الاقتصاد السياسي للبطالة : تحليل لأخطر مشكلات الرأسمالية المعاصرة " . الكويت : عالم المعرفة ، أكتوبر .
- سامية الساعاتي . 2003 . الشباب العربي والتغير الاجتماعي . القاهرة : الدار المصرية اللبنانية .
- سيد صبحي . 2002 . الشباب وأزمة التعبير . القاهرة : الدار المصرية اللبنانية .
- عبد الخالق عبد الله . 1999 . " العولة : جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها " . عالم الفكر . المجلد الثامن والعشرون ، العدد الثاني ، أكتوبر / ديسمبر . 94-39 .
- عدنان الأمين ، ومحمد فاعور 1980 . الطلاب الجامعيون في لبنان واتجاهاتهم .. إرث الانقسامات . بيروت : الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية .
- علي ليلة . 1993 . الشباب العربي : تأملات في ظواهر الإحياء الديني والعنف . القاهرة : دار المعارف .
- كمال نجيب . 2005 . تطوير منظومة التربية العربية من أجل تمكين الشباب : التحديات وآفاق المستقبل . القاهرة : جامعة الدول العربية ، إدارة السياسات السكانية والهجرة / القطاع الاجتماعي .
- محمود عوده . 1996 . " ملامح واقع المرأة المصرية " . في : المؤتمر القومي الثاني للمرأة المصرية : سياسات تنمية المرأة للنهوض بالمجتمع . القاهرة : المجلس القومي للطفولة والأمومة ، 21-22 أبريل ، 107 – 116 .
- منظمة اليونسكو . 1999 . تقرير الاتصالات والمعلومات في العالم 1999-2000 . القاهرة : مركز مطبوعات اليونسكو .
- مصطفى محسن . 2004 " إشكالية التربية علي المواطنة وحقوق الإنسان بين الفضاء المؤسسي والمحيط الاجتماعي " في : الندوة الإقليمية الأولى حول التربية والشباب والمواطنة . تونس : برنامج منح بحوث الشرق الأوسط ، والجمعية التونسية للدراسات حول ثقافة الشباب ، ومركز البحوث الاقتصادية والاجتماعية ، 17-19 يوليو .
- نادر فرحاني . 1998 . رؤية مستقبلية للتعليم في الوطن العربي . القاهرة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
- نادية رضوان . 1997 . الشباب المصري المعاصر وأزمة القيم . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- نيكولاس س. بيريلس ، وكارلوس ألبرتو توريس . 2000 . " العولة والتعليم : من التعليم في عصر التنوير إلى التعليم المتعولم " ، ترجمة كمال نجيب ، التربية المعاصرة ، السنة السابعة عشرة، فبراير: 7 – 45 .
- وزارة التعليم العالي (مصر) 2000 . البحوث الاجتماعية وترشيد السياسات للنهوض بأوضاع الشباب في ضوء التحولات الاجتماعية والاقتصادية . القاهرة : اللجنة الوطنية المصرية للتربية والعلوم والثقافة .
- يحيى مرسي عيد بدر 2000 . مقدمة كتاب : الشباب في مجتمع متغير ، تأليف : فرد ميلسون ، ترجمة وتقديم يحيى مرسي عيد بدر . الإسكندرية : دار الهدى .

- Bauman , Z. 1998. Globalization : The Human Consequences Cambridge , polity press .
- Biklin , S.K.1999. " Narrative Constructions of Memory in Ethnographies of youth " Paper presented at Annual Meeting of the American Educational Research Association , Monterial .
- Brown, P. 1997. " Globalization , social exclusion and youth " , in Youth Citizenship and social change in a European Context . J. Bynner , L. Chisholm and A. Furlong eds . Aldershot , Ashgate , 262-272
- Brown, P. and H., Lauder. 1996. " Education , globalization and economic development " Journal of Educational Policy . vol 11 1-25.
- Bull , Hedley & Watson , Adam . 1984 . The expansion of International Society . Oxford : Clarendon press
- Carnoy, Martin . 1990 . Globalization and Educational Reform : What planners Need To know . Paris , UNESCO.
- Du Bois – Reymond , M. 1998 . " I don't want to commit myself yet : young people's life concepts " Journal of youth Studies 1 : 63-79.
- Dubsky, V. 1995. " Czech youth and social change " in Youth in Europe , A. Cavalli and O. Galland , eds. London . Pinter . 115-126.
- Furlong, A.and; Cartmel, F. 1997. Young People and Social Change : Individualization and Risk in Late Modernity Buckingham . Open University press .
- Gertzel, Cherry . 1997. The internationalization or the Globalization of Education in the 1990's ? Paper presented to HERDSA, August .
- Giddens, A. 1991 . Modernity and Self Identity : Self and Society in the Late Modern Age. Oxford Polity press .
- Gregory , R. 1995. " Higher Education expansion and Economic Change in Australia " Australian Bulletin of Labour 21: 295-322.
- Kjeldgaard, D. 2001 " Youth Identities and globalization: Central and Peripheral Consumer Culture in Denmark and Greenland " , a paper presented at the British Sociological Association Youth Study Group's International Conference On Global Youth ? Young People in the Twenty First Century , University of Plymouth , United Kingdom , 3-5 September.
- Kraidy, M. 2002 . " the global , the local and the hybrid : a native ethnography of glocalization " . in Ethnographic Research: A Reader, S. Taylor ed. London Sage / Open University press . 184-210.
- Lee, B. 1998 . Educating Children For a Global Information Society : A Framework For Action Australian Council of state school organization
- Lyons , Tanya . 2000. " Globalization and Education " , Survival Guide To A Global , Lecture 12, August
- Miles, S. 2000. Youth Lifestyles In A Changing World , Buckingham : Open University press.
- 2004 . " Young People in a Globalizing World " in : World Youth Report 2003 : The Global Situation of Young People, New York : United Nations Publications
- Orr , David W. 1999. " Education for Globalization (Modern Western Education system) " , The Ecologist , 29, 3 May , June ,
- Rudd , P. & Evans , K. 1998 . " Structure and Agency in Youth Transitions : Student Experiences of Vocational further education " Journal of Youth Studies 1: 39-62.
- Smith, C. And Rojeuski, J. 1993. " School – to – Work Transition, Alternatives For Educational Refom " Youth and Society 25 (2) : 222 – 250 .

- Stern , D., Bailey , T. and Merritt, D. 1997 . School – to - Work Policy Insights From Recent International Developments, Berkely : National center for research in vocational Education .
- Townsend , P. 2000. " Ending World Poverty in the 21st Century " in Tackling Inequalities : Where Are We Now And What Can Be Done , C. Pantazis and D. Gordon , eds. Bristol , The policy press 211-232.
- Trottier, C.; Cloutier , R. and Laforce , L. 1996. "Vocational Integration of University Graduates : Typology and Multivarliate Analysis " International Sociology . (11) 1: 91-108 .
- United Nations. 2004 . World Youth Report 2003: The Global Situation of Young People , New York : United Nations Publications .
- Water , Malcolm ,1995 . Globalization , London : Routledge .
- West , P. 1997 . " Health Inequalities in the Early years : Is there equalization in youth ? " Social Science and Medicine , 44: 833-858 .
- Wyn, J. & Dwyer , p. 1999. " New Directions in Research on Youth in Transition" , Journal of Youth Studies 2: 5-21.
- Zubrick , S. R., Silburn , S. , R. Garton , A., Burton , P., Calby; R., Carlton ; J., Shepherd ; D. and Lawrence , D. 1995 . Western Australian Child Health Survery : Developing Health and Well Being in the Nineties . Western Australia : Institute for Child Health Research and Australian Bureau of Statistics .

قيم الشباب العربي: المجالات والأولويات دراسة ميدانية استطلاعية على عينتين من الشباب المصري والتونسي*

فإنه يندر أن تجد بحثاً إقليمياً حديثاً حول قيم الشباب. فجل ما هنالك محاولات واجتهادات فردية لبحوث اعتمدت على بيانات جاهزة من ثنانيا مسوح وبحث لم يكن هدفها بحث القيم السائدة لدى الشباب

الدراستين، بالتركيز على مجالات أساسية تكاد تجمع الأدبيات المتاحة حول الشباب العربي، على أنها مجالات حاکمة لإعداده وتمكينه: والأسرة، والتعليم، والعمل، والمشاركة، وقضاء الوقت الحر؟

الثاني: ما محددات القيم السائدة لدى شباب وشابات العينة في ضوء دلالات العلاقات بين التفضيلات القيمية للشباب في المجالات المشار إليها في التساؤل الأول، وبين متغيرات: السن، النوع، المرحلة التعليمية ونوع التعليم، العمل، المستوى الاجتماعي والاقتصادي لأسرة الشاب؟

3- عينتا الدراسة

تفرض مجموعة من العوامل والظروف المتداخلة تحديد نمط عينة البحث العلمي وأسس اختيارها، وفي مقدمتها أهداف البحث، والمتغيرات المراد تمثيلها بالعينة، وخصائص جمهور البحث وما بينه من تباينات، والإمكانات المتوافرة للبحث من حيث الوقت المخصص لإنجاز البحث وتكلفته المادية في ضوء هذه العوامل والظروف، كان من الضروري أن تكون عينتا الدراسة "عمدية"، لضمان تمثيل الشباب حسب النوع (ذكوراً وإناثاً) وحسب المرحلة التعليمية وتبايناتها الداخلية (تعليم جامعي علمي/ عملي، ويقصد به الكليات العملية كالطب والهندسة والصيدلة والزراعة، وكليات نظرية، أي التي تدرس الأفرع المختلفة

مقدمة حول فكرة الدراسة وإجراءاتها المنهجية

1- فكرة الدراسة الميدانية وأهدافها

رغم أهمية قيم الشباب في تحديد تفضيلاتهم واختياراتهم، والتي من شأنها المساعدة في فهم ما يفكر فيه الشباب، وما يتطلعون إليه، فإنه يندر أن تجد بحثاً إقليمياً حديثاً حول قيم الشباب. فجل ما هنالك محاولات واجتهادات فردية لبحوث اعتمدت على بيانات جاهزة في ثنانيا مسوح وبحث لم يكن هدفها بحث القيم السائدة لدى الشباب . وهناك دراسات ميدانية للحصول على درجات علمية حددت الخبرة البحثية، نظرياً ومنهجياً، حال مخرجاتها. ولهذا حاول التقرير الراهن أن يجمع بيانات ومعلومات ميدانية حديثة، تغطي أهم الثغرات المعلوماتية القائمة في البيانات المتاحة حول القيم السائدة لدى الشباب، وذلك من خلال حالتين قطريتين: تقع إحداهما بالشرق العربي، وتقع الثانية بالمغرب العربي¹، ركزنا فيهما على بعض القيم التي لم نتحصل على بيانات بشأنها من الأدبيات المتاحة، خاصة القيم الدينية، وقيم العمل، والمشاركة، والتواصل الأسري، وقيم الاستقلال، وغيرها مما سترد تفصيلاته في صفحات تالية.

2- تساؤلات الدراسة الميدانية

سعى البحث الميداني للإجابة على التساؤلين الرئيسيين التاليين:

الأول: ما القيم السائدة لدى شباب وشابات عينتي

- أعد دراسة حالة تونس: الأستاذ/ أحمد عبد الناظر، ديوان الأسرة وال عمران البشري، الجمهورية التونسية، دراسة غير منشورة، إدارة السياسات السكانية والهجرة
Email: ahmed.abdennadher@rns.tn

- أعد دراسة حالة مصر: محمد نجيب إبراهيم، أستاذ علم الاجتماع المساعد، جامعة بنها، جمهورية مصر العربية، دراسة غير منشورة، إدارة السياسات السكانية والهجرة
- المراجعة والتحرير: عبد الباسط عبد المعطي

- بيانات أساسية حول أسرة المبحوث: حجم الأسرة، المستوى التعليمي للأبوين، طبيعة عملهما.

- المجتمع المحلي الذي يعيش فيه المبحوث ومدة الإقامة فيه.

- محاور متتالية حول القيم: التعليم، التواصل الأسري، الزواج وشروطه، العمل، المشاركة، القيم الدينية، المثل الأعلى، الأهداف التي يتطلع الشباب لتحقيقها.

- هذا وقد خضعت صحيفة الاستبيان لاختبارين: أولهما تحكيم مجموعة من الخبراء المعنيين بقيم الشباب في الجامعات المصرية والمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية (سبعة محكمين من المتخصصين في علم الاجتماع وعلم النفس والعلوم السياسية)، وثانيهما إختبار الاستبيان من خلال تطبيقه على 15 شاباً بواقع خمسة شباب من الطلاب، ومثلها من خريجي الجامعات، ومثلها من حملة المؤهلات المتوسطة (ماقبل الجامعي) الدبلومات الفنية، وفي ضوء نتائج الاختبارين تم إعادة صياغة بعض الأسئلة لتكون أكثر وضوحاً، مع حذف بعض الأسئلة، منعاً للتكرار، وسعياً للتركيز المكثف على أسئلة تسهم مباشرة في تحقيق أهداف الدراسة الميدانية السابق الإشارة إليها، ومراعاة للاتساق الداخلى بين أسئلة الاستبيان.

القيم السائدة لدى الشباب المصري والتونسي- نتائج إمبريقية

- قيم التعليم: اختيارات مفروضة، وبدائل مشروطة

لعل السؤال الذى يطرح نفسه- قبل استطلاع تقييم الشباب لواقع تعليمه- هو: هل هناك حرية في الاختيارات التعليمية للشباب في البلدان العربية، أم أنها- على الأقل- اختيارات مشروطة؟

ومن خلال متابعة لنظم القبول بالجامعات العربية، في إطار العروض من الطلاب والمطلوب منهم في المؤسسات الجامعية، سنجد أن ثمة شرطين أساسين يحددان هذا القبول: أولهما مجموع الدرجات بالنسبة للتعليم الحكومي العام، وثانيهما القدرة

للعلم الاجتماعية والإنسانية، كعلم الاجتماع وعلوم القانون وعلم الاقتصاد والعلوم السياسية والإحصاء والفلسفة... الخ)، وحسب مستوى التعليم الذي وصل إليه الشاب (تعليم متوسط، جامعي)، وحسب الحالة العملية (يعمل، لايعمل، يبحث عن عمل).

في ضوء هذه المتغيرات، تم اختيار عينة طبقية عمدية حجمها 205 مفردة، حالة من الشباب التونسي، و450 لتمثيل الشباب المصري، تم تجميعها من ثلاث محافظات هي القاهرة (حضر)، والقليوبية (شبه حضرية)، وبني سويف (ريفية). وبذلك كان مجموع العينتين 655 حالة.

وتجدر الإشارة إلي أن العينة قد ركزت على المتعلمين من الشبان والشابات في كلا البلدين ولم تغط فئات أخرى من الشباب، كشباب العمال والفلاحين، أو الشباب غير المتعلم.

وكانت أهم خصائص عيني الدراسة على النحو التالي:

1- بلغ حجم عينة الدراسة المصرية 450 شاباً وشابة، و205 شاب وشابة من تونس.

2- بلغت نسبة الذكور في العينة المصرية 47.5% مقابل 52.5% للإناث، وكانت نسبة الذكور في العينة التونسية 41.2% مقابل 58.8% للإناث.

3- كان 49.8% من العينة المصرية من فئة العمر 22-30 عاماً مقابل 75% في نفس الفئة من العينة التونسية.

4- كان الجامعيون، طلاباً وخريجون، في العينة المصرية بنسبة 70% مقابل 65% في العينة التونسية لنفس الفئة التعليمية.

4- أداة جمع البيانات

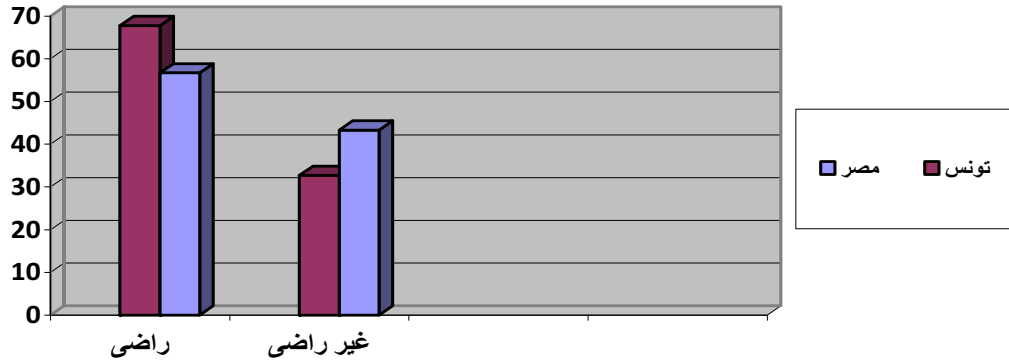
تم تصميم صحيفة إستبيان جمعت بياناتها من قبل الشباب والشابات، ومن خلال مقابلات أجراها باحثون مدربون ومتخصصون لجمع البيانات من حملة المؤهلات المتوسطة في الحالة المصرية، واشتملت محاورها على: (أنظر الملحق)

- بيانات أساسية حول الشباب: العمر، النوع، التعليم، الحالة العملية.

وتجدر الإشارة إلي أن العينة قد ركزت على المتعلمين من الشبان والشابات في كلا البلدين ولم تغط فئات أخرى من الشباب، كشباب العمال والفلاحين، أو الشباب غير المتعلم.

وقد خضعت صحيفة الاستبيان لاختبارين: أولهما تحكيم مجموعة من الخبراء المعنيين بقيم الشباب في الجامعات المصرية والمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، وثانيهما إختبار الاستبيان من خلال تطبيقه على 15 شاباً بواقع خمسة شباب من الطلاب، ومثلها من خريجي الجامعات، ومثلها من حملة المؤهلات المتوسطة

شكل بياني (1) الرضا عن التعليم في كل من مصر وتونس



وإذا افترضنا أن شرط المجموع قد يعكس قدرات الطالب واجتهاده، فإن الدروس الخصوصية التي انتشرت في بعض البلدان العربية، تدخل طرفاً في تحديد مجموع الدرجات وهى - الدروس الخصوصية - محكومة أيضاً بإمكانات الأسرة المادية.

يعد للعمل أولاً، وينمي شخصية المتعلم ثانياً، حازت الأولى على 40%، 45% لدى المصريين والتونسيين على التوالي، وحازت الثانية على حوالي ثلث كل عينة. أما الصفة الثالثة، فقد افرق فيها المصريون عن التونسيين، حيث أكد المصريون على ضرورة اهتمام التعليم بتعليم مهارات الحياة بنسبة 15.8%، في حين أن التسامح وقبول الآخر جاءت في المرتبة الثالثة لدى التونسيين بنسبة 30%. ولم تظهر البيانات فروقاً بين الشبان والشابات في العينتين المصرية والتونسية.

ثانياً - قيم العمل: طموحات محاصرة وبدائل محدودة

تشكل قضية تشغيل الشباب وبطالته واحدة من أكبر وأهم التحديات التي أجمعت عليها كافة الدراسات والبحوث والمسوح التي أجراها مشروع تمكين الشباب العربي بإدارة السياسات السكانية والهجرة بجامعة الدول العربية. فالبطالة تطول أكثر من ربع الشباب العربي، وهي الأكثر انتشاراً بين المتعلمين تعليماً متوسطاً وعالياً، وهى لدى الشابات أعلى من الشبان، وأعلى في الأرياف عن الحواضر، فضلاً عن تباينها بين بطالة طوعية أو اختيارية بين بعض الشباب الخليجي، وبطالة اجتماعية لعدم الوئامة بين التقييم الاجتماعي لما هو متاح من فرص العمل وبين حاجات الشباب من العمل، وبين بطالة هيكلية إجبارية في معظم بلدان المشرق والمغرب العربيين. ويسود بين الأدبيات المتاحة حول بطالة الشباب العربي رغم محدوديتها³ عدد من القنوات الفكرية والاستخلاصات العامة، من بينها⁴:

المالية لأسرة الشاب بالنسبة للتعليم الخاص والأجنبي داخل وخارج البلدان العربية. وهما شرطان ليس متاحين للأعداد الأكبر من الشباب العربي. وإذا افترضنا أن شرط المجموع قد يعكس قدرات الطالب واجتهاده، فإن الدروس الخصوصية التي انتشرت في بعض البلدان العربية، تدخل طرفاً في تحديد مجموع الدرجات وهى - الدروس الخصوصية - محكومة أيضاً بإمكانات الأسرة المادية.

أولاً - تقييم واقع تعليم الشباب العربي:

الرضا عن التعليم الحالي في الدراسة الميدانية

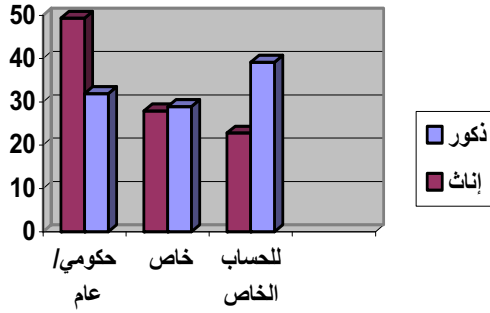
لقد كان الراضون عن تعليمهم الحالي 56.7% من إجمالي العينة المصرية مقابل 43.3% لغير الراضين، وكانت نسبة الرضا في العينة التونسية 67.8% مقابل 32.2% لغير الراضين.

واتساقاً مع ما سبق، كان الراغبون في تغيير اختصاصهم الحالي 31% من إجمالي العينة التونسية مقابل 45.8% من إجمالي العينة المصرية، وكانت أهم وأول أسباب اختيار تخصص آخر هو توقع وجود فرصة عمل بنسبة 20% من إجمالي العينة المصرية مقابل 35% لدى العينة التونسية، وهي نتيجة تتفق في الاتجاه العام مع ما توصلت إليه بعض نتائج غير قليل من بحوث البطالة في البلدان العربية، والتي أكدت وجود فجوة بين مخرجات التعليم الحالي في البلدان العربية ومتطلبات التنمية في هذه البلدان خاصة أسواق العمل².

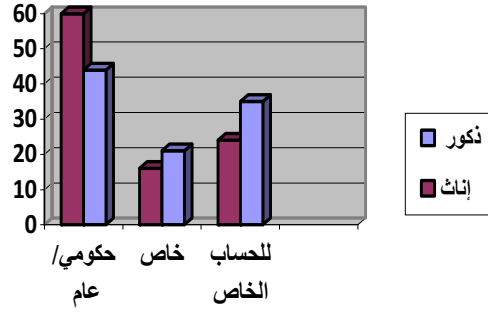
- مواصفات التعليم البديل

التقى الشباب المصري والتونسي - شباناً وشابات - على أن أهم صفتين في التعليم المرغوب فيه أنه الذى

التقى الشباب المصري والتونسي - شباناً وشابات - على أن أهم صفتين في التعليم المرغوب فيه أنه الذى يعد للعمل أولاً. وينمي شخصية المتعلم ثانياً. حازت الأولى على 40%، 45% لدى المصريين والتونسيين على التوالي. وحازت الثانية على حوالي ثلث كل عينة



شكل بياني رقم 3 : قطاعات العمل المفضلة في مصر



شكل بياني رقم 2: قطاعا العمل المفضلة في تونس

ولقد فضل الشباب المصري والتونسي العمل الحكومي كأولوية بنسبة 40.2% و53.2% على التوالي من إجمالي كل عينة، وأتى في المرتبة الثانية العمل للحساب الخاص أو ما يسمى بالتشغيل الذاتي بنسبة 31.3% لدى الشباب المصري، و28.8% لدى الشباب التونسي، وكانت الإناث في العينتين أكثر تفضيلاً للعمل الحكومي، فالشابات المصريات اخترن هذا القطاع بنسبة 49.3% والتونسيات بنسبة 60%، مقابل 31.9% و44% لدى الشبان المصريين والتونسيين على التوالي. أما بالنسبة للعمل في القطاع الخاص، فقد كان الأقل تفضيلاً في العينتين، وكان أقل تفضيلاً لدى شابات العينتين مقارنة بشبابها (الشكلان رقما 2 و3)

ويرجع تفضيل أفراد العينتين للعمل في القطاع العام/ الحكومي إلى تطلع الشبان والشابات في العينتين إلى الاستقرار في العمل وطلب الأمان، الذي لا يضمنه الشباب في القطاع الخاص، حيث أبدع هذا القطاع في غير قليل من البلدان العربية- كما في بعض المجتمعات الأخرى في الشمال والجنوب- صيغاً للتشغيل المؤقت وبالمهمة وتحسباً لخفض تكلفة العمل، وتحسباً لتكلفة الالتزام بالحقوق القانونية للعمال، من تأمينات، ومعاشات، وعطلات ..إلخ. وساعد القطاع الخاص في هذا المسلك وجود فائض من قوة العمل الشبابية، وإحتدام البطالة بينها، وبالتالي زيادة عرض العمل عن الطلب عليه.

وإذا كانت الشابات في العينتين أكثر تفضيلاً للقطاع الحكومي والعام من الشبان، فيرجع هذا لأمرين أساسيين: إن بعض أصحاب القطاع الخاص أقل ميلاً لتشغيل الإناث تحسباً لإجازات الحمل

- إن مخرجات التعليم بعيدة عن وغير مواتية لخصائص الطلب على العمل، خاصة المهارات والمعارف التي تفرضها أسواق العمل المتغيرة، التي أضحت أكثر اعتماداً على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

- إن أقساماً مهمة من الشباب العربي لاتزال بحاجة إلى عمل حكومي دائم ومأمون، لضمان استمرار الأجر والمزايا المادية والإدارية، والتأمين عند التقاعد، ومن ثم رفض بعضهم العمل الحر أو العمل لحسابه.

- إن القروض الصغيرة والمتناهية الصغر التي تقدمها الصناديق الاجتماعية أو ماشابهها من مؤسسات وهيئات تواجهها معوقات وعقبات إدارية: ضمانات اقتصادية: شروط الاقتراض، وفنية: بساطة وتقليدية تكنولوجيا المشروعات وتسويقية: تتمثل في عدم قدرة المنتجات على المنافسة في الأسواق، خاصة أمام السلع المستوردة، فضلاً عن ارتفاع تكلفة الإنتاج، خاصة أسعار المواد الخام والافتقار للخبرة الإنتاجية والإدارية وغيرها.

- نمط علاقات الإنتاج كإطار مفصلي لعلاقات العمل:

تُصنف قطاعات العمل وفق علاقات الإنتاج إلى عمل مأجور لدى مؤسسات الدولة، ولدى القطاع الخاص، وعمل للحساب الخاص، يقترّب به العامل من إحدى صيغ المالك الصغير الذي يعتمد على ذاته، وهو نمط من العلاقات غالباً ما يكون صاحب العمل فيه حراً في قراراته جانبياً لعوائده، وأحياناً يكون صاحب عمل وعاملاً في الوقت نفسه.

ويرجع تفضيل أفراد العينتين للعمل في القطاع العام/ الحكومي إلى تطلع الشبان والشابات في العينتين إلى الاستقرار في العمل وطلب الأمان، الذي لا يضمنه الشباب في القطاع الخاص، حيث أبدع هذا القطاع في غير قليل من البلدان العربية- كما في بعض المجتمعات الأخرى في الشمال والجنوب- صيغاً للتشغيل المؤقت وبالمهمة وتحسباً لخفض تكلفة العمل، وتحسباً لتكلفة الالتزام بالحقوق القانونية للعمال

والوضع والرضا وغيرها، بالإضافة إلى أن الشباب وأسرهم يفضلون عملهم في الحكومة والقطاع العام، تحسباً لما يتيجهم من استقرار فيه، وإمكانية الموازنة بين ساعات العمل والأعباء الأسرية قبل وبعد زواج الشابة.

وإذا كان بعد النوع الاجتماعي قد أثر نسبياً في تفضيلات قطاعات العمل بين الشبان والشابات، فقد كشفت العينة المصرية عن تأثير هذه التفضيلات أيضاً بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي* للأسرة، فأبناء الشرائح الأعلى كانوا أكثر تفضيلاً للعمل لحسابهم بنسبة 33.8%، 32.8% لدي الشبان والشابات على التوالي، نظراً للقدرة المالية لأسرهم التي تسمح للشباب بإقامة المشروع الخاص.

2- قيم تفضيل العمل :

جدول رقم 1- توزيع العينة حسب تفضيلات عوائد العمل

البلد	مصر		تونس	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث
تفضيل العائد من العمل	55.7%	44.6%	60%	62%
العائد المادي الأعلى	27.7%	38.1%	36%	34%
العمل الدائم	16.6%	17.3%	14%	4%
ذو المكانة الاجتماعية	100	100	100	100

ولقد فرضت ظروف العيش المحيطة بالشباب- كارتفاع الأسعار والتضخم والصعوبات الاقتصادية للزواج، كما سيتضح فيما يلي من صفحات التقرير الراهن- وتساعد القيم الاستهلاكية أن تكون القيم المادية للعمل أكثر تفضيلاً عن غيرها من القيم لدى الشباب والشابات، وبدون فروق كبيرة- نسبياً- بينهم، وأتى بعد هذا تفضيلاً أن يكون العمل دائماً ومستقراً لمواجهة العمل المؤقت وعدم الاستقرار فيه، والذي يؤثر سلباً في أهداف الشباب الأخرى كالزواج وتكوين الأسرة. وإذا كانت إجابات الشباب والشابات في العينة التونسية والمصرية قد أتت متسقة في ترتيبها العام، فقد جاء التباين في حجم تفضيل العمل الدائم، حيث ارتفعت نسبته لدي الشباب المصريين والشبان التونسيين عن قرنائهم.

- الغني المادي أو النجاح الاجتماعي: رسالة احتجاج من الشباب

أجابت غالبية العينة المصرية 72.6% والعينة التونسية 70.2%- لاحظ تقارب النسب- بأن النجاح الاجتماعي ذو أولوية على الغنى المادي، وهي إجابة تحمل رداً واضحاً على من يصفون الشباب بأن المادة (المال) تسيطر عليه، والكسب السريع أحد أهدافه. وفي رأينا أن هذه الإجابة لاتتناقض مع ما ورد في تفضيله للعمل ذي العائد المادي الأعلى، وذلك لأن العمل ذا الدخل الأعلى مقدمة لتحقيق أهداف وإشباع أخرى ضرورية للنجاح الاجتماعي الذي يتجاوز العمل إلى الزواج الناجح والمشاركة، والنظرة الإيجابية نحو الشباب من الجماعات التي يشارك فيها، سواء كانت من جيله أو من أجيال أكثر أو هما معاً.

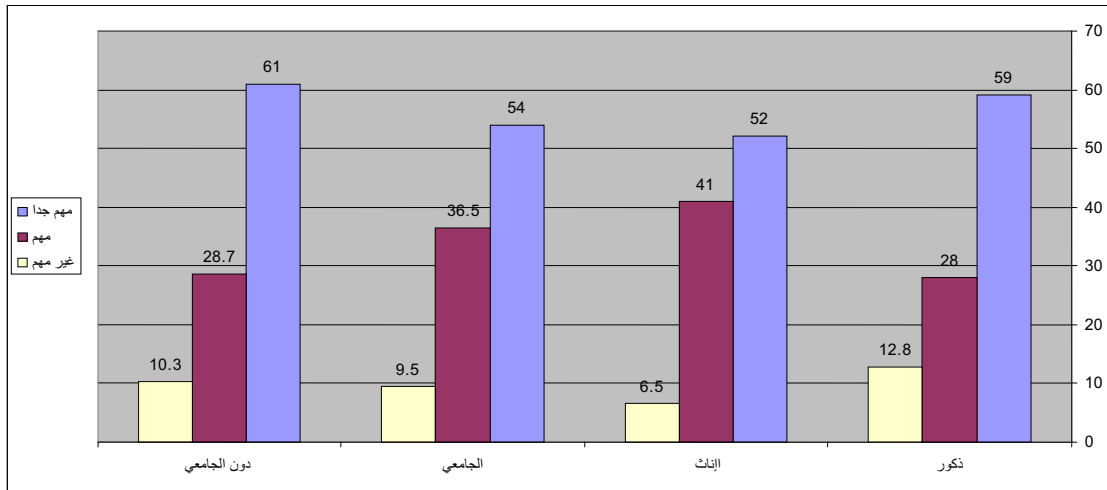
ومع أنه لاتوجد فروق واضحة بين العينتين

فيما يخص هذه الإجابة على أساس التعليم، فإن ثمة فروقاً ظاهرة على أساس النوع حيث ارتفع تفضيل النجاح الاجتماعي لدي الشباب المصريين 80.5% مقابل 66% لدي الشباب المصري. كما بينت العينة التونسية نفس الأمر، حيث ارتفع تفضيل النجاح الاجتماعي لدي الشباب التونسيات 74%، مقابل 63% لدي الشباب التونسي. وتبدو إجابات الشباب في البلدين واقعية ومنطقية، فهي بمثابة رسالة احتجاجية على من يحاصرون قنرات المرأة العربية في المجالات المجتمعية المختلفة، فضلاً عن أنها تكشف في العمق عن معاناة الشباب من فجوة النوع الاجتماعي، فهن يصنفن غالباً في مكانة تالية للشباب، خاصة في سياق السلطة الأبوية العائلية.

ورغم محدودية الفروق بين الشباب المصري في تفضيل الغني المادي أو النجاح الاجتماعي،

أجابت غالبية العينة المصرية 72.6% والعينة التونسية 70.2%- لاحظ تقارب النسب- بأن النجاح الاجتماعي ذو أولوية على الغنى المادي، وهي إجابة تحمل رداً واضحاً على من يصفون الشباب بأن المادة (المال) تسيطر عليه، والكسب السريع أحد أهدافه

شكل بياني رقم 4: أهمية الزواج في العينة المصرية حسب متغيري النوع والتعليم



81.7% في العينة المصرية، فقد أتت الإجابة أكثر ارتفاعاً لدى خريجي الجامعات، حيث بلغت 93.9% لدى خريجي كليات الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، وبنسبة 92.4% لدى خريجي كليات العلوم، فهي جميعاً -النسب- تدل على أهمية الأسرة، وكان من غير المنطقي أن يضع من هم في مراحل التعليم الزواج في اعتبارهم، أو يعطونه أولوية، فثمة أولويات أخرى أكثر أهمية كمواصلة التعليم واستكمالته ثم العمل. كما وجدت فروق حسب النوع، حيث كان الشبان المصريون أقل اهتماماً بالزواج من الشابات. ويبدو هذا عادياً وواقعياً فالشابات في ضوء التقاليد السائدة، يرين الزواج استكمالاً لأدوارهن في الحياة، وربما سعياً للاستقلال عن الأسرة، حيث بينت الحالات التي درست في "تقرير الفتاة العربية المراهقة" أن بعضهن يري في الزواج ابتعاداً ضرورياً عن هيمنة العائلة⁶. أما بالنسبة لبيانات ومعلومات دراسة الحالة التونسية، فلا توجد فروق بين الشبان والشابات، سواء حسب التعليم أو النوع الاجتماعي. وقد يعزى هذه الفروق بين الجنسين في تونس إلى عدة أمور، منها وجود فرص للاعتماد على النفس بدون زواج، أو أن عقبات الزواج أكثر تعقيداً من محفزاته، أو أن الانفتاح القيمي على قيم الحدأة للتونسيين شباناً وشابات أكبر⁷.

هذا، وبينت دراسة مغربية أجريت بمنطقة "دمنات" بالمغرب الأقصى على مائة شاب وشابة (وتقع أعمارهم ما بين 18-33 عاماً، كان الشبان

فإن أبناء المستوى الاجتماعي المنخفض- بحكم محددات هذا المستوى لفرص حياة الشباب- كانوا أكثر تفضيلاً للغني المادي 33.2% مقابل 20% لذوى المستوى الأعلى، وكانوا أقل تفضيلاً للنجاح الاجتماعي 66% مقارنة بأبناء المستويين الآخرين 75%، 78% لأبناء المستوي الأعلى والأوسط على التوالي. وهذه النتيجة تدل على أن ظروف الوجود الاجتماعي - مستوى المعيشة وفرص الحياة- تسهم في تحديد التفضيلات القيميية للشباب كما سبق وطرحنا في الإطار النظري للتقرير الراهن. وتدلل عليه أيضاً دراسة مصرية سابقة حيث أشارت إلى أن أول أسباب السعي إلى ترك العمل كان انخفاض الراتب 39% لدى الشبان و37% لدى الشابات⁵.

ثالثاً- القيم المحددة للزواج والعلاقات الأسرية أهمية الزواج:

لا تزال تلعب الأسرة العربية- جماعة ونظاماً اجتماعياً- دوراً مهماً في حياة الشاب العربي، وكلما انحسرت فرصه على مستوى المجتمع، زاد تعلقه بأسرته (الأب والأم) بسبب البطالة وطول فترة العزوبية. ولأن الزواج هو أساس إقامة الأسرة، فقد ارتفعت نسبة الشباب من العينتين التي رأت أن الزواج مهم بنسبة 90.8% لدى الشباب المصري، وبنسبة 89% لدى الشباب التونسي. وإذا كانت الإجابات قد تباينت البيانات قليلاً على أساس نوع التعليم بين طلاب كليات العلوم الطبيعية 87.8% من المصريين وبين حملة المؤهلات المتوسطة

لا تزال تلعب الأسرة العربية- جماعة ونظاماً اجتماعياً- دوراً مهماً في حياة الشاب العربي، وكلما انحسرت فرصه على مستوى المجتمع، زاد تعلقه بأسرته (الأب والأم) بسبب البطالة وطول فترة العزوبية

كما وجدت فروق حسب النوع، حيث كان الشبان المصريون أقل اهتماماً بالزواج من الشابات. ويبدو هذا عادياً وواقعياً فالشابات في ضوء التقاليد السائدة، يرين الزواج استكمالاً لأدوارهن في الحياة، وربما سعياً للاستقلال عن الأسرة، حيث بينت الحالات التي درست في "تقرير الفتاة العربية المراهقة" أن بعضهن يري في الزواج ابتعاداً ضرورياً عن هيمنة العائلة

بها 65% والشابات 35%، وكان بالعينة 39% ممن تقع أعمارهم ما بين 18-23، و34% ممن تقع أعمارهم ما بين 24-29). أن الزواج قيمة مهمة جداً لدى 46% من العينة، وغير مهمة لدى 23%، وأن الأسرة مهمة جداً لدى 80% من العينة، ورفض 45% أن يتم الزواج في سن مبكرة، وأن الزواج أفضل وسيلة للإستقرار بنسبة 34%. أما الذين لا يفكرون مطلقاً في الزواج لا الآن أو مستقبلاً، فقد بلغت نسبتهم 8% فقط.

- قيم اختيار شريك الحياة

تعكس قيم اختيار شريك الحياة نموذجين متباينين في الاختيار بين العينة المصرية والتونسية. ففي الوقت الذي أتى فيه التدين في مقدمة قيم اختيار شريك لدى الشبان والشابات في مصر، أتى التفاهم في تلك المرتبة الأولى لدى الشبان والشابات من تونس، وأتى من المرتبة الثانية لدى الشباب المصري- شبان وشابات- التفاهم، مقابل الدخل المحترم لدى الشباب التونسي وشابات. وإذا كانت قد ظهرت بعض الفروق الواضحة بين الشبان والشابات في مصر، فهي ليست كذلك بين الشباب التونسي وتهم الإشارة إلي أن أولوية التدين في الحالة المصرية تعكس وضعاً سائداً حول

جدول رقم 2 - يوضح القيم المحددة لاختيار شريك الحياة

البلدان	مصر		تونس	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث
الصفة	24.7	37.2	49	56
التفاهم	3.8	11.2	21	18
عمل محترم	2.6	3.7	12	3
دخل مناسب	7.6	6.5	13	14
تكافؤ التعليم	61.3	41.4	5	8
التدين	100	100	100	100
المجموع				

الوعي الديني في المجتمع المصري نتيجة عوامل متداخلة، في مقدمتها: ضغط الظروف الاقتصادية، تأثر المهاجرين المصريين وأسرهم بالمفاهيم الدينية التي اكتسبوها أثناء الهجرة لبعض الدول العربية. كما عزز هذا افتقاد بعض عناصر الأمان على مستوى بعض الشرائح الاجتماعية، فعندما يفقد المرء الأمان كمواطن (المواطنة) يلجأ إلي حلقات أخرى لضمان هذا الأمان، بدءاً بالقيم الدينية، ثم قيم القبيلة، ثم قيم الأسرة^{9/8}. هذا في الوقت الذي بدافيه الشباب التونسي أكثر واقعية وعملية في قيم اختياره للشريك، وهي قيم تعكس وعياً سوسولوجياً بقيم الحدائة ذات الصلة بضرورات الزواج وبشروط نجاحه، وهو أمر سيتأكد من عرض بيانات شروط الزواج الناجح.

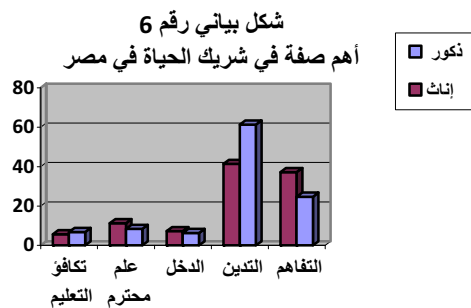
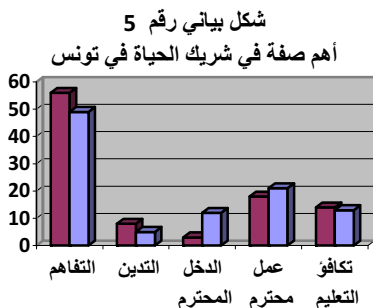
وثمة بيانات أخرى كثيرة تسير في اتجاه البيانات الميدانية التي حصل عليها التقرير الراهن، منها:

- إن الشباب في جيبوتي فضل أن تكون شريكة الحياة من المتعلمات تعليماً جامعياً بنسبة 76.5%، وأن يكون تعليمها الثانوي كحد أدنى بنسبة 14.3%، مقابل تفضيل الشابات أن يكون شريكها جامعياً بنسبة 83.8%¹⁰.

- أما الشباب من الأردن، فكانت القيمة الأولى لديه

تعكس قيم اختيار شريك الحياة نموذجين متباينين في الاختيار بين العينة المصرية والتونسية. ففي الوقت الذي أتى فيه التدين في مقدمة قيم اختيار الشريك لدى الشبان والشابات في مصر، أتى التفاهم في تلك المرتبة الأولى لدى الشبان والشابات من تونس

فعندما يفقد المرء الأمان كمواطن (المواطنة) يلجأ إلي حلقات أخرى لضمان هذا الأمان. بدءاً بالقيم الدينية، ثم قيم القبيلة، ثم قيم الأسرة



على مستوى المجتمع قبل الزواج. ومن الدلالات التي ستنتج من طلب المراهقات أن يكون شريك الحياة ذا شخصية قوية بنسبة 27% رغبتها في الاستقلال عن الأسرة وطلب الأمن والحماية، وفي المقابل يبدو أن المراهقين لا يزال يفضل بعضهم ألا تكون شريكة الحياة ذات شخصية قوية بنسبة 5% فقط، ويعبر هذا عن قيمة تقليدية لاتزال تهتم بسطوة الزوج على الزوجة.

تعيش قيم اختيار شريك الحياة حالة من الاختلاط بين القيم التقليدية وقيم الحداثة، وإن كان التقليدي منها أكثر ارتباطاً بقيم الشبان مقارنة بقيم الشابات.

وبمقارنة بعض بيانات تقرير "الفتاة العربية المراهقة"، خاصة فيما يتعلق بالحالات اللبنانية مع بيانات دراسة التقرير الراهن، سنجد تقاطعات عديدة وبعض المفارقات بين البيانات، منها احتلال قيم التدين والأدب (الأخلاقيات) لمكانة واضحة لدى العينة المصرية، والحالات اللبنانية خاصة لدى الشبان. كما برز- أيضاً- دور التفاهم والحب كأساس للزواج، وهو ما عبرت عنه عينتا التقرير الراهن، وإن تفاوتت النسب بين الشبان والشابات، مما أثر في الأولويات والتفضيلات القيمية للشباب.

القيم المحددة لنجاح الزواج

حقيقة اتفق الشباب المصري والتونسي على التفاهم والحب كأساسين لضمان نجاح الزواج، إلا أن توزع النسب على بقية القيم يعكس حرص

أن يكون لدى شريكة الحياة عمل بنسبة 54.7%، في حين تصدرت قيمة النضج العقلي قيم الشابات عند اختيار لشريك الحياة بنسبة 51%، وتبادلت هاتان الأفضليتان لتأتي كل منها في المرتبة الثانية. حيث كان قيمة النضج العقلي في المرتبة الثانية لدى الشابات، لأنه من البديهي أن ترتبط الشابة بشخص يعمل، وأتى في المرتبة الرابعة القدرة على تدبير مصروفات العائلة بنسبة 35.5% لدى الشباب، يقابلها إتمام التعليم بنسبة 33.5% لدى الشابات وبفارق طفيف عن التفضيل الثالث¹¹.

تشير استخلاصات تقرير الفتاة العربية المراهقة¹² إلى مواقف قيمية من اختيارات شريك/ شريكة الحياة ذات دلالة مهمة، ففي الوقت الذي أتى فيه أن تكون الشريكة مهذبة (مؤدبة) لدى المراهقين بنسبة 79%، في المرتبة الأولى كانت نفس القيمة لدى المراهقات بنسبة 62%، وأتى في المرتبة الثانية لدى المراهقين أن تكون الشريكة متدينة، مقابل أن يكون حسن الطباع لدى المراهقات... وأن تكون من عائلة جيدة لدى المراهقين بنسبة 37%، مقابل أن يكون متديناً لدى المراهقات بنسبة 34%، وأن يكون الشريك متعلماً لدى المراهقين والمراهقات بنسبة 36% و30% على التوالي. ويلفت النظر التأكيد على أهمية الحب عند الاختيار للزواج بنسبة 22% و25% لدى المراهقات والمراهقين بالتوالي. وإذا كانت الفتيات قد أكدن على حسن طبع الشريك بنسبة 35% كما سبقت الإشارة، فهن ينشدن الحاجة إلى معاملة أفضل مما هو سائد معهن الآن، سواء في الأسرة أو

حقيقة اتفق الشباب المصري والتونسي على التفاهم والحب كأساسين لضمان نجاح الزواج، إلا أن توزع النسب على بقية القيم يعكس حرص الشباب- ذكوراً أو إناثاً- على توافر شروط أخرى لضمان هذا النجاح

جدول رقم 3- قيم الزواج الناجح لدى الشباب المصري والتونسي حسب النوع

الصفة	البلدان		مصر		تونس	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
التفاهم والتسامح	42.1	46.5	31	38		
الحب	26.8	21.7	28	36		
التكافؤ الاجتماعي	13.7	12.5	12	5		
التكافؤ التعليمي	2.6	4.4	9	5		
توافر الإمكانيات المادية	9.8	5.6	13	8		
عدم تدخل الأهل	4.5	8.8	2	6		
الحياة الجنسية الهادئة	0.5	0.5	5	2		
المجموع	100	100	100	100		

الشباب ذكوراً أو إناثاً على توافر شروط أخرى لضمان هذا النجاح. ويهم هنا الإشارة إلي أن إجابات الشباب التونسي والمصري قد أظهرت وعياً بشروط أخرى لضمان نجاح الزواج، كالتكافؤ الاجتماعي- من منظورهم- وعدم تدخل الأهل، والرغبة في الحياة الجنسية الهادئة.

جدول رقم 4- قرار اختيار الزوج

البلدان الصفة	مصر		تونس	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث
اختيار فردي	66.4	40.9	61.6	72.3
اختيار جماعي	33.6	56.1	38.4	27.7

49% لصالح الاختيار الفردي لدى الشبان والشابات في الأردن على التوالي. أما عن التفضيلات المرغوبة لدى الشباب الأردني الذي لم يسبق له الزواج، فقد ارتفعت نسبة من يفضلون الاختيار بمفردهم إلي 62.5% على مستوى إجمالي العينة¹³. ووجود بعض الفروق بين المتزوجين وغير المتزوجين في العينة- كليهما

أن الشبان فضلوا الاختيار بأنفسهم بنسبة 80.7%، في حين فضلت الشابات هذا الاختيار بنسبة 57.7%

- الاختيار للزواج بين القرار الفردي والانسري

رغم اتفاق إجمالي عينتي الدراستين على أولوية قيمة الاختيار الفردي لشريك الحياة، يدل على تقارب نسبة هذا التفضيل لدى الشبان من مصر وتونس، وارتفاعها على نحو ملحوظ لدى الشابات التونسيات، فإن توزيع البيانات يكشف عن بعض التباين بين المصريات والتونسيات، وكان الأكثر تفضيلاً للقرار الأسري، هم الأكثر حاجة إلي دعم الأسرة المادي لإتمام إجراءات الزواج.

ينتمي إلي فئة الشباب كما حددها المسح الأردني- فإن هذا يجعلنا نفترض أن الاتجاه نحو القيمة الفردية سيرتفع مع الزمن الآتي.

وذهبت دراسة مصرية حول الشباب الذي لم يسبق لهم الزواج في فئة العمر 18- 29 عاماً إلى أن الشبان يفضلون الاختيار الفردي بنسبة 59%، وبالمشاركة مع الأسرة بنسبة 40%، وفضلت الشابات اختيار شريك حياتهن بمفردهن بنسبة 36%، ومع الأسرة بنسبة 61%¹⁴.

كما وجدت بعض الفروق على أساس المستوى الاجتماعي الاقتصادي في العينة المصرية، فالاختيار الفردي اتجه صعوداً مع ارتفاع هذا المستوى من 49.7% لدى المستوى المنخفض إلي 54.8%، 63.8% لدى المستويين المتوسط والأعلى على التوالي، فمستوى أسرة الشاب يؤثر في تعليمه وعمله ودخله فضلاً عن إمكانية الحوار والنقاش ومقادير من خصوصية الشاب والشابة في المستويات الوسطى والعليا، وخاصة في قرار اختيار شريك الحياة.

ويدلل على هذا الافتراض ما ذهبت إليه بيانات المسح السوري لصحة الأسرة، إلى أن الشبان فضلوا الاختيار بأنفسهم بنسبة 80.7%، في حين فضلت الشابات هذا الاختيار بنسبة 57.7%¹⁵. وإجابات 89.2% من شبان جيبوتي، و78.5% من الشابات أنهم يفضلون اتخاذ قرار اختيار شريك الحياة بمفردهم¹⁶.

- التأويل القيمي للتأخر في الزواج

أجابت غالبية شباب وشابات العينتين المصرية والتونسية، بأن الزواج إحدى القضايا المهمة لدى الشباب، إلا أن الملاحظ- وكما بينت المسوح والدراسات العربية ذات العلاقة- ارتفاع السن عند الزواج الأول لدى الشبان والشابات في الغالبية العظمى من البلدان العربية، وبخاصة في المناطق الحضرية والمدن الكبرى، ولعل السؤال المهم هو: هل هذا التأجيل أو التأخير يحدث اختياراً أو إجباراً؟

إذا جمعنا الصعوبات الاقتصادية وتأخر الاعتماد

إذا جمعنا الصعوبات الاقتصادية وتأخر الاعتماد على النفس باعتبار وحدة المنطق الكامن خلفهما. سنجد أنهما يصلان إلى نسبة 83.9%، 95.8% من بين دواعي تأخر الزواج لدى الشبان والشابات المصريات على التوالي، وإلي 69% و63% لدى الشبان والشابات التونسيات على التوالي.

ويدعم اتجاه بيانات دراستنا ما أتت به دراسات سابقة حول قيم اختيار شريك الحياة لدى المتزوجين ففي المسح الأردني- الذي سبقت الإشارة إليه- أتت إجابات إجمالي عينة الشباب، بنسبة 50% لصالح الإختيار الفردي وبالمشاركة بين الشاب والعائلة بنسبة 37.5% والعائلة فقط بنسبة 11.5%، ويعنى هذا انحسار محدود لقيمة ترك الأمر للأسرة وحدها في قرار الزواج، وتباينت هذه النسب بين الشبان، فكانت بنسبة 54.5%

جدول رقم 5- دواعي تأخر الزواج لدى الشباب المصري والتونسي حسب النوع

تونس		مصر		الشباب دواعي تأخر الزواج
إناث	ذكور	إناث	ذكور	
42	45	81.9	72.8	صعوبات اقتصادية
21	24	13.9	11.1	تأخر الاعتماد على النفس
34	26	3.7	14.9	الاستمتاع بالحياة
3	5	0.5	1.2	أخرى
100	100	100	100	المجموع

المتوسطة، في حين وصلت إلى 75.9% لدى طلاب كليات العلوم الاجتماعية والإنسانية، وكانت النسبة الأعلى 84.1% لدى خريجي هذه الكليات، وقد يرجع هذا إلى نمط الطموح والتطلعات الذي يتأثر بالتعليم. فخريجو الجامعات يتطلعون إلى بيت الزوجية ذي تكاليف مرتفعة مقارنة بحملة المؤهلات المتوسطة، وارتبطت الإجابات- نسبياً- بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي لأسرة الشاب والشابة، فبينما كانت الصعوبات الاقتصادية بنسبة 73.8% لدى أبناء المستوى الاجتماعي والاقتصادي الأعلى، لأن ظروفهم الاقتصادية الأسرية بحكم المستوى الذي يعيشون فيه أقل صعوبة من المستويين الآخرين، ولذلك ارتفعت النسبة إلى 78.2% لدى أبناء المستوى المنخفض، رغم بساطة متطلباتهم لإعداد بيت الزوجية، ووصلت أعلاها 79.6% لدى أبناء المستوى المتوسط الحافل بالطموح والتطلع، وأحياناً تناقص بعض القيم.

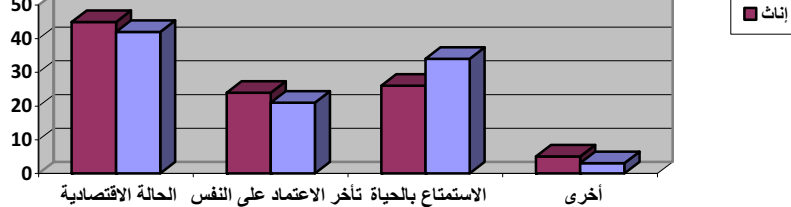
ويوضح الشكلان التاليان أسباب تأخر الزواج في كل من العيّنتين التونسية والمصرية على النحو

على النفس باعتبار وحدة المنطق الكامن خلفهما، سنجد أنهما يصلان إلى نسبة 83.9%، 95.8% من بين دواعي تأخر الزواج لدى الشبان والشابات المصريتين على التوالي، والي 69% و63% لدى الشبان والشابات التونسيات على التوالي، أما بقية البيانات فتدل على بعض التباين بين الشباب التونسي والمصري، فالذين أجابوا بأن تأخر سن الزواج هدفه منه توفير فرص الاستمتاع بالحياة كانوا حوالي ثلث الشابات وربيع الشبان في تونس. وهي إجابات استدعتها النظرة للحياة وفلسفتها القيمية العامة، في الوقت الذي انحسرت فيه هذه الإجابة لدى الشباب المصري، مما يعني إيجاباً نحو قيم الحداثة في العينة التونسية وعلى نحو أكثر وضوحاً عنها في العينة المصرية.

لقد تأثرت الإجابات ذات الصلة بالصعوبات الاقتصادية وتأخر الاعتماد على النفس بالمستوى التعليمي ونوعه بين الشباب المصري. فالصعوبات الاقتصادية كانت بنسبة 68% لدى حملة المؤهلات

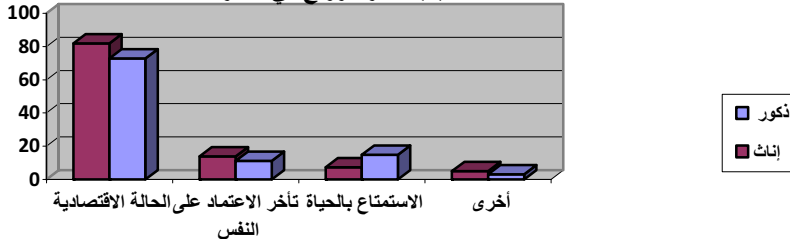
شكل بياني رقم 7

أسباب تأخر الزواج في تونس



شكل بياني رقم 13

أسباب تأخر الزواج في مصر



التالي :

- القيم المحددة للعلاقة بالوالدين: بين الواقع والمرغوب فيه

أجاب 92% و86% من الشباب والشابات التونسيات على التوالي بأنهم راضون عن علاقاتهم بالوالدين، مقابل 87.6% و62.3% لدى الشباب والشابات المصريات على التوالي.

غير أن الإجابات تبرز تباينات بين الشباب المصري، حيث معاناة أقسام منه حوالي الربع من الشباب والثلث من الشابات من سوء المعاملة من قبل الآباء، وإن ظهرت على أساس المستوى الاجتماعي الاقتصادي للأسرة، فأبناء المستوى الأسري المنخفض أقل رضاء عن علاقاتهم بوالديهم مقارنة بالمستويين الآخرين، فبعض أبناء تلك الأسر يلومون آباءهم لأنهم لم يوفرُوا لهم فرص التعليم الأعلى على سبيل المثال، في حين أنه يسود الحوار والنقاش، وقدر واضح من العدالة في التعامل مع الشباب والشابات في المستويين المتوسط والأعلى.

ولقد فضل الشباب من الجنسين ومن البلدين العربيين صفة التفاهم مع الأبناء كأول وأهم صفة من صفات الأب النموذجي بنسبة 34.9%، و26% لدى الشباب المصريين، والتونسيين على التوالي، وبنسبة 44.6% و45% لدى الشابات المصريات والتونسيات على التوالي. وتوضح مقارنات النسب المؤية حاجة ضرورية لدى الشباب في تونس ومصر إلي التفاهم بين الأب والأبناء نتيجة نمط العلاقات الأسرية السائدة، والتي تقوم غالباً على الأمر والنهي، وإن بدا هذا المطلب لدى الشابات أعلى عنه لدى الشباب، وهي إجابة ترتبط بالتميز في المعاملة بين الشباب والشابات، خاصة من قبل الأب العربي، ويعزز هذا أن الصفة الثانية ترتيباً لدى الشباب والشابات في البلدين هي الحاجة إلي الأب الذي يشجع على الحوار مع أبنائه، حيث حازت على نسبة 22.1% و21.4% لدى الشباب والشابات المصريات على التوالي، ومقابل 44% و26% لدى الشباب والشابات التونسيات على التوالي. وإذا كان من فرق يذكر على أساس النوع، فالمصريات والتونسيات كن بحاجة أكثر إلي التفاهم مع الأب، في حين كانت الحاجة إلي الحوار

أكثر لدى الشباب من البلدين.

وتجدر الإشارة إلى أن ثمة بيانات في ثانيا مسح وبحوث أخرى أجريت في بعض البلدان العربية الأخرى، ذهبت إلي أن الأبوين في المسح الأردني- الذي سبقت الإشارة- إليه يبديان أهمية لمشاركة الشباب والشابات في القرارات والمناقشات العائلية، وإن كانت تلك القابلية أقل في الدرجة في حالة الشابات مقارنة بالشباب¹⁷.

أما بالنسبة لرؤية الشباب الأردني والشابات الأردنيات للمشاركة على مستوى الأسرة وفي المجالات الأخرى، فهم يفضلون ذكوراً وإنشاء المشاركة في القرارات الأسرية بنسبة 86.37% لدى الشباب مقابل 89.6% لدى الشابات، وترتفع الرغبة في المشاركة كلما اتجه عمر الشاب إلي الارتفاع، حيث ارتفعت من 77% لدى الفئة العمرية 15-19 عاماً لتصل إلي 95.9% لدى من يقعون في الفئة العمرية 20-25 عاماً. وعندما تقارن هذه الآراء والرغبات بتفضيلات الآباء سنجد بعض التباين الكمي على الأقل¹⁸.

وتكاد توجز دراسة كيفية أجريت على مجموعات من الشباب اللبناني أنه في الوقت الذي تتمركز فيه قيم الأهل في الأسرة- خاصة الأبوين- حول السيطرة والتدخل في تفضيلات حياة الشباب وأدوارهم، وهي وإن كانت تعبر عن قيم الهيمنة على الشباب والخوف عليه في الوقت نفسه، فإن قيم الشباب تتجه نحو الاستقلال عن الأسرة، وأن بعضهم يحوز قيماً معرفية ومعلوماتية جعلتهم- حسب قولهم- أكثر معرفة وخبرة من الآباء حول بعض الأمور. ويكاد يجسد كل هذا بروز قيم الفردية والإحساس بالذات، والقدرة على اتخاذ القرار لدى الشباب، خاصة ما يخص شئونهم كالزواج، لأن قراراتهم- عكس قرارات آباءهم- أكثر اتساقاً مع طموحاتهم المادية والمهنية والاجتماعية المتغيرة مقارنة بما كانت عليه طموحات الآباء¹⁹.

هذا، ويعكس التباين الواضح بين الشابات والشباب العرب في اللجوء لأحد الأبوين عند الحاجة تبايناً في القيم الشبابية ذات الصلة بالتواصل الأسري على أساس النوع الاجتماعي. ففي الوقت الذي تلجأ

فأبناء المستوى الأسري المنخفض أقل رضاء عن علاقاتهم بوالديهم مقارنة بالمستويين الآخرين، فبعض أبناء تلك الأسر يلومون آباءهم لأنهم لم يوفرُوا لهم فرص التعليم الأعلى على سبيل المثال

وتوضح مقارنات النسب المؤية حاجة ضرورية لدى الشباب في تونس ومصر إلي التفاهم بين الأب والأبناء نتيجة نمط العلاقات الأسرية السائدة، والتي تقوم غالباً على الأمر والنهي، وإن بدا هذا المطلب لدى الشابات أعلى عنه لدى الشباب، وهي إجابة ترتبط بالتميز في المعاملة بين الشباب والشابات، خاصة من قبل الأب العربي

ويعكس التباين الواضح بين الشابات والشباب العرب في اللجوء لأحد الأبوين عند الحاجة تبايناً في القيم الشبابية ذات الصلة بالتواصل الأسري على أساس النوع الاجتماعي. ففي الوقت الذي تلجأ فيه الشابات الجزائريات بنسبة 64.6% إلي الأم تلجأ إلي الأب بنسبة لا تتجاوز خمس شابات العينة 17.8%.

ينطلق مشروع تمكين الشباب العربي من أن المشاركة حق أصيل من حقوق الشباب تدعم مفهوم المواطنة وقيمتها. وإذا كان على مؤسسات المجتمع العربي الحكومية ومنظمات المجتمع المدني أن تتيح فرصاً لتفعيل هذا الحق وباطراد، فعلى الشباب أن يعد نفسه، ويأخذ بخيوط المبادرة لجعل هذا الحق فعلاً في الممارسة

فيه الشابات الجزائريات بنسبة 64.6% إلى الأم تلجأ إلى الأب بنسبة لا تتجاوز خمس شابات العينة 17.8%. ويكاد يختلف الحال لدى الشبان في الجزائر، حيث يلجأ منهم إلى الأم 44.3%، في حين أن من يلجأ منهم إلى الأب 43.4%. وتشير بيانات المسح الجزائري حول صحة الأسرة أيضاً إلى تباعد كل من الشابات والشبان- نسبياً- عن الأب، في الوقت الذي تحتل فيه الأم مكانة أكثر مركزية. وقد يخضع هذا إلى خصائص سلطة الأب، ورغبة الشباب في تفاديها والابتعاد عنها، كما قد يرجع إلى غيابه خارج البيت. ويتجه الشباب الجزائري إلى الأخ الأكبر عند الحاجة بنسبة 13.2%، في حين لا يلجئون إلى الأخت الكبرى إلا بنسبة 4.6% فقط. أما الشابات فيلجأن إلى الأخت الكبرى بنسبة 33%، في حين أنهن لا يلجأن إلى الأخ الأكبر إلا بنسبة 8.4% فقط²⁰، وهو ما يعنى حضور بعد النوع الاجتماعي في غير قليل من القيم والعلاقات في الأسر العربية.

ولا يقتصر تأثير التواصل بين الأجيال في الأسرة على بعد النوع الاجتماعي فقط، وإنما يتأثر- أيضاً- بالحالة التعليمية للأبوين، فقد وضحت مراهقات تقرير مركز المرأة العربية للبحوث والتدريب "كوتر" أن أداء الآباء في تواصلهم مع أبنائهم يتسم بالتفهم والقدرة الحوارية لدى المتعلمين منهم أكثر منه لدى الأميين²¹. وهو الأمر الذي أكدته أيضاً مقابلات مع مجموعات بؤرية أجريت على مجموعة من

تفترض نتائج الدراسة الميدانية للتقرير الراهن أن القيم الأسرية لدى الشباب أكثر اتجاهاً نحو تأكيدات الذات الفردية، والرغبة في تحقيق الاستقلال الذاتي، ولا ينفي هذا- على نحو برجماتي- التنازل عن بعض القيم أو إرجائها لصالح القيم الأسرية، كلما كان هذا أكثر تحقيقاً لبعض أهداف الشباب ومصالحه الأمانة.

الشباب اللبناني اشتملت على 28 شاباً، و 21 شابة لبنانية²²

رابعاً - قيم المشاركة السياسية والاجتماعية

ينطلق مشروع تمكين الشباب العربي من أن المشاركة حق أصيل من حقوق الشباب تدعم مفهوم

المواطنة وقيمتها. وإذا كان على مؤسسات المجتمع العربي الحكومية ومنظمات المجتمع المدني أن تتيح فرصاً لتفعيل هذا الحق وباطراد، فعلى الشباب أن يعد نفسه، ويأخذ بخيوط المبادرة لجعل هذا الحق فعلاً في الممارسة، وذلك لأن هذه المبادرة أحد العناصر والركائز الهامة في تمكينه.

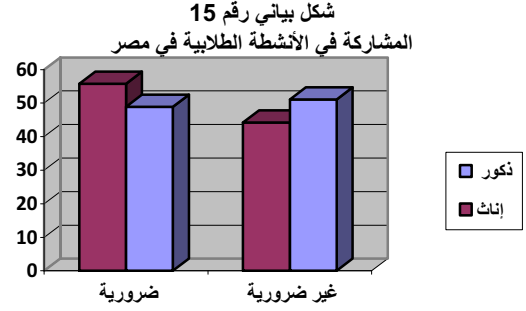
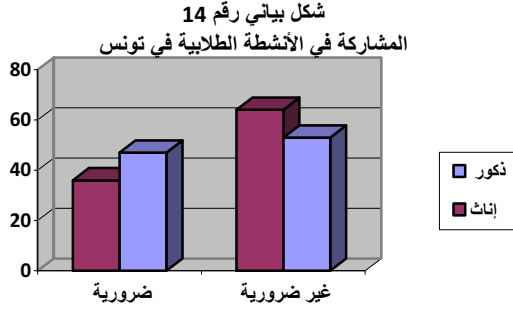
غير أنه توجد بين الوعي بالحق وممارسته الواقعية مجموعة من المتغيرات النوعية الشبابية، التي تطور وعي الشباب بالمشاركة، لتكون قيمة أساسية لديه، تجعله يقدم على الفرص المتاحة منها أياً كان حجمها وكيفية تطويرها، ومن بين هذه المتغيرات النوعية القيم السائدة لدى الشباب بشأن المشاركة وضرورتها وعلاقتها المباشرة باغتنام فرص تمكينه، ومساهمته في تنمية مجتمعه.

وكما وافتنا نتائج بحوث القيم في العلوم الاجتماعية، تتحدد قيم المشاركة بمجموعة متداخلة ومتفاعلة من المعارف والرغبات والعلاقات، خاصة علاقات السلطة والقوة في كثير من مناحي الحياة اليومية للشباب: في الأسرة، وفي المؤسسة التعليمية، ومؤسسات العمل، والإعلام، ومنظمات المجتمع المدني، فضلاً عن تأثرها بخبرات الشباب، سواء كانت خبرات واقعية الموضوعية، المعرفية والثقافية والسياسية والأسرية والطبقي، أو خبراتهم السابقة حول المشاركة.

وإذا كان غير قليل من الدراسات العربية والعالمية قد توصلت إلى أن معظم الشباب يعزفون عن المشاركة²³، فهل تؤكد بيانات دراستنا الراهنة هذا جزئياً أو كلياً، وما القيم الواضحة والكامنة خلف هذا التفضيل القيمي وما يصاحبه من أفعال وسلوك؟

المشاركة: المجالات والموقف القيمي منها:

رأى أكثر من نصف العينة المصرية بقليل أن المشاركة في النشاطات الطلابية ضرورية 52.2% في مقابل 40% لدى الشباب التونسي، كانت نسبة الشابات المصريات اللاتي أكدن ضرورة هذه المشاركة أعلى 55.8% مقابل 48.9% لدى الشبان، ولم يبتعد الشبان التونسيون عن هذا، حيث كانت نسبة موافقتهم على ضرورتها 47% مقابل 36% لدى الشابات.



لقد ذهبت دراسة مصرية سابقة- عن مشاركة الشباب في الأنشطة الطلابية- إلى أن دواعي عدم اقتناع بعض الطلاب بجدواها والعزوف عنها على التوالي: عدم وجود وقت للنشاط الطلابي، والتدخل من قبل سلطات الجامعة والأمن في النشاطات الطلابية

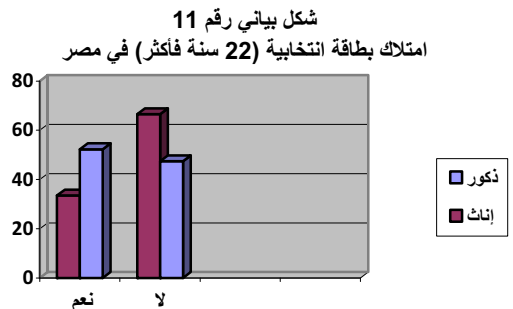
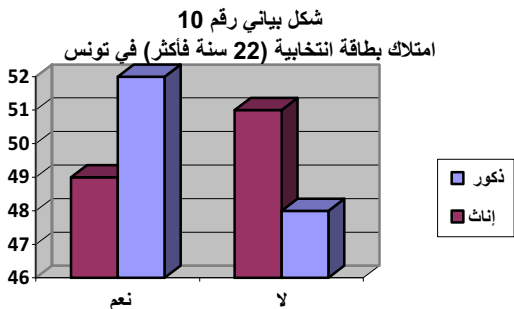
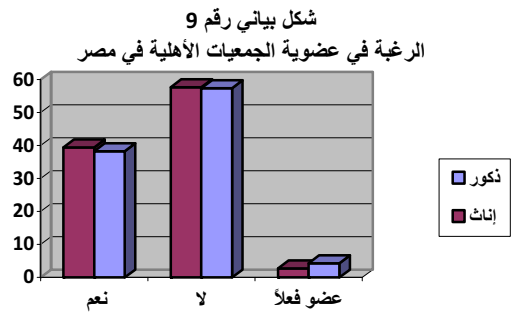
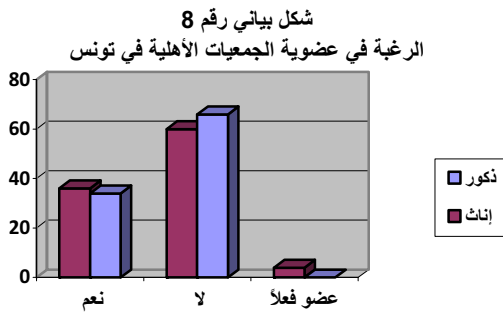
التوالي: عدم وجود وقت للنشاط الطلابي، التدخل من قبل سلطات الجامعة والأمن في النشاطات الطلابية، أن الذي يقبل عليها يتطلع إلى مزايا من أهمها توطيد العلاقة بالأساتذة وإتاحة إمكانات السفر داخل مصر وإلى خارجها²⁴ (ويبرز الشكلان التاليان رؤية كل من أفراد العينة التونسية والمصرية على الترتيب للمشاركة في الأنشطة الطلابية):

- المشاركة في إدارة الجمعيات الأهلية

عبر 57.1% من المصريين، و62.4% من التونسيين عن عدم رغبتهم في عضوية الجمعيات الأهلية، ولا توجد فروق بين الشبان المصريين 57.4% والشابات 57.7% من مصر، في حين كان رفض الشبان من تونس بنسبة 66% ولدى

وربما تعكس هذه الإجابات- خاصة لدى الشابات المصريات- أن هذا النشاط هو المتاح أكثر، لأنه يتم داخل إطار المؤسسة التعليمية وبدون معوقات أسرية ومجتمعية، في حين أن الشابات التونسيات كانت إجابتهن أقل نسبة نظراً للخبرات غير المواتية ذات الصلة. وكان خريجو كليات العلوم الاجتماعية والإنسانية، وكليات العلوم هم الأكثر موافقة على ضرورة المشاركة في هذا النشاط بين الشبان والشابات من مصر 65.9% و60.8% على التوالي.

لقد ذهبت دراسة مصرية سابقة- عن مشاركة الشباب في الأنشطة الطلابية- إلى أن دواعي عدم اقتناع بعض الطلاب بجدواها والعزوف عنها على



يكاد يجمع شباب عينتي الدراسة على عدم تطلعهم أو تمنيتهم أن يكونوا أعضاء في المجلس النيابية... رغم بريق الموقع، فهل هذا الرفض احتجاج أم نتيجة وجود عقبات ومصاعب كثيرة في سبيله؟

ولم يثمن ثلثا كلتا عينتي الدراسة أن يكونوا أعضاء في المجلس النيابي، ولا توجد أية فروق بين الشباب على أساس التعليم في العينتين ولا على أساس النوع في العينة التونسية، ولا على أساس المستوى الاجتماعي والاقتصادي في العينة المصرية، وإن وجدت فروق وفقاً لهذا المتغير بين الشبان المصريين 63% والشابات المصريات 74%.

يشارك 43.6% من إجمالي العينة المصرية في الانتخابات النيابية والمحلية، وبنسبة 50.2% لدى الشبان و36.3% لدى الشباب وبنسبة 33.7% من شبان العينة التونسية، ومقابل 22% لدى الشباب.

وتعكس النتائج المرتبطة بمتغير النوع وضعية المرأة في المجتمع العربي، فالقيم السائدة تكاد تحجب عنها هذا الدور والتي تكاد تقصره على الرجل، ويدل على هذا أن نسبة حيازة المرأة العربية لمقاعد في البرلمان لم تتجاوز 8.7% مع المستوى الإجمالي للبلدان العربية في عام 2007، كان أبناء المستوى الاجتماعي الاقتصادي شاباناً وشابات في العينة المصرية مشغولين بهوموم العمل وكسب العيش أكثر من اهتمامهم بالمشاركة²⁸.

أما عن أهم أسباب ومبررات من يفضلون المشاركة في الانتخابات البرلمانية في عينتي الدراسة

اتفق الشباب المصري على أن أول القيم المحددة لمشاركتهم في هذه الانتخابات هي التعبير عن الذات،

الشابات بنسبة 60%. وتأثرت إجابات الشباب المصري بجالتهم التعليمية، فالرافضون بنسب أكبر كانوا من بين الحاصلين على مؤهلات فنية متوسطة 65.4%، وقد يرجع هذا إلى عدم وجود وقت لديهم، أو أنهم لا يثقون في قدراتهم على الإدارة، يليهم خريجو كليات العلوم الطبيعية. ولم تظهر فروق إحصائية ذات دلالة وفق المستوى الاجتماعي الاقتصادي. ورغم غلبة هذا التفضيل القيمي الرفض، فإنه لا ينفي اتجاه الشباب العربي إلى الانخراط كاعضاء متطوعين في الجمعيات الأهلية²⁵، كما ذهبت بعض الدراسات.

ليس لدى الشباب التونسي بطاقة انتخابية بنسبة 71.7% وبدون فروق بين الذكور والإناث، رغم أن أكثر من 80% من عينة الدراسة التونسية في الفئة العمرية 22 عاماً فأكثر مقابل عدم وجود هذه البطاقة بنسبة 56.7% لدى المصريين، أن كل العينة المصرية أكثر من 18 عاماً.

ويدعم الاتجاه العام لهذه النتائج نتائج دراسة مسحية بالعينة أجرتها وزارة الشباب بمصر على سبعة آلاف شاب وشابة، حيث من نتائجها، أن حوالي ثلاثة أرباع العينة ليس لديه بطاقة انتخابية²⁶.

هل يفوض الشباب العربي- كالأجيال السابقة- السلطات المسؤولة لتتوب عنه في عملية الانتخابات؟ أم أنه لا يثق في نتائجها، فيعزف عنها بدءاً من عدم الاهتمام بالحصول على بطاقة انتخابية؟

وبينت دراسات سابقة في بعض البلدان العربية أن الشباب العربي أقل ميلاً إلى المشاركة في العمل السياسي المنظم، خاصة الانتخابات، لعدم الثقة في إجراءاتها، وعدم الثقة أيضاً في المرشحين والفائزين فيها²⁷.

جدول رقم 6 - قيم المشاركة في الانتخابات البرلمانية لدى الشباب المصري التونسي

تونس	مصر	
51%	18%	المشاركة حق
25%	44.3%	التعبير عن الذات
20%	7.3%	المساهمة في العمل العام
4%	30.4%	تحقيق الأمن النفسي

وبينت دراسات سابقة في بعض البلدان العربية أن الشباب العربي أقل ميلاً إلى المشاركة في العمل السياسي المنظم، خاصة الانتخابات، لعدم الثقة في إجراءاتها، وعدم الثقة أيضاً في المرشحين والفائزين فيها

وتعكس النتائج المرتبطة بمتغير النوع وضعية المرأة في المجتمع العربي، فالقيم السائدة تكاد تحجب عنها هذا الدور والتي تكاد تقصره على الرجل، ويدل على هذا أن نسبة حيازة المرأة العربية لمقاعد في البرلمان لم تتجاوز 8.7%

جدول رقم 7 يوضح القيم المحددة لمدرجات المشاركة السياسية لدى الشباب المصري والتونسي حسب النوع

أسباب الرفض	مصر		تونس	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث
عدم الثقة في المشاركة السياسية	50.2%	44.7%	29%	26%
عدم المعرفة بأساليب المشاركة	6.4%	13.5%	20%	28%
عدم وجود فرص للمشاركة	12.7%	17.2%	15%	20%
غياب مهارات المشاركة	9.4%	4.2%	6%	12%
ممانعة الأسرة	3%	3.7%	8%	2%
لوجود مخاطر في المشاركة	18.3%	16.7%	12%	12%
المجموع	100	100	100	100

ويقابلها لدى الشباب التونسي اعتبار المشاركة حقاً من حقوق الشباب، وأتى في المرتبة الثامنة بعد ذلك لدى الشباب المصري تحقيق الأمن النفسي- فالمشاركة تمثل حماية لجماعات الشباب ودعماً لأفعاله- وقابل هذا الترتيب لدى الشباب التونسي المساهمة في العمل العام. لقد عبر الشباب التونسي عن القيم- والمصالح- المجتمعية العامة على الخاصة.. عكس الشباب المصري الذي اعتبر المشاركة دعماً وحماية له.

وأما فيما يتعلق بأسباب رفض المشاركة في الانتخابات البرلمانية (إذا استبعدنا من ليس لديه بطاقة انتخابية) وهم الغالبية: ثلاثة أرباع العينة في الحالة التونسية، أكثر من النصف بقليل في العينة المصرية، فإن عدم توافر الوقت وعدم الثقة في الانتخابات احتلت مكان الأولوية لدى العينة المصرية والتونسية على التوالي.

ترى العينة أن قرناءهم من الشباب لا يثقون في المشاركة السياسية من منظور الشباب في مصر

وتونس والشابات المصريات، في حين تصدر عدم معرفة الشباب ونقص معلومات حول المشاركة أول المدرجات من منظور الشابات التونسيات، وأتى في المرتبة الثانية وجود مخاطر من المشاركة لدى الشباب المصري، مقابل عدم وجود فرص للمشاركة لدى الشابات المصرية، وأتت عدم المعرفة بالمشاركة في المرتبة الثانية لدى الشباب التونسي، مقابل عدم الثقة في المشاركة لدى التونسيات. وتوغل بياني الإجابات بين الشباب والشابات على تأثير الواقع المجتمعي على رؤية الشابات لمدرجات المشاركة خاصة فرصها، والتي هي بالتأكيد أقل إتاحة لديهن مقارنة بالشباب نسبياً.

خامساً- القيم الدينية

الدين إحدى أهم ركائز الثقافة العربية، ويتغلغل- على المستوى اليومي- في كل أبعاد الحياة اليومية للإنسان العربي، وعبر جل دورة حياته، من الميلاد، مروراً بالزواج والإنجاب، وحتى بقية

جدول رقم 8 تجميعي يوضح بعض مظاهر القيم الدينية بين الشباب المصري والتونسي على مستوى إجمالي عينتي الدراستين

مصر %	تونس %
18	7.3
48.4	10.5
18.7	3
51.8	3
56	52
61.6	12.5
74.7	33.2
21.8	12.5
22	23.9

تم جمع الإجابات من عدة أسئلة بالاستبيان لارتباطها ببعض المواقف ذات العلاقة بالقيم الدينية لدى شباب العينتين.

ولم تتخلف بيانات الدراسة الميدانية عن ذلك، فقد تبين تقاطع القيم الدينية مع الكثير من اختيارات الشباب وتفضيلاته، وإن تفاوت وجودها الكمي بين الشبان والشابات وحسب التعليم والمستويات الاجتماعية والاقتصادية لأسر الشباب

مراحل حياته. ولم تتخلف بيانات الدراسة الميدانية عن ذلك، فقد تبين تقاطع القيم الدينية مع الكثير من اختيارات الشباب وتفضيلاته، وإن تفاوت وجودها الكمي بين الشبان والشابات وحسب التعليم والمستويات الاجتماعية والاقتصادية لأسر الشباب:

لعل أهم ما تفيدها به بيانات الجدول-أولاً- إتفاق العينتين- المصرية والتونسية- على تصدر الاتساق بين القول والفعل كصفة أساسية في الشاب المتدين متقدمة على مظاهر السلوك الواضحة، كالصلاة والصوم و التبرع لدور العبادة بالمال، وهو أمر يعني رؤية نوعية لدى الشباب قبل المظهر، وإذا كان تبين- ثانياً- حضور القيم الدينية على نحو أكثر وضوحاً لدى المصريين.. فهي ناتجة عن سياق أنتج وعياً دينياً عمقه الفضائيات المصرية والدعاة الجدد، بجانب ظروف مجتمعية وسياسية لعبت فيها التيارات الدينية دوراً بارزاً في سياق انحسار أدوار الأحزاب المدنية²⁹.

ويدل على هذا مايلي:

أتت صفة التدين في الترتيب الأول لصفات المثل الأعلى في الحياة لدى الشباب المصري وبنسبة 48.4% على مستوى إجمالي العينة، وبفارق ملحوظ عن الصفة الثانية، التي تقول إن المثل الأعلى هو "الأكثر تعليماً" وبنسبة 26.7%. وكان الدارسون للتخصصات في العلوم الطبيعية- سواء من الخريجين بنسبة 53.2% أو الطلاب بنسبة 52.7%- هم أكثر الشباب اختياراً لهذه الصفة، أتى بعدهم خريجو الدبلومات المتوسطة (46.3%)، وأخيراً طلاب كليات الإنسانيات والعلوم الاجتماعية 45.6%. ويمكن الإشارة- هنا- إلي أن تخصصات الإنسانيات والعلوم الاجتماعية أكثر ارتباطاً بالفلسفة وبالنظريات الوضعية، وبالتفسير العلمي لواقع الإنسان مقارنة بدراسات العلوم الطبيعية التي تزايد بها في مصر في الأونة الأخير، فمعظم رموز التيار الديني من خريجي الطب والهندسة³⁰. كما اختارت الشابات المتدين كشريك في الحياة بنسبة 54.9% مقارنة بالشبان 42.6%، وكان اختيار المتدين كمثل أعلى بنسبة أكبر لدى ذوى المستوى الاجتماعي الاقتصادي المتوسط 52%، ثم المنخفض 49.7%،

فأبناء المستوى المنخفض أكثر ميلاً في تفسير ماهم عليه بالقسمة والنصيب والقدر المحتوم

وأخيراً لدى من هم في المستوى الأسري الأعلى بنسبة 31.5%. وترتبط هذه الإجابات بالوضعية الثقافية (والقيمية) لكل مستوى، فأبناء المستوى المنخفض أكثر ميلاً في تفسير ماهم عليه بالقسمة والنصيب والقدر المحتوم³¹، وأما أواسط الناس فهم غالباً ما يجمعون بين صفات متعددة يكون التدين واحداً منها. ولم تلعب القيم الدينية دوراً واضحاً لدى الشباب التونسي في تحديد صفات المثل الأعلى، إذا أتت في المرتبة الثالثة وبنسبة منخفضة 10.5% من إجمالي العينة. ولاتشير بيانات العينة التونسية إلى فروق واضحة في ضوء متغيراتها لنسبة لدى الشباب، فصفاة التدين لدى الشباب الجامعي التونسي 4.6%، في مقابل 7% لدى من هم دون المستوى الجامعي، حيث كانت نسبة 12% لدى من هم أكبر من 22 عاماً، مقابل 10% فقط كانت لدى من هم دون هذا العمر.

أتى التدين في المرتبة الثانية من بين أهم صفات الشاب الناجح 18.7% على مستوى إجمالي العينة المصرية وبفارق اثنتي عشرة نقطة مئوية عن الصفة الأولى في الترتيب، وهي الشاب المعتمد على ذاته 30.7%. كما لوحظ- أيضاً- فرق كمي على أساس النوع الاجتماعي، حيث كان تفضيل الشبان في مصر للتدين كصفة من صفات الشاب الناجح بنسبة 22.1% مقابل 14.9% لدى الشابات المصريات. وبالنسبة للتدين كصفة من صفات الشاب الناجح لدى العينة التونسية، فقد احتلت المرتبة السابعة والأخيرة وبنسبة 3% فقط من إجمالي العينة، وبدون فروق واضحة بين الشبان والشابات أو الحالة التعليمية، حيث يبدو أن السياق المجتمعي الذي تسوده قيم الحداثة كان أكثر واقعية في اختيار محددات النجاح ومتطلباته.

كان الإجماع أكبر على اعتبار الحجاب ضرورة للمرأة بنسبة 74.7% في العينة المصرية، وكانت الفروق محدودة في علاقتها بالتعليم، حيث كانت لدى طلاب الكليات العلمية والعملية وبنسبة 82.4%، ثم خريجي الكليات النظرية 74%، ثم حملة المؤهلات الفنية المتوسطة الدبلوم 72.8%، وأخيراً طلاب كليات الإنسانيات والعلوم الاجتماعية 65.8%. ولم نلاحظ فروقاً بين الشباب حسب المستويات

الاجتماعية في هذه الإجابة، حيث أتت النسبة في المستوى المنخفض 78.2%، فالمتوسط 74%، وقد اختلف الشباب التونسي اختلافاً واضحاً عن الشباب المصري فيما يتعلق بموقفه من الحجاب، فتلت العينة التونسية 33.2% فقط رأته ضرورة للمرأة.

أتى التبرع بالمال- إذ وجد- لصالح الفقراء، وبنسبة شارفت على ثلثي إجمالي العينة المصرية 61.6% ووافق على هذا المتوسطون- في المستوى- بنسبة 64.4%، يليهم ذوو المستوى المرتفع 63.6%، مقابل 59.6% لدى ذوى المستوى المنخفض، وجاء التبرع لدور العبادة في المرتبة الثانية 21.8% وهو يمثل ثلث الإجابة السابقة، وكانت الإجابة الأعلى لدى ذوى المستوى المنخفض 27.8%، مقارنة بذوي المستوى الأعلى 18.8%، ثم المستوى المتوسط 16.4%، وابتعد الشباب التونسي في مسلك تبرعه بالمال لدور العبادة عن العينة المصرية حيث أتى لديهم بنسبة 12.5% فقط.

والذى تجدر الإشارة إليه بشأن وضعية القيم الدينية لدى العينتين المصرية والتونسية، أننا هنا بصدد دراسة للوعي الديني، كما هو لدى الشباب وكما تشكل من مصادر مختلفة: من الأسرة حسب حالتها التعليمية والاقتصادية، ومن المؤسسة التعليمية، ومن الثقافة السائدة. ومع أن القيم الدينية كانت متقاطعة مع الكثير من تفضيلات الشباب و الشابات من العينتين، وإن كانت أكثر حضوراً في العينة المصرية، فقد أتى هذا نتيجة لحالة الوعي الديني العام السائدة في مصر، وهو ليس بالضرورة وعياً حقيقياً، لأنه حافل بالغيبيات والفتاوي، حيث توسع نشاطات القيادات الدينية والفضائيات، ولجوء الشباب إلي التدين في مواجهة الاغتراب المجتمعي، وانسداد آفاق الحراك أمام شرائح كبيرة من الشباب المصري، في حين

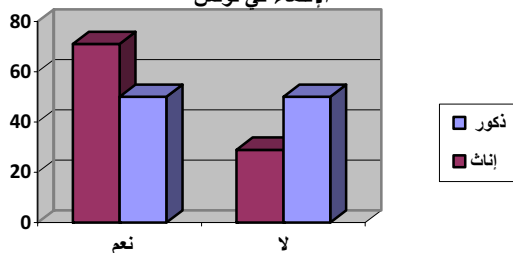
أن الشباب التونسي كان أكثر إدراكاً لضرورات الحياة والتعامل معها بشكل واقعي وشبه علمي، لأنه يضع معظم القيم في المواقف السابقة في مواضعها الواقعية، فالنجاح في الحياة والمثل الأعلى ونجاح الزواج تتحدد بأمر أخرى، مما يجعلنا نذهب إلي أن مظاهر القيم الدينية لدى الشباب المصري تجعله أكثر تقليدية ومحافظاً إجمالاً، في حين أن الشباب التونسي كان أكثر نزوعاً نحو الحداثة ومابعدھا.

سادساً- قيم الانتماء: الرصد والتقييم

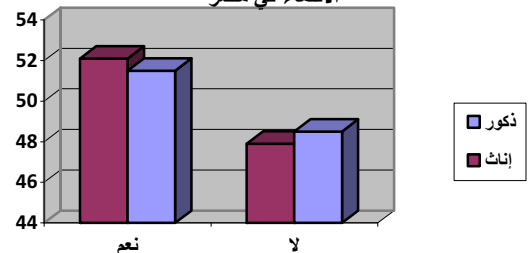
تستدعي قضية الانتماء قضايا الهوية الوطنية والحضارية لدى الشباب العربي. فالبعض رأى أن الشباب يعيش أزمة هوية نتيجة لتعرضه لبدائل ثقافية أخرى، وفي الوقت نفسه، يعيش إحباطاً في الواقع المعاش، مما أثر في حالة انتمائه وصراعه بشأنها. وثمة مؤشرات غير قليلة تدل على هذا، فالشابات العربيات لم يلجأن إلى الحجاب كعادة اجتماعية فقط، كما كان الحال منذ أزمان خلت، بل تحول إلي رمز حضاري وسياسي وثقافي وأيديولوجي في الوقت نفسه³². مع ملاحظة أن الحجاب نفسه أخذ أنماطاً وأشكالاً ومظاهر متنوعة، وأضحى- في بعض الحالات- يحمل شكلاً متناقضاً مع بقية ملابس الشابة.

لقد أتت إجابات المصريين على سؤال: هل ترى أن الشباب أكثر انتماء لوطنه متقاربة بين الإيجاب 51.8% والنفي 48.2%، في حين وضحت إجابة الشباب التونسي أن 62% ينتمي لبلده. وإذ كنا لم نجد فرقا بين الشبان والشابات في مصر 51.5% و 52.1% على التوالي، فقد كان الفرق أكثر وضوحاً في العينة التونسية 50%، 71% لدى الشبان والشابات على التوالي، ويمكن تبين هذا من خلال الشكلين التاليين:

شكل بياني رقم 12
الانتماء في تونس



شكل بياني رقم 13
الانتماء في مصر



الذي يتجاوز به إحباطاته، وحدوده الوطنية إلى محيطه العربي الأكبر.

سابعاً- قيم الهجرة: اختيار لمواجهة التحديات

وافق أكثر من نصف العينة المصرية بقليل 55.6%، مقابل 35% من الشباب التونسي على خيار الهجرة كبديل عملي لمواجهة التحديات والصعوبات التي يلاقيها الشباب في كل من مصر وتونس، وكانت الهجرة إلى البلدان العربية هي أولى الاختيارات لدى الشباب المصري 57.1% يقابلها 53.1% كأولوية لدى الشباب التونسي الذي أتت رغبته الأولى في الهجرة إلى أوروبا. وتفيد الإجابات بأن الهجرة لا تزال اختياراً في مواجهة صعوبات تحقيق طموحات العمل والعائد المادي، ومن ثم يتطلع الشباب إلى الهجرة النظامية إن وجدت، والهجرة غير النظامية عبر قوارب الموت عبر البحر المتوسط، في حالة تعذر الهجرة النظامية، وهذا اختيار لجأ إليه بعض الشباب في مواجهة انسداد أفق الفرص في بلده، على نحو لا يخلو من درامية.. ويلاحظ في هذا السياق أن وجهة تيارات الهجرة من البلدين تكاد تسير في الاتجاهات التقليدية لتيارات الهجرة، العربية الخارجية، حيث ينتقل معظم المصريين المهاجرين منذ القرن الماضي إلى بلدان الخليج العربي، في حين كانت التيارات التقليدية للهجرة التونسية ومن بلدان المغرب العربي إلى الدول الأوروبية.³⁵ وتبين الأشكال الأربعة التالية موقف الباحثين في كل من تونس ومصر من الهجرة خارج بلديهما:

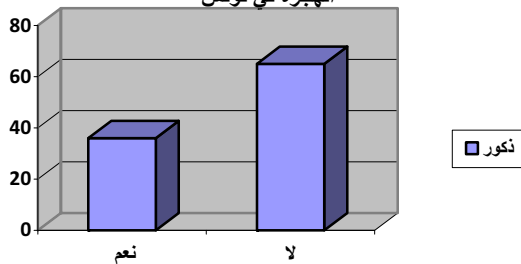
ورغم عدم توافر بيانات ومعلومات موثوقة حول الانتماء الوطني للشباب العربي، وعدم وضوح المفاهيم المستخدمة والتباسها وتداخلها، فإنه في حدود المتاح منها- استخلصت الاستشارات الشبابية في تونس أن الشباب أكثر انتماءً³³.

وتثار أسئلة معرفية وواقعية حول إجابات الشباب في هذا الشأن، فالانتماء- في بعض جوانبه - هو حصاد لعلاقات الشباب بالآخرين، في الأسرة والمؤسسة التعليمية ومؤسسات المشاركة، وحالة الفرص المتاحة أمامهم في المجتمع. وكما تفيد بيانات الإطار الاستراتيجي لتطوير سياسات الشباب في البلدان العربية الذي أعدته إدارة السياسات السكانية والهجرة ضمن نشاطات مشروع تمكين الشباب العربي³⁴، فإن الشباب العربي يواجه تحديات كبيرة ومتعددة ومتنوعة، في التعليم والبطالة والصحة. وفي هذا السياق، ولكي نتفهم إجابات الشباب المصري والتونسي في هذا الإطار، ينبغي عقد مقارنة للظروف المجتمعية لكل منهما: معدل القراءة والكتابة لدى الشباب المصري 73.2% مقابل 94.3% لدى التونسي، ونسبة البطالة بين الشباب المتعلم تعليماً أعلى من الثانوي 9.7% في مصر، مقابل 6.4% في تونس حسب بيانات 1997-1998 في البلدين على التوالي. ومقياس الفقر البشري في مصر 31.7% مقابل 19.9% في تونس، ولهذا كان اتجاه الشباب المصري في العينة إلى الهجرة أعلى مقارنة بالشباب التونسي كما سيتضح فيما يلي من سطور. وكما زادت إحباطات الشباب وتنوعت، كان إحساسه بالغبن من بلده أكثر، غير أنه عندما تأتي أحداث ومواقف وطنية أو عربية، تجد الشباب وقد عبر عن انتمائه

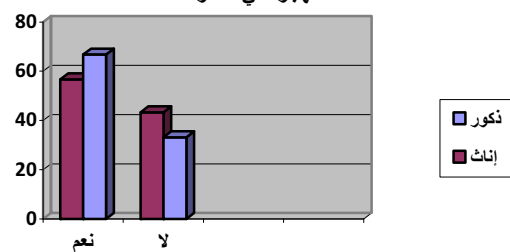
وكما زادت إحباطات الشباب وتنوعت، كان إحساسه بالغبن من بلده أكثر، غير أنه عندما تأتي أحداث ومواقف وطنية أو عربية، تجد الشباب وقد عبر عن انتمائه الذي يتجاوز به إحباطاته، وحدوده الوطنية إلى محيطه العربي الأكبر.

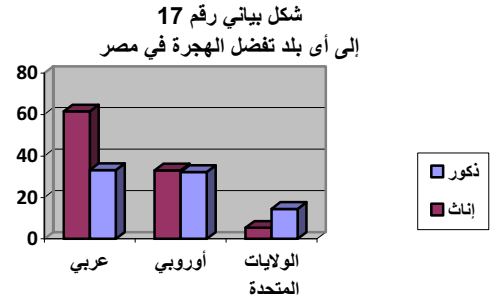
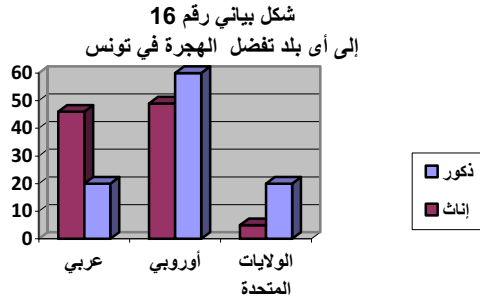
وتفيد الإجابات بأن الهجرة لا تزال اختياراً في مواجهة صعوبات تحقيق طموحات العمل والعائد المادي، ومن ثم يتطلع الشباب إلى الهجرة النظامية إن وجدت، والهجرة غير النظامية عبر قوارب الموت عبر البحر المتوسط، في حالة تعذر الهجرة النظامية. وهذا اختيار لجأ إليه بعض الشباب في مواجهة انسداد أفق الفرص في بلده، على نحو لا يخلو من درامية

شكل بياني رقم 14
الهجرة في تونس



شكل بياني رقم 15
الهجرة في مصر





أن جيل الشباب يدرك أنه أكثر تعليماً ومعرفة وانفتاحاً على العوالم المحيطة والتعامل مع تقنيات العولمة. مقارنة بالأجيال السابقة.

إذا كانت البيانات السابقة تشير إلى بعض الالتقاء والتقارب بين الشباب المصري والتونسي في بعض مظاهر ومؤشرات الاتجاه نحو الاستقلال، خاصة في القرارات المصرية كالزواج الذي حظى الاختبار الفردي فيه بالمرتبة الأولى في حالتى الدراسة (مصر، تونس) وتقاربت نسبتهما أيضاً، فإن ثمة إلتقاء آخر فى اعتبار الاعتماد على الذات من أهم صفات الشاب الناجح، كما حظى العمل للحساب الخاص على المرتبة الثانية من بين متغيرات تفضيلات قطاعات العمل كما سبقت الإشارة. هذا، وتعبّر الإجابات السابقة عن نزوع الشباب نحو الاستقلال والتحرر من علاقات العمل الرسمية، سواء فى القطاع الحكومي، أو فى القطاع الخاص.

بيانات السابقة تشير إلى بعض الالتقاء والتقارب بين الشباب المصري والتونسي في بعض مظاهر ومؤشرات الاتجاه نحو الاستقلال، خاصة في القرارات المصرية

ومع هذا، فقد تفاوتت النسب على مستوى حالتى الدراسة فيما يخص بعض المؤشرات، فالتعبير عن الذات كدافع للمشاركة كان لدى الشباب المصري بنسبة 44.2%، فى حين ارتفعت نسبة تأخر الزواج للاستمتاع بالحياة، ربما خشية تحمل الأعباء الأسرية، وربما رغبة فى الحرية الفردية، وربما هما معاً لدى الشباب التونسي لتصل لقرابة ثلث العينة 30%، فى حين انخفضت النسبة لدى الشباب المصري

ثامناً- قيم الاستقلالية

من بين أهم المحددات السوسولوجية لمرحلة الشباب تحقيق مقادير مناسبة حسب المرحلة العمرية- من الاعتماد على الذات كمقدمة للاستقلال عن بعض العلاقات والأوامر المفروضة، والتي قد لا يراها الشباب ملائمة لمرحلته العمرية أو لتحقيق مستقبله المرغوب فيه، خاصة وأن جيل الشباب يدرك أنه أكثر تعليماً ومعرفة وانفتاحاً على العوالم المحيطة والتعامل مع تقنيات العولمة، مقارنة بالأجيال السابقة. ومن الطبيعي أن تكون أول رسائل الاستقلال هى تلك التي تتوجه إلى الأسرة على نحو مباشر غالباً وغير مباشر أحياناً. ولأن الاستقلال يتضمن- بالضرورة- ممارسة الحق الفردي في اتخاذ بعض القرارات، فإنه يصعب الفصل بين قيمة الاستقلال وقيمة الحرية في معظم مواقف الحياة اليومية، سواء المتكررة منها أو المؤقتة التي تظهر في مناسبات تتكرر كل فترة- انتخابات- أو قد لا تتكرر ربما إلا مرة واحدة كما هو الحال بالنسبة لقرار الزواج.

بعض التفضيلات الدالة على قيمة الاستقلال لدى الشباب المصري والتونسي :

جدول رقم 9 تجميعي يوضح بعض المؤشرات والمظاهر الدالة على التوجه نحو الاستقلال لدى إجمالي عينتي الشباب المصري والتونسي

التفضيل	مصر	التونسي	اجمالي التفضيلات
التعليم الجيد هو الذي ينمي الشخص	30.4	32	الثالث 4
الجلوس مع الأسرة في وقت الفراغ	27	23	الثاني 7
قرار الزواج فردي	54.2	66.2	الأول 2
العمل لحسابه الخاص	51.3	28.8	الثاني 3
الاعتماد على الذات كصفة في النجاح	30.7	50.2	الأول 7
التعبير عن الذات كسبب للمشاركة في الانتخابات العامة	44.2	25	الثاني 4
تأخر الزواج للاستمتاع بالحياة	9.6	30	الثاني 4

الشبان، لوجود قيم ثقافية لاتزال ترفض أن تكون الشابة صاحبة عمل وتديره وتستخدم عمالاً. وبالطبع كان أبناء المستويات الأعلى من المصريين هم الأكثر تفضيلاً للعمل لحسابهن الخاص، نتيجة لوجود إمكانات مادية أسرية تسمح لهم بهذا، حيث بلغت نسبتهم 33.8% مقابل 29% فقط لدى من هم من ذوى المستوى المنخفض.

أما بالنسبة لتفضيل الاعتماد على النفس كصفة أساسية من صفات الشاب الناجح، والتي تؤثر على أحد مظاهر السعي نحو الاستقلال، فقد احتلت المرتبة الأولى في الترتيب في الحالتين المصرية والتونسية، وتأثرت الإجابة في الحالة المصرية بمستوى التعليم (مرحلته) ونوعيته، حيث أتت أعلى النسب لدى طلاب الكليات النظرية (بعض من الحلم المستقبلي) 40.8% وأدناها لدى خريجي المعاهد المتوسطة 22.8%، وكانت نسبة الشابات المصريات 35.8%، وهى نسبة أكبر عن مثيلاتها لدى الشباب 25.4%، وهو أمر تفرضه مفردات وجودهم الاجتماعي وإحساسهن بالتمييز السلبي ضدهم من قبل ثقافة المجتمع ذات الطابع الذكوري الأبوي، وكانت النسبة الأدنى لدى ذوى المستوى المنخفض 30%، وهو أمر حددته- أيضاً- الامكانيات المتاحة لهم نتيجة للمستوى الاقتصادي لأسرهم.

أما بالنسبة للعيينة التونسية، فلم تظهر فروق واضحة بالنسبة للتعليم أو العمر، وإن وجدت في حالة النوع حيث فضلت الشابات هذه الإجابة بنسبة 57% مقابل 43% لدى الشباب التونسي..

إلى 9.6% فقط. وأيا كانت الملبسات فالإجابة تعكس خصائص الشباب (التاريخ الذاتي) وعناصر طريقة الحياة وتوجهاتها لدى الشباب في العينتين. فبالنسبة للاختيار الفردي للزواج فى العينة المصرية، كان أعلاه لدى طلاب كليات الإنسانيات (59.5%)، ثم خريجي الكليات العملية " الكليات التى تُدرس العلوم الطبيعية " 58.2%، وكان لدى خريجي الكليات النظرية 48.8%. أما الشباب التونسي، فكانت الفروق واضحة بالنسبة للنوع فقط، فالاختيار الفردي لشريك الحياة لدى الشبان 72.3% مقابل 61.6% لدى الشابات من تونس. كما تفاوتت تفضيلات الشباب المصري في حالة الاختيار الفردي بتفاوت المستويات الاجتماعية والاقتصادية لأسرهم، حيث اتجهت النسب إلى الانخفاض من المستوى الأعلى 63.8%، إلى المتوسط 50.8%، ثم 49.7% لدى المستوى المنخفض. وبالنسبة لتفضيل العمل للحساب الخاص- التشغيل الذاتي- فإجابات الشباب التونسي تدل على اعتباره أحد مجالات الاستقلال بنسبة 48% لدى الشبان، مقابل 27% لدى الشابات، وأنه يسهم فى تحقيق الذات 37% لدى الشابات، مقابل 24% للشبان، وأتت النسب لدى الشباب المصري لتدعم تحقيق الذات ثم الاستقلال، وكان أعلاها لدى خريجي الكليات العلمية (هندسة، زراعة، طب، صيدلة) لإمكانية تحقيق هذا بالنسبة لهم، في حين أن أقل النسب كانت لدى حملة الدبلومات المتوسطة 21.7%، ربما لاستحالة التمكن من تدبير مشروع خاص، وكانت الشابات المصريات أقل في تفضيلهن للعمل لحسابهن 22.8% مقابل 39.1% لدى

وأنت النسب لدى الشباب المصري لتدعم تحقيق الذات ثم الاستقلال، وكان أعلاها لدى خريجي الكليات العلمية (هندسة، زراعة، طب، صيدلة) لإمكانية تحقيق هذا بالنسبة لهم. في حين أن أقل النسب كانت لدى حملة الدبلومات المتوسطة 21.7%. ربما لاستحالة التمكن من تدبير مشروع خاص

المصادر العلمية للفصل الرابع

- تطلع التقرير إلي دراسة حالات عربية متنوعة من كل الإقاليم الفرعية العربية، وثم بالفعل اختيار حالة ثالثة (الإمارات العربية المتحدة) إلا أن ظروفًا موضوعية حالت دون ذلك.
- 1- سمير رضوان وآخرون، التشغيل والبطالة بين الشباب العربي، إدارة السياسات السكانية والهجرة، مشروع تمكين الشباب العربي، جامعة الدول العربية، القاهرة، 2006
 - 2- ميثاء الشامسي، التشغيل والبطالة في بلدان الخليج العربية، إدارة السياسات السكانية والهجرة، القطاع الاجتماعي، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، قيد النشر.
 - 3- سمير رضوان وآخرون، التشغيل والبطالة بين الشباب العربي، إدارة السياسات السكانية والهجرة، جامعة الدول العربية، 2006.
 - 4- تم تحديد المستوي الاجتماعي والاقتصادي للأسرة بالحالة التعليمية : أمي (صفر) - ابتدائي (1) - إعدادي (2)، وهكذا بالنسبة للأب والأم، ويدخل الأسرة - 500 جني 1000 - (1) i جنيه (2) - من 1500 إلى 3000 (3) - وهكذا، وحسب حجم السكن : عدد الغرف وكون السكن ملكاً أو إيجاراً، ثم تم تقسيم الحد الأقصى لمجموع الدرجات في كل متغير على ثلاث مسافات متساوية . الأدنى والمتوسط والأعلى..
 - 5- علياء حبيب، قيم العمل من واقع الدراسات العالمية والمحلية . في : قيم العمل في المجتمع المصري ، تحرير إعتاد علام ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2006.
 - 6- مركز المرأة العربية للبحوث ، الفتاة العربية المراهقة ، مصدر مذكور.
 - 7- أحمد عبد الناظر، القيم السائدة لدى الشباب التونسي، نتائج الدراسة الميدانية، 2007، ص 14
 - 8- عبير فريد، الوعي الديني لدى الشباب المصري بين العولمة والدعاة الجدد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006، خاصة الخاتمة
 - 9- عبد العالي أمداح، قيم الشباب المغربي، الدين والجنس والسياسية، نموذج منطقة دمنات، 2002، المغرب
 - 10- عبد العالي أمداح، مصدر مذكور
 - 11- اليونيسف، الشباب الأردنيون، مصدر مذكور، ص. 85
 - 12- مركز المرأة العربية للبحوث والتدريب (كوثر) تقرير المرأة العربية، الفتاة العربية الواقع والآفاق، تونس، 2003
 - 13- اليونيسف، الشباب الأردنيون، حياتهم وأراؤهم، مصدر مذكور، ص ص 119-121
 - 14- ليلى نوار، مصدر مذكور، جدول 14
 - 15- المسح السوري لصحة الأسرة، مصدر مذكور، ص 58
 - 16- مسح صحة الأسرة في جيبوتي، مصدر مذكور، ص 58
 - 17- اليونيسف، الشباب الأردنيون، مصدر مذكور، مواضع متفرقة
 - 18- اليونيسف، الشباب الأردنيون، مصدر مذكور، مواضع متفرقة
 - 19- زهير الحطاب، مصدر مذكور، ص ص 16-19.
 - 20- المسح الجزائري لصحة الأسرة، مصدر مذكور، ص 22.
 - 21- كوثر، مصدر مذكور
 - 22- علي بزي، العولمة وقيم الشباب، ورقة خلفية غير منشورة أعدت للتقرير الراهن، يوليو 2006، ص ص 6
 - 23- S. Klvecheva .will Youth Rejuvenate the Political Participation in Revisiting, Youth participation. By: J. Far— codes council of Europe publishing, 2005, pp. 19- 28
 - 24- محمد نجيب ابراهيم ومهدى القصاص، مشاركة طلاب الجامعة. المظاهر والمحددات، تقرير علمي مشترك ، جامعة المنصورة ، 2005.
 - 25- عبير أمين فريد، الشباب والجمعيات الأهلية، مشروع تمكين الشباب العربي، إدارة السياسات السكانية والهجرة، القطاع الاجتماعي، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، يوليو 2005
 - 26- وزارة الشباب والرياضة، مصر، المشاركة السياسة للشباب المصري، القاهرة، 2003 (تغيرت بعد ذلك إلي المجلس القومي للشباب، آخر 2003
 - 27- مركز المرأة العربية للبحوث والتدريب (كوثر) الفتاة العربية المراهقة: الواقع والأهداف، تونس 2003 ص 279
 - وأيضا: عبد العالي أمداح، قيم الشباب المغربي، الجنس، السياسية، الدين نموذج منطقة دمنات، 2003، ص ص 38-39
 - LAS & UN, opicit
 - 28- أحمد الهجرسي، الجماعات الدينية في مصر، رسالة دكتوراه، كلية آداب، بنها، 2001
 - 29- المصدر السابق
 - 30- عبير أمين، الوعي الديني لدى الشباب المصري، بين العولمة والدعاة الجدد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 2006
 - 31- مركز المرأة العربية للبحوث والتدريب .كوثر، تقرير تنمية المرأة العربية، الفتاة العربية المراهقة: الواقع والآفاق، تونس 2003، ص ص 266-267.

- 32- أحمد عبد الناظر، تقرير القيم السائدة لدى الشباب التونسي، دراسة أعدت للتقرير الراهن
- 33- إدارة السياسات السكانية والهجرة، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، إطار استراتيجي لتطوير سياسات الشباب في البلاد العربية، المسودة الأولى، 2006.
- 34- إدارة السياسات السكانية والهجرة، التقرير الإقليمي لهجرة العمل العربية، سلسلة دراسات وتقارير حول السكان والتنمية في المنطقة العربية، القاهرة، 2005
- 35- تم تجميع هذا الجدول من إجابات عدة أسئلة، الترتيب المذكور يشير إلى ترتيب الإجابة كمياً بين متغيرات كل سؤال من الأسئلة التي تم الحصول منها على التجميع المذكور

خاتمة واستخلاصات أساسية*

في ضوء ما وافقتنا به الصفحات السابقة من بيانات كمية وبعض المعطيات الكيفية التأويلية، يمكن بيان عدد من الاستخلاصات الأساسية بشأن القيم السائدة لدى الشباب العربي على النحو التالي:

1- قيمة الاستقلال

لعل القيمة الأولى التي كشفت عن نفسها وتجسدت في كثير من اختيارات الشباب وتفضيلاتهم هي قيمة تدعيم الذات وتأكيد كركيزة أساسية للاستقلال الممكن عن الآخر. لقد كشفت هذه القيمة عن نفسها عندما شغلت قمة السلمية أو التدرجية القيمية للشباب في تفضيلات التعليم، حيث أتى من بين أهم خصائص التعليم المرغوب فيه أنه الذي يساعد على تنمية الشخصية، كما أتى الاختيار الفردي للزواج في مرتبة عالية لدى الشباب المصري والتونسي، حيث فضلها أكثر من ثلثي العينتين المصرية والتونسية، وحدث نفس الأمر في اختيار العمل الحر أو التشغيل الذاتي، ليؤكد لنا وللقارئ نزوع الشباب في العينتين نحو الاستقلال الفردي. ويتفق مع هذه النتائج ما ورد في المسح الأردني المعنون بـ: "الشباب الأردني: حياتهم وآراؤهم 2003"، حيث فضل معظم شباب العينة اختيار شريك الحياة بمفرده (65.7% للشباب مقابل 59% لدى الشابات). كما أكد المسح السوري حول صحة الأسرة أن الشباب السوري يفضل الاختيار الفردي لشريك الحياة بنسبة 80.7% مقابل 57.7% لدى الشابات، ووافق على هذا الاختيار 89.2% من شباب جببوتي مقابل 78.5% لدى الشابات.

2- قيمة الحرية

تمثل قيمة الحرية أولوية من أولويات الشباب العربي، وترتبط- نسبياً- بالقيمة السابقة المتمثلة في رغبة الشباب في تأكيد ذاته واستقلاله الممكن عن السلطات والقيود التي رآها الشباب مكبلة لحركته

تمثل قيمة الحرية أولوية من أولويات الشباب العربي، وترتبط- نسبياً- بالقيمة السابقة المتمثلة في رغبة الشباب في تأكيد ذاته واستقلاله الممكن عن السلطات والقيود التي رآها الشباب مكبلة لحركته واختياره الفردي لانفعاله

واختياره الفردي لأفعاله. فقد أتى من بين أسباب عدم الرضا عن التعليم العالي أنه لا ينمي الشخصية ولا يتيح فرصة الاعتماد على النفس (لا يرتبط بالعمل)، وهذا بجانب تفضيل الشباب العربي للحوار عبر شبكة المعلومات باعتباره حافلاً بحرية الاختيار والتعبير.

3- قيم ذات توجه مستقبلي

فرض على الشباب باعتباره يعيش مرحلة عمرية نفسية واجتماعية مضطربة بالطموحات، وكونه لا يزال في مرحلة البحث عن الذات والاستقلال عن الآخرين وأن كثيراً من أهدافه لم يتحقق بعد- أن يكون توجهه القيمي ذا طابع مستقبلي، فالشباب له حاجات وآمال لم تتحقق بعد يسعى إلى لتحقيقها في الوقت الآتي. وتدلل على هذا البيانات الواردة بالتقرير، والتي أكدت على إهتمام الشباب بتغيير تعليمه، وتطلع البعض منه إلى تعليم ما بعد المرحلة الجامعية، واستيعاب غير قليل منه للمتطلبات السريعة للتغير في أسواق العمل، خاصة فيما يتعلق بنوعية المهن الأعلى دخلاً. ولهذا يصح القول إن قسماً مهماً من الشباب العربي يعيش قيم المستقبل كما استوعبها وفي حدود خبراته وطموحاته. لقد تبين في أكثر من سؤال رغبة الشباب في التحرر، والمشاركة، والعمل الآمن، والقرار الفردي، والحوار والمساءلة، وهي قيم يمثل بعض الشباب جانباً منها، وأن أقساماً منهم أضحت أكثر ارتباطاً بشبكات المعلومات الدولية، وأكثر شغفاً إلى المعرفة، لإدراكهم أن التفكير العلمي وتحصيل المعرفة والمساهمة في إنتاجها إحدى أهم ركائز المستقبل، وفي نفس الوقت أكدت بعض البحوث العربية على عدم رضا الشباب عن مساراته الدراسية، وأن بعضهم تمني لو كان بالإمكان تغييرها.

وتؤكد الدراسات المنجزة حول استخدامات الشباب لشبكة المعلومات أنها تتعدد وتنوع بين الدردشة والحوار والمواقع الإلكترونية والمدونات، وتكاد تعكس

وتؤكد الدراسات المنجزة حول استخدامات الشباب لشبكة المعلومات أنها تتعدد وتنوع بين الدردشة والحوار والمواقع الإلكترونية والمدونات. وتكاد تعكس صورة أكثر صدقاً وتعبيراً عما يجيش في عقول وصدور الشباب مقارنة بآية دراسات ميدانية تحتكم إلى الصدق والموضوعية

ولا أتعب، ولولا تدخل أمي لجلست أمامه 24 ساعة حياتي تافهة جداً، ولا أجد شيئاً أفعله.

- محمد (مصر) 24 عاماً حاصل على ليسانس حقوق ، أجلس أمام الإنترنت 14 ساعة يومياً، وأكره الجلوس مع أهلي، وأقضي باقي الوقت في المنتديات الإسلامية.

- أحمد (مصر) 24 عاماً يعمل محام: اتصلت بعالم الإنترنت منذ 10 سنوات، وأهوى القرصنة على المواقع التي تسييء للإسلام.

- نوران (لبنانية) 25 عاماً طالبة جامعية " الإنترنت هو حياتي أبنيتها بحريتي أختار ما أريد من أصدقاء لا يجبرني أحد على أي اختيار أشعر من خلاله بالاستقلالية.

وتوضح واحدة من الدراسات التي أجريت حول استخدام الشباب (18 – 29 عاماً) للإنترنت بإحدى محافظات صعيد مصر (المنيا) البيانات والمعلومات التالية التي تقدم صورة حول تفضيلات الشباب

صورة أكثر صدقاً وتعبيراً عما يجيش في عقول وصدور الشباب مقارنة بأية دراسات ميدانية تحتكم إلى الصدق والموضوعية، فإذا أخذنا- على سبيل المثال- موقع " كلنا ليلي" سنجد فيه بوحاً بهوم تعليمية وعملية وسياسية وفي العلاقات والحقوق الإنجابية، لم يتح للفتيات البوح بها على مستوى الأسرة، أو على مستوى منظمات المجتمع، أو حتي الإعلام الحكومي الرسمي. ويحفل موقع "الوعي" الذي أقامه بعض الشباب المصري بالكثير من المواقف والاتجاهات والقيم التي تشكل وعيهم بالواقع الذي يعيشونه، والذي يخفق الشباب من نواح عديدة كما ذهب بعضهم. ومن ثم يجد الشباب في عالم الإنترنت- كما تذهب نظرية الإشباع في علوم الإعلام والاتصال- أنماطاً من الإشباع العاطفية والسياسية والدينية المفقودة في عالم الشباب العربي المعاش.

وتشير بعض الدراسات حول الشباب والإنترنت إلى نزوع الشباب إلى الحرية استكمالاً لاستقلالهم:

- فاطمة (الكويت) 23 عاماً خريجة آداب إنجليزي: أقضي أمام الانترنت 10 ساعات لا أمل

أجلس أمام الإنترنت 14 ساعة يومياً وأكره الجلوس مع أهلي. وأقضي باقي الوقت في المنتديات الإسلامية.

ولعل من بين أهم ما يمكن استخلاصه من البيانات والمؤشرات الكمية والكيفية التي تضمنتها الصفحات السابقة. أن الناس- وفي مقدمتهم الشباب- لا يجدون أنفسهم في الكثير مما هو رسمي الطابع

• التكنولوجيا هي العلم والاختراع	• 16.
• التسلية هي قضاء الوقت الحر بشكل ممتع، وهي فعل أي شيء غير استذكار الدر	• 44.
المستقبل هو	
• التخطيط لاستقباله.	• 39.9%
• السعي نحو التقدم.	• 26.7%
• المجهول	• 23.9%
الإنترنت وسيلة للتمتع بالحرية	
• أوافق بشدة	• 28.8%
• أوافق	• 24.8%
• أوافق إلى حد ما	• 30.4%
التعامل مع المواقع الإباحية	
• التعرف على المعلومات التي لايتيحها المجتمع	• 45.1%
• الحرية التامة	• 23.9%
معني المواطنة :	
• للإنسان وحقوق وواجب	• 71.2%
تفضيل الإقامة بمصر على الهجرة إلى أي بلد :	
• أوافق بشدة	• 25.2%
• أوافق	• 22.4%
• لا	• 18.1%

وقيمه في مجالات مختلفة:

ولعل من بين أهم ما يمكن استخلاصه من البيانات والمؤشرات الكمية والكيفية التي تضمنتها الصفحات السابقة، أن الناس- وفي مقدمتهم الشباب- لا يجدون أنفسهم في الكثير مما هو رسمي الطابع، فيلجئون إلى/ أو يبدعون شيئاً غير رسمية، قد يجدون فيها- على الأقل- بعضاً مما افتقدوه من جراء علاقاتهم بما هو رسمي، سواء على الصعيد السياسي، أو الثقافي، وأحياناً الاقتصادي.

إن نمو القطاع غير الرسمي في الاقتصاد العربي في العواصم والمدن والأرياف، رغم أنه لا يشبع حقوق وطموحات المنخرطين فيه، إلا أنهم يمارسون من

توضح العديد من بيانات قيم مشاركة الشباب العربي أنه يتطلع باستمرار إلى قيم الحرية والاستقلالية والتعبير عن الذات رأياً وممارسةً، فهل لنا جميعاً أياً كانت مواقفنا أن نبدع معه شيئاً مؤسسية توفر له ما يتطلع إليه؟

خلاله مقادير من إشباع الحاجة إلى العمل، ويكاد يمتد الأمر إلى القطاع السياسي غير الرسمي، وهو ما يعني- تجاوزاً- منظمات المجتمع المدني.

1- في القيم المادية

يصعب فهم أهمية القيم المادية لدى الشباب بدون فهم مجموعة المحددات التي تحيط بالشباب العربي، فحوالي نصف العينتين المصرية والتونسية قد مال إلى تفضيل العمل ذي العائد المادي الأعلى، وذلك لأن من أهم أسباب تأخر الزواج- كما وافتنا إجابات العينة- هو التكلفة المادية للزواج ومبالغ الأسر فيها، وهو ما لخصه الشباب في الصعوبات الاقتصادية التي شغلت بال ثلاثة أرباع العينة المصرية وحوالي نصف العينة التونسية. غير أن مانود الإشارة إليه- هنا- أن تلك القيم المادية لم تستبعد اعتبار أن النجاح الاجتماعي أهم من النجاح المادي، وأن تفضيل التفاهم والحب كأساسين راسخين للزواج كان في كفه وترتيبه قبل مواصفات الزواج ذات الصلة بالقيم المادية.

وقد بدت الواقعية والاتساق في تفضيلات الشباب

حينما بينت نتائج العينتين- المصرية والتونسية- أن الشخص المتدين هو الذي يتسق قوله مع فعله، حيث احتلت هذه الإجابة المرتبة الأولى لدى الشباب المصري والتونسي، كما اشتركت العينتان في فكرة التبرع بالمال إن وجد، للفقراء (65% و 61.6% في العينة المصرية والتونسية على التوالي).

2- الاستمتاع والمنفعة

لقد لفت نظرنا كما سيلفت نظر قارئ التقرير الراهن أن نسبة- رغم أن البعض قد يراها صغيرة نسبياً- من الشباب أجابت بأنه من دواعي تأخير زواجها سعيها للاستمتاع بالحياة وإرجاء تحمل الأعباء الأسرية. لقد أتت النسبة 34% و 24% لدى الشبان والشابات من تونس على التوالي، وكانت 14.9% و 3.7% لدى الشبان والشابات من مصر على التوالي، وأياً كان حجم الإجابات فقد أتت في الترتيب الثاني لدواعي تأخر الزواج لدى العينة التونسية والثالثة في الترتيب لدى العينة المصرية، ولم تلغ العينتان أهمية الزواج، فقد أجمعتا على أهميته بنسبة قاربت 90% من إجمالي هاتين العينتين، إذن فالمسألة هي إرجاء دون استغناء، وهو أمر فرضته ظروف الحياة ولهث الشباب عبر- وخلال - مراحل نموه المختلفة وراء التعليم ثم العمل، والانشغال معظم الوقت دون التقاط الأنفاس. وتبدو المنفعة والاستمتاع سواء في مفردات الطعام أو الملابس للاستمتاع بتميز مفقود له علاقة بتأكيد الذات المفردة أو بإشباع مرتبطة بشكل ومضمون الطعام الذي جذب إليه الشباب "عالم ماك بكل تجلياته.

3- القيم الدينية

عكست القيم الدينية الملامح الأساسية لحالة الوعي الديني لدى الشباب، وبدوا في تدينتهم وسطيين واقعيين، فلم يركزوا في التدين على الشكل والمظهر، حيث أكدت عينتنا الدراسة على الاتساق بين القول والفعل كأولي المؤشرات الدالة على التدين، كما تغلغل الدين وتقاطع مع الكثير من اختيارات الشباب والشابات كقيم وسلوك، وأحد أسس النجاح في الحياة، سواء في اختيار شريك الحياة، أو المثل الأعلى، وإن تفاوتت في الدرجة بين العينتين تفاوتاً كمياً.

إن نمو القطاع غير الرسمي في الاقتصاد العربي في العواصم والمدن والأرياف، رغم أنه لا يشبع حقوق وطموحات المنخرطين فيه، إلا أنهم يمارسون من مقادير من إشباع الحاجة إلى العمل، ويكاد يمتد الأمر إلى القطاع السياسي غير الرسمي، وهو ما يعني- تجاوزاً- منظمات المجتمع المدني

4- قيم المشاركة

وكما سبقت الإشارة في الفصل الخاص بالقيم التعليمية، ذهب "ر.ماكونالد" إلى أن الشباب المحروم تعليمياً والمهمش إجتماعياً، ومع هذا ورغم انغلاق الخيارات أمامهم فأنهم يتجهون إلى أولويات أخرى تتيح لهم أن يتجاوزوا مظاهر الماطلة والتسويق في تحقيق أهدافهم، فيصنعون اختيارات بديلة، حتى وإن بدت غير مرغوبة إجتماعياً. كالزواج العرفي في مواجهة صعوبات الزواج، وكذلك صناعة عوالم افتراضية تتحول رويداً لتصبح كالمدرجات الواقعية، وقد تجسد هذا في علاقاتهم واستخداماتهم لشبكة المعلومات الدولية "الإنترنت".

هذا، وتشير بعض الأدبيات ذات العلاقة بقيم الشباب

أن بعض أهدافهم في الحياة "تقليدية، مثل تكوين الأسرة والعمل لتحقيق درجة من الأمان الاقتصادي، كما بينت إجابات عيني الدراسة الراهنة، حيث كان العمل المفضل هو الذي يضمن العائد المادي الأعلى والعمل الدائم المستقر، هذا بجانب المحافظة على علاقات شخصية مع الأسرة وكذلك تحقيق المتعة الشخصية، وهي جميعها موضوعات متكررة في قيم واختيارات الشباب. ونلاحظ هنا- أن هذه الأهداف تضم قيم واختيارات السعادة والرفاهية الشخصية، الأمر الذي يتعين إضافته إلى بعدي التعليم والعمل، واللذين جري تقليدياً استخدامهما كمعيارين أساسيين من معايير تحليل مراحل التحول عند الشباب.

ورغم تأكيد البيانات على انتماء معظم أفراد العينتين لبلديهما، فإنه من الممكن تعميق تأسيس هويات الشباب على أساس تحقيق الحياة الوظيفية أو المهنية، وليس إرجاء أو تأجيل أهداف الحياة نفسها تحت زعم الاستثمار في التعليم. إن التغيرات في قيم الشباب تدعو إلى الاهتمام برفاهية الطلاب، ليس باعتبارهم راشدين في المستقبل، بل باعتبار أن هذا من حاجاتهم في الحاضر أيضاً، وبصفة عامة، فإن الاهتمام بهوية الشباب هو المجال الواسع الذي يجب إضافته إلى مهام التعليم والعمل والمشاركة.

وإذا كان الشباب من أبناء الأسر الميسورة إجتماعياً

أكد الشباب في العينتين- وفي الدراسات السابقة ذات العلاقة- أهمية المشاركة كحق من حقوقه، وبعضهم مارسها خاصة على مستوى الأسرة والجمعيات الأهلية، إلا أن الشباب له مواقف واضحة تجاه المشاركة في العمل السياسي العام، وذلك لأن هذا العمل غالباً ما يحتكره الكبار، ويستبعد منه الشباب، ومن ثم كانت عدم ثقتهم في العمل السياسي العام، لأنه لا يعكس طموحاتهم، ولا يفسح مجالاً لمشاركتهم. وقد اعترف بعضهم بأنه لاتتاح له المعلومات عن المشاركة، وأن بعضهم وبنسبة تصل إلى أكثر من ثلث عيني الدراسة لا يملك مهارات المشاركة لغياب الفرصة للتدريب عليها، بجانب غياب المعلومات والبيانات المتاحة حولها، كما سبقت الإشارة فإن الشباب العربي يعزف عن كثير مما هو رسمي في المشاركة، ويقبل علي كل ما هو غير رسمي كالمشاركة في الجمعيات الأهلية. ويقدم هذا الموقف احتجاجات عميقة المحتوى يدلل عليها ميل أعداد متزايدة من الشباب إلى صناعة فضاء مغاير للمشاركة والتعبير والإحساس بحق المواطنة عبر شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت"، ومع الأصدقاء.

هذه هي أهم القيم السائدة لدي الشباب، والتي تتوزع أفقياً حسب مراحل إعداد الشباب وتكوينه، وإن انتظمت جميعها حول تأكيد الذات والاستقلالية، والتطلع للحرية المفقودة، غير أن هذا لا يجعلنا نتغافل عن حقيقة أساسية هي: أن مجالات الاختيار أمام الشباب باتت محاطة بالصعوبات والتحديات، فالطموحات تتخطي الآمال والآمال تتخطي الواقع، وخيبات الأمل كثيرة ومتنوعة، وفي مواجهة هذه التحديات والتناقضات يقوم الشباب بأنفسهم بإجراء

دفعت التحديات والتناقضات المحيطة بالشباب إلى تحول قسم متزايد منهم نحو قيم حياتية عملية جديدة

تقييم برامجتي نفعي ينطلق من وعيهم ورؤيتهم للحياة وللتحولات المجتمعية الناشئة من حولهم.

أن الشباب له مواقف واضحة تجاه المشاركة في العمل السياسي العام. وذلك لأن هذا العمل غالباً ما يحتكره الكبار. ويستبعد منه الشباب. ومن ثم كانت عدم ثقتهم في العمل السياسي العام. لأنه لا يعكس طموحاتهم. ولا يفسح مجالاً لمشاركتهم

إلى أن الشباب المحروم تعليمياً والمهمش إجتماعياً. ومع هذا ورغم انغلاق الخيارات أمامهم فأنهم يتجهون إلى أولويات أخرى تتيح لهم أن يتجاوزوا مظاهر الماطلة والتسويق في تحقيق أهدافهم. فيصنعون اختيارات بديلة. حتى وإن بدت غير مرغوبة إجتماعياً. كالزواج العرفي في مواجهة صعوبات الزواج.

أو ذات المستوى الاقتصادي والاجتماعي المرتفع- كما فى العينة المصرية- تمكنوا من الاستفادة من بعض سياسات العولة، لأنهم الذين يحصلون على أفضل الوظائف، إلا أن خيبة الأمل تصيب القطاع الأكبر من فقراء الشباب الذين أضرت بهم السياسات الليبرالية، خاصة فيما يتعلق بالبطالة الإجبارية.

لقد حاصرت العولة أدوار الدولة، فلم تعد قادرة على الانفاق الاجتماعى كما كان الحال فى عقود سالفة، ومن ثم تبذرت فرص تحقيق العدالة الاجتماعية، وقلصت إلى أدنى الحدود من الدور الاجتماعى للدولة، والذي كان يحد من تجاوزات السوق، وإضفاء نوع ما من الإنسانية على قسوة الرأسمالية. فالشباب بات ينشغل مبكراً بأنماط وقيم مرحلة الرشد الجديدة- قيم مستقبلية- التي تحدد أبعاد حياتهم فى سياقات الحياة الجديدة التي تواجههم، بدلاً من العيش عبر فترة ممتدة من الشباب بسبب إرجاء التشغيل والزواج وتكوين الأسرة. ويمثل التعقد أحد العناصر البارزة فى مرحلة الرشد الجديدة، وهو الذي يتعلق بتعدد أبعاد الحياة، وتعدد متطلباتها. ولهذا ويبذل الشباب جهوداً جمة ومتواصلة من أجل إحداث التوازن والمواءمة بين عدد كبير من الأهداف والمصالح والاهتمامات، لأن التنظيمات المؤسسية لا توفر إلا القليل من القدرة على التمكن، مما يضطر الشباب إلى وضع التنظيمات والقيم الخاصة بهم، ويجري ذلك فى إطار عملية موازنة الخيارات والبدائل المتعددة، أو حتى التحايل عليها أحياناً، ومن بين هذه الخيارات تمضية الوقت الحر إما فى ممارسة الحرية، أو تنمية الذات، واستخدام الإنترنت، وممارسة الرياضة وتدعيم العلاقات بالأقارب والأصدقاء.

وتجدر الإشارة- وكما يتبين فى الفصل الخاص بقيم التعليم- إلى أن البحث العلمى فى شؤون الشباب فى مجتمعات الغرب الأوروبى والأمريكى يوضح- بجلاء- غياب الاستيعاب لفكرة التمايز الجيلى ولقهوم الجيل نفسه

. إذ تأتي الكلمة باهتة وهامشية فى سياق الحديث عن عموميات أو خصوصيات أخرى. ومن مظاهر التحيز السلبي أن دراسة قيم وأولويات الشباب فى الحياة الاجتماعية المعاصرة غالباً ما يتم من وجهة نظر الباحثين الكبار، وتمثل مكانة ثانوية بالقياس إلى المساحة التى تصول وتجول فيها أفكار وتصورات وأطر تنتمي إلى قضايا وفئات اجتماعية أخرى. إذ يسقط الباحثون خبراتهم الشبابية على محاولات فهم ودراسة حياة الشباب، ويفترضون بذلك أنهم يدركون جوهر مرحلة الشباب وخصائصها الأساسية. وتؤكد "بيكلين" أن خبرات الكبار هذه تتخلل مفاهيم الباحثين وأعمالهم البحثية الميدانية. وقد اعتمدت فى استخلاص هذه النتيجة على نماذج من بحوث الشباب أجريت فى إيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية وإستراليا، ووجدت أن ذكريات الراشدين توجه محاولات الباحثين لفهم الشباب ومواقفهم من الحياة وعلاقاتهم مع الآخرين. ومن ثم نشأ انطباع لدى الباحثين أن الشباب مجرد متلقين سلبيين، يجري التعبير عنهم وعن حياتهم باستعارات قديمة لا تتناسب مع ظروف حياتهم فى عصرنا الراهن. وبناء على ذلك، أصبحت قواعد البيانات والبحوث تفترض منظوراً اجتماعياً يتسم بالحتمية حول مسارات حياة الشباب العملية مع قليل من المتابعة الواقعية. ويكاد يتسقى هذا وينطبق على معظم البحوث والدراسات العربية حول الشباب، والتي وقعت الإشارة إليها فى الإطار النظرى للتقرير الراهن، خاصة ما يتعلق بقراءة قيم الشباب وفى واحد من أهم إصدارات المشروع الراهن.

لا مفر من المعرفة بأوضاع وتفاعلات جيل الشباب، وبالتالي إحباطاته وقيمه واختياراته ومشكلاته المعقدة وتوجهاته لجابهة تلك التحديات. ولهذا يلزم الإنصات إلى الشباب، كما يتعين رصد الجوانب المهمة فى حياتهم الشخصية، والمعاني التى يستخلصونها بأنفسهم عن المخاطر والمشكلات التى يواجهونها فى حياتهم اليومية، وخاصة بعض جوانب الغموض وعدم اليقين التى قد يواجهها الشباب فى محاولته اختيار وصياغة آفاق مستقبله.

وبالنسبة لموقع قيم الشباب العربى- فى حدود عينتي الدراسة- من متصل التقليدية والحداثة

لأن التنظيمات المؤسسية لا توفر إلا القليل من القدرة على التمكن، مما يضطر الشباب إلى وضع التنظيمات والقيم الخاصة بهم. ويجري ذلك فى إطار عملية موازنة الخيارات والبدائل المتعددة. أو حتى التحايل عليها أحياناً

وما بعد الحداثة- والتي تمت الإشارة إليه في غير قليل من صفحات التقرير الراهن- لفهم هذا المتصل والتباساته يهّم توضيح:

أن الشباب العربي- كما هو حال المجتمع العربي- يعيش تداخل مراحل تطور اجتماعي واقتصادي، أنماط إنتاج ما قبل رأسمالي واقتصاد معاشي أقرب إلى الكفاف في قري عربية، وعلاقات إقطاعية تحكم علاقات ملاك الأراضي بالمستأجرين، ونمط نوعي، ربما يكون بازغاً نسبياً من العلاقات الرأسمالية، التي قبل أن تتبلور حددت العولمة مسارها، بإدماجها في السوق الرأسمالي العالمي، فجعلت شرائح من الرأسمالية العربية، تجمع بين الريع والسمرة والعمولات، والإنتاج بقصد الاستهلاك في ضوء دورة اقتصادية تختصر الوقت نسبياً تحسباً للربح السريع.

ولقد ارتبط بهذا التداخل في أنماط الإنتاج، تداخل أنماط ثقافية أثرت وسوف تؤثر في فكر وقيم الشباب العربي وتقضيلاته، فهو يعيش عناصر ثقافة أبوية تقليدية ذكورية أمرّة، تتحدث عن نفسها في نسق النوع الاجتماعي الذي يتجاوز مؤشرات فجوة

يمكن القول بأن قيم الشباب العربي أقرب إلى الفيسفانية. حيث تتسع قاعدتها بالكثير من الأهداف. وتتغير أولوياتها عمودياً بتغير وتنوع أولويات كل مرحلة من مراحل الولوج إلى النضج.

النوع إلى جذورها الاقتصادية والثقافية وتراتبيتها التي تضع الشابة في مواقع تالية. كما أن الشباب يعيشون قيماً حداثية لدى بعض الآباء، وتعيش أقسام منه هذه القيم الحداثية يتوقع تزايدها عدداً، على الأقل الذين تفتح منهم على ثقافات أخرى عبر تكنولوجيا الاتصال والمعلومات على قيم ما بعد حداثة.

فالعينة التونسية وإن حملت في إجاباتها اتجاهات نحو قيم ما بعد الحداثة، خاصة فيما يتعلق بالزواج والعمل والوعي الديني مقارنة بالعينة المصرية، فالعينتان تتفقان في بعض القيم التقليدية والحداثية في الموقف من الزواج والعلاقات الأسرية، وهذا يجعلنا نفترض أن قيم الشباب العربي في مرحلة تشكل وتطور، وبالتالي يمكن القول بأن قيم الشباب العربي أقرب إلى الفيسفانية، حيث تتسع قاعدتها بالكثير من الأهداف، وتتغير أولوياتها عمودياً بتغير وتنوع أولويات كل مرحلة من مراحل الولوج إلى النضج

إن نزوع الشباب العربي إلى الاعتماد على الذات والاستقلال، هو نزوع إلى قيم ما بعد حداثية لم تتشكل بعد على نحو في كل أصعدة أو مستويات بنيات المجتمعات العربية المعاصرة وهو ما يتسبب في اختلاف الرؤى والقيم بين الأجيال، ويسهم في محاصرة التواصل بينها.